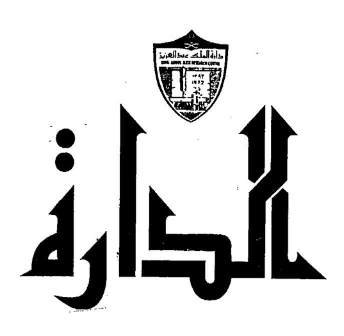








مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الأول - محرم ١٤١٨هـ - السنة الثالثة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها

ديوان جلالة الملك

عدد
٦٠٧

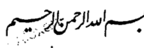
من عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل الجناب الأفخم مدير مدرسة الفلاح وهيئة المعلمين الكرام حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصل كتابكم رقم ١١ منه وقد وافقنا على رأيكم الذي رجحتم فيه

طريقة التبرع وأمرنا المالية بأن تدفع لكم ثلاثمائة جنيه اعانة منا للمدرسة فيمكنكم عندما تريدون فتح الاكتتاب

ان تراجعوها في ذلك وتثبتوه في صدر القائمة وتقوم بالدفع لكم حالاً بكره مسلم وانشرخصيكم [illegible]

رسالة من المغفور له الملك عبدالعزيز إلى مدير مدرسة الفلاح بجدة تعبر عن دعم جلالته - يرحمه الله - للعلم والمعرفة
في ١٤ ذي القعدة ١٣٤٩هـ





مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز - الرياض

العدد الأول - محرم ١٤١٨هـ - السنة الثالثة والعشرون

محتويات العدد

رقم الإيداع ١٤/٠٠٨٢ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ
ردمد ٠١٤٨ - ١٣١٩

البحوث ترسل باسم رئيس التحرير

العنوان: ص . ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٨ فاكس ٤٤١٧٠٢٠

السعـــر

السعودية: ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة: ٧ دراهم، قطر: ٧ ريالات، مصر: ٧٠ قرشا، المغرب: ٨ دراهم، تونس: ٧٠٠ مليم، خارج البلاد العربية: ١ دولار أمريكي

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية

البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً

خارج البلاد العربية ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم دارة الملك عبدالعزيز
على العنوان التالي: ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع	**ص.ب٦١٤٦٦**	**الرياض ١١٥٦٥**	**هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠**
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة	**ص.ب٣٧٧٨**	**دبي**	**هاتف: ٦٦٥٣٩٤**
قطر: دار الثقافة	**ص.ب٣٢٣**	**الدوحة**	**هاتف: ٤١٣١٨٠**
البحرين: دار الهلال للتوزيع	**ص.ب٢٢٤**	**المنامة**	**هاتف: ٢٦٢٠٢٦**
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع	**ص.ب٦٨٣**	**الدار البيضاء 05**	**هاتف: ٤٠٠٢٢٣**
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع	**شارع الجلاء -**	**القاهرة**	**هاتف: ٥٧٨٦١٠٠**

شــروط النشــر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

أولاً يشترط في البحث المقدم للمجلة ما يأتي:

١ - أن يتسم بالأصالة والمنهجية العلمية.

٢ - أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب.

٣ - ألا يكون قد سبق نشره، أو قدم إلى جهة أخرى للنشر.

٤ - أن توضع حواشيه مرقمة بالتسلسل في آخر البحث.

٥ - أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية.

٦ - أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية مع لغتها.

٧ - أن يكون البحث مطبوعا أو مكتوبا بخط واضح.

٨ - أن يرفق ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠ كلمة).

ثانياً لا يُعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

ثالثاً يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من العدد.

رابعاً تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكيم.

خامساً لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول الهجري

د. عبدالرزاق بن إسماعيل هرماس
كلية الآداب - جامعة القاضي عياض
بني ملال - المغرب

يبحث هذا الموضوع في نشأة مدرسة تفسير القرآن بدار الهجرة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وقد تم حصره زمنياً في القرن الأول الهجري لأن هذه الفترة هي التي شهدت البدايات الأولى لعلم تفسير القرآن الكريم.

لقد بدأ نزول القرآن بمكة المكرمة، واكتمل نزوله بدار الهجرة التي تصدّر فيها صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام - يبين لصحابته - رضي الله عنهم - ما نزل إليهم حتى يصبحوا مؤتمنين على تبليغ الدين لمن جاء بعدهم.

وأهمية هذه الحقبة من تاريخ التفسير ترجع إلى أنها كانت عصر انتقال أحكام الإسلام لتطبق في حياة البشر، فقد كان الوحي ينزل منجماً على الرسول ﷺ وماكان بالإمكان تطبيق تلك الأحكام في حياة الناس العامة والخاصة حتى تمكّن الإسلام بالمدينة المنورة، فوجب الامتثال، واحتاج الصدر الأول من المهاجرين

والأنصار إلى بيان المجمل من التنزيل، فقام المعصوم ﷺ يفسر ما أوكل الله إليه بيانه من القرآن، وظل على هذه الحال مبلغاً ومفسراً حتى اكتملت مهمة بعثته عليه الصلاة والسلام.

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مستهل العقد الثاني من القرن الأول، استقل صحابته الكرام –بأمانة تعليم الدين لغيرهم، وكانت هذه الأمانة تقتضي منهم التعامل مع القرآن الكريم تفسيراً واستنباطاً، ومع هذا الرعيل الإسلامي الأول ظهرت مدارس التفسير.

ومن فضل الله على هذه الأمة أن طائفة من فقهاء الصحابة –رضوان الله عليهم– بُعِثُوا لتعليم الناس في مختلف البقاع التي أذن الله بفتحها، فاستقروا معلمين وقضَاة وولاة...، وظهرت في مختلف الحواضر التي استقروا بها حلقات علم مالبثت أن تطورت إلى مدارس خَاصَّةً في عصر التابعين.

وبخصوص علم التفسير، فالمعروف أن حلقات هذا العلم وجدت حيثما استقر أحد علماء الصحابة وجمع حوله طائفة من التابعين، وأضحت هذه المجالس في مختلف الأمصار بداية لمدارس التفسير التي ظهرت خلال القرن الأول واشتهرت منها مدارس ثلاث:

- مدرسة التفسير بالمدينة المنورة.
- مدرسة التفسير بالعراق (الكوفة).
- مدرسة التفسير بمكة المكرمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ في هذا السياق:

«وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس: كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب عبدالله بن مسعود...، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم...»[1].

وتأتي بعد المدارس الثلاث السابقة في الشهرة:

مدرسة التفسير بالشام التي كان من أعلامها معاذ بن جبل # ت ١٨هـ[٢].

ومدرسة التفسير بمصر التي ارتبطت بالصحابيين عقبة بن عامر ت٥٨هـ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ت٦٥هـ % [٣]...

وكانت مدرسة التفسير بالمدينة المنورة هي الأصل الذي تفرعت عنه المدارس الأخرى، فمؤسسها الأول هو صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وشيوخها بعده هم جلة الصحابة - - الذين تلقوا علم التفسير من مشكاة النبوة...

وحتى تعطي هذه الدراسة نظرة متأنية ومتكاملة عن مدرسة دار الهجرة بالمدينة: نشأتها، وأعلامها وتطورها... خلال القرن الأول فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: منها خصص للكلام عن أعلام المدرسة من طبقة الصحابة ثم تلاميذهم من التابعين.

الفصل الثاني: عرض لخصائص مدرسة المدينة النبوية ثم أسباب شهرتها.

الفصل الثالث: موضوعه مكانة هذه المدرسة وأثرها في علم التفسير.

أما غاية الدراسة فهي محاولة جمع مختلف ماتضمنته مصادر التفسير وأمهات كتب السنة والمصنفات في علوم القرآن عن مدرسة التفسير بدار الهجرة، وكان من نتيجة ذلك الجمع أن تم الخروج بهذا الموضوع الذي أَفْرَدَ "مدرسة المدينة" بالبحث ولله الحمد والمنة.

أولا: أعلام مدرسة التفسير بالمدينة المنورة خلال القرن الأول

كانت المدينة المنورة أول دار نشأت فيها دولة الإسلام، فاجتمع فوق ثراها المهاجرون والأنصار يتلقون من الرسول - ﷺ - التشريعات التي تعبدهم الله بها؛ وقد شهدت دار الهجرة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة - في عصر النبوة - حمل فيها

الوحي مختلف أحكام العبادات والمعاملات ونظم الحياة؛ والتف الصحابة - - حول النبي - عليه الصلاة والسلام - يتلقون بيان تلك الأحكام التي نزل بها القرآن، فكان - ﷺ - يفسر لهم كتاب الله بأقواله وأفعاله . . . وسنته الجامعة(٤).

ثم عظم دور المدينة العلمي بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية، وحتى حين غدت دولة الخلافة الراشدة مترامية الأطراف ظلت المدينة المنورة عاصمة علمية وسياسية، فلما تحولت الإمارة إلى دمشق على عهد الأمويين بقيت دار الهجرة مركز العلم لبقاء جمهور علماء الصحابة - - بها.

وخلال القرن الأول للهجرة شهدت المدينة المنورة ظهور جيلين من أعلام المفسرين:

جيل المؤسسين من طبقة الصحابة - - وجيل التابعين الذين أخذوا عنهم، واشتهرت معهم المدرسة.

المبحث الأول
شيوخ مدرسة المدينة من طبقة الصحابة

هؤلاء تلقوا - - العلم من صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وينقسمون - بدورهم - إلى جيلين: كبار الصحابة الذين هم المؤسسون الفعليون، وصغارهم الذين أخذوا عنهم كما أخذوا عن النبي - ﷺ.

وبين كبار الصحب اشتهر أبي بن كعب - # - بالعلم بالقراءة والتفسير، ورغم تقدم وفاته، فقد نقلت مروياته في التفسير عن طريق تلاميذه من كبار التابعين، وذكرت كتب الآثار أن له صحيفة في التفسير(٥).

المطلب الأول: المفسرون المؤسسون الذين تلقوا علمهم عن النبي عليه الصلاة والسلام اشتهر بين شيوخ مدرسة المدينة طائفة من كبار الصحابة - -، وكان الناس في زمنهم يرجعون إليهم لأنهم أخذوا عن صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام علماً مباركاً.

ويأتي الخلفاء الراشدون الأربعة في مقدمة الشيوخ، وقد تضمنت كتب الحديث والآثار الكثير من مرويات التفسير المنقولة عنهم مرفوعة أو موقوفة[٦]، وكان أكثر الأربعة رواية للتفسير علي بن أبي طالب # ، أما الرواية عن الخلفاء الثلاثة قبله فهي قليلة لتقدم زمن وفاتهم[٧].

وإذا كان الخلفاء الراشدون المهديون قد ساهموا بعلمهم في تأسيس مدرسة المدينة، فإن ظهور هذه المدرسة وتميزها ثم استمرارها خلال عصر التابعين يرجع إلى الصحابي الجليل أُبي بن كعب # .

كان أبو المنذر **أُبي بن كعب** بن قيس الأنصاري ت٢١هـ[٨] أحد فقهاء الصحابة[٩] وأقرأهم لكتاب الله[١٠]، شهد العقبة وبدرا ومابعدهما وكان سيدا جليل القدر[١١].

قال الذهبي ت ٧٤٨هـ في ترجمته:

«جمع القرآن في حياة النبي ﷺ ، وحفظ عنه علمًا مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل #»[١٢].

وقال ابن الجزري ت ٨٣٣ هـ في "غاية النهاية":

«سيد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، قرأ على النبي ﷺ القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي ﷺ بعض القرآن للإرشاد والتعليم»[١٣].

روى تلميذه أبو العالية:

«كان أُبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم»[١٤].

ولأُبي - # - في الكتب الستة نيف وستون حديثاً[١٥].

واشتهر كذلك بالمدينة طائفة من الصحابة القراء الذين أخذ عنهم التابعون القرآن والتفسير، وكان مصطلح «القراء» يطلق في الصدر الأول على حاملي القرآن العالمين بتفسيره، والقادرين على استنباط أحكامه، فكان «القراء» حاملي القرآن ومفسريه أيضاً[١٦].

قال ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ:

«ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولاكان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم أو من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة، أمية، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الإسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة»[١٧].

وكان القراء لاتصافهم بما سبق أهل فقه وأهل رأي، فكانت الفتيا والحل والعقد يرجع إليهم خاصة على عهد الخلافة الراشدة[١٨].

أخرج ابن سعد. ت ٢٣٠هـ في الطبقات الكبرى "باب أهل العلم والفتوى من أصحاب الرسول ﷺ" عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه: "أن أبابكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه ودعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، دعا عمر وعثمان وعليا وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافة أبي بكر، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء، فمضى أبوبكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، وكانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان وأُبي وزيد»[١٩].

وفي الجامع الصحيح للإمام البخاري. ت٢٥٦هـ "باب خذ العفو وأمر بالعرف.." عن ابن عباس رضي الله عنهما «... وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا..»[٢٠].

ومن مشاهير "القراء" حاملي القرآن العالمين بتفسيره، وأعلام فقهاء المدينة النبوية من طبقة الصحابة :

سعد بن عبيد أبوزيد القارئ الأنصاري - # - أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبوة، قتل بالقادسية سنة ست عشرة[٢١].

صهيب بن سنان بن مالك أبويحيى كان من الصالحين والقراء توفي بالمدينة ٣٨هـ[٢٢].

زيد بن ثابت بن الضحاك، من فقهاء الصحابة وجلة الأنصار ت ٤٥هـ[٢٣].

عبدالرحمن بن المنذر أبوحميد الساعدي الخزرجي ت ٦٠هـ[٢٤] كان من صالحي الأنصار وقرائهم[٢٥].

سعد بن مالك بن سنان أبوسعيد الخدري المتوفى بالمدينة ٦٤هـ[٢٦].

خويلد بن عمرو أبو شريح الكعبي، من جلة الصحابة وقرائهم مات بالمدينة ٦٨هـ[٢٧].

عبدالله بن سعد أبوخيثمة الأوسي الأنصاري كان من المعدودين في القراء[٢٨].

عبدالله بن عمر بن الخطاب أبوعبدالرحمن، كان من صالحي الصحابة وقرائهم وزهادهم، توفي وهو حاج بمكة سنة ٧٣هـ[٢٩].

سلمة بن الأكوع أبو عامر من جلة الصحب وعلمائهم، مات بالمدينة ٧٤هـ[٣٠].

جابر بن عبدالله بن عمرو أبوعبدالله المتوفى بالمدينة سنة ٧٨هـ[٣١].

ومن المكثرين من أعلام مدرسة التفسيربالمدينة على عهد الصحابة أيضاً:

عبدالرحمن بن صخر الدوسي أبوهريرة # ، أخرج مروياته في التفسير الشيخان وغيرهما من المصنفين في الحديث والآثار[٣٢]، وكما روى أبوهريرة عن النبي ﷺ روى عن السابقين من الصحابة مأُبَي بن كعب[٣٣] وبين نساء بيت النبوة اشتهرت من أمهات المؤمنين:

عائشة بنت أبي بكر الصديق $ ، ونقلت مروياتها في التفسير من طريق عروة بن الزبير – خاصة – وابنه هشام بن عروة[٣٤].

المطلب الثاني: أُبي بن كعب – لله – شيخ مدرسة التفسير بالمدينة المنورة

كانت مكانة أُبي – # – في مجتمع "يثرب" تؤهله ليحظى بدور هام في دولة الإسلام التي أقامها الرسول (ﷺ) عقب هجرته؛ وقد ورد الكثير من الآثار

الدالة على أنه أول كاتب اتخذه النبي (عليه الصلاة والسلام) بعد استقراره بالمدينة، ولايزال الكثير من الكتابات التي ترجع إلى عصر النبوة تحمل اسمه[٣٥].

ولم يقتصر أُبي - # - على القيام بهذه المهمة التي قلّ من أُسندت إليه في زمنه[٣٦]، بل ازداد تشريفاً بعد أن أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يقرأ عليه القرآن ويعرضه بين يديه، ثم أصبح - # - أحَد أربعة صحابة خزرجيين جمعوا القرآن في حياته ﷺ، وهذه الميزات كلها أهلته ليكون مرجعاً في القراءة والتفسير، فجلس إليه الصحابة - - أنفسهم يأخذون عنه العلمين معًا. أخرج البخاري - واللفظ له - وابن أبي شيبة والنسائي وأحمد وغيرهم عن أنس # :

" قال النبي ﷺ لأُبي: إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)[٣٧]، قال: وسماني؟ قال: نعم، فبكى»[٣٨].

ورُوي عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما:

«سمعت النبي- ﷺ- يقول: خذوا القرآن من أربعة - وفي جامع الإمام مسلم استقرئوا القرآن من أربعة - من عبدالله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب»[٣٩].

وعند البخاري ومسلم عن أنس # قال:

«جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: معاذ ابن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبوزيد»[٤٠].

اعتبارا لما تقدم لم يكن غريباً أن يصبح أُبي شيخاً للعلم يتلقى عنه الصحابه عنه الصحابة والتابعون على السواء قراءة القرآن وتفسيره.

قال ابن الجزري تـ ٨٣٣ هـ:

«قرأ عليه القرآن من الصحابة ابن عباس وأبوهريرة وعبدالله بن السائب - ومن التابعين عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبدالله بن حبيب وأبوعبدالرحمن السلمي وأبوالعالية الرياحي»[٤١].

وذكر ابن كثير الدمشقي تـ ٧٧٤هـ في ترجمة سعيد بن العاص أن أُبيًّا «كان في جملة الاثني عشر رجلاً الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه»(٤٢).

وممن روى عنه التفسير من الذين سمعوا منه وحدثوا عنه: «بنوه محمد والطفيل وعبدالله، وأنس بن مالك وابن عباس وسويد بن غفلة وزر بن حبيش وأبوالعالية الرياحي... »(٤٣)، ويعتبر مسند الإمام أحمد من أهم مصادر التفسير المروي عنه حيث تضمن "مسند الأنصار" - - بابا خصص لحديث "أبي المنذر أُبي بن كعب"(٤٤).

المبحث الثاني
التفسير المنسوب لأبي - * - ورواته

كثر تلاميذ أُبي - - من الصحابة والتابعين رغم تقدم وفاته، وقد تناقلت كتب الآثار أخبارا عن «صحيفة التفسير»(٤٥) التي نقلها مشاهير التابعين الذين أخذوا عنه، وقد انتهت مرويات هذه الصحيفة إلى أبي جعفر الرازي وأخرج بعض أحاديثها الإمام أحمد ومن جاء بعده من أعلام المفسرين الأثريين.

المطلب الأول: أشهر رواة تفسير أُبي بن كعب لله

نقلت مرويات أُبي في التفسير من قبل الكثير من تلاميذ مدرسة المدينة، سواء أكانوا من طبقة الصحابة - - أم من طبقة التابعين كما تقدم ذلك.

١- **أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي** ت ٥٩هـ، وقد تضمن مسند الإمام أحمد وأكثر كتب التفسير الأثري مرويات هذا الصحابي عن أُبي(٤٦).

٢- **عبدالله بن عمرو بن العاص** تـ ٦٣هـ ٪، وهو من شيوخ ومؤسسي مدرسة التفسير بمصر(٤٧).

٣- عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب تـ ٦٨هـ ٪، الذي كان أكثر الصحابة أخذاً عن أُبي الطفيل حتى قيل «عامة علم ابن عباس من ثلاثة: عمر وعلي وأُبي»[٤٨]؛ وحَبر الأمة عبدالله بن عباس هو شيخ ومؤسس مدرسة التفسير بمكة، وقد تضمن مسند الإمام أحمد، والمعجم الكبير للطبراني، وجامع البيان لابن جرير الكثير من مرويات ابن عباس عن أُبي في التفسير[٤٩].

٤- سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري[٥٠]، وقد نقلت طائفة من مروياته ضمن المسند[٥١] وفي بعض التفاسير المتأخرة[٥٢].

٥- أنس بن مالك الأنصاري تـ ٩٣هـ، وقد أخرج بعض مروياته الإمام النسائي والإمام أحمد[٥٣].

٦- الطفيل بن أُبَي بن كعب[٥٤] روى عن أبيه شيئاً يسيرا في التفسير[٥٥].

٧- أبوسعيد بن المعلى الأنصاري المدني المتوفى ٧٤هـ[٥٦].

هذا بالإضافة إلى العديد من التابعين الذين سمعوا من أُبي ورووا عنه، وسيتم الكلام عنهم لاحقاً.

المطلب الثاني: صحيفة التفسير المنسوبة إلى أُبَي بن كعب - # - ذهب بعض المؤرخين والدارسين ممن كتبوا عن أبي الطفيل إلى القول بأن له «نسخة كبيرة يرويها أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه»[٥٧]. والحق أننا نصادف الكثير من المرويات المنقولة عن أُبي بهذا الإسناد؛ فقد تضمن حديثه في مسند الأنصار عند الإمام أحمد باباً خاصاً ترجم له بـ «حديث أبي العالية الرياحي»[٥٨].

وفي جامع البيان نجد ابن جرير يخرج بأسانيده إلى أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أُبَي بن كعب الأنصاري(٥٩).

ونجد الشيء نفسه في مستدرك الحاكم وفي تفاسير ابن أبي حاتم والبغوي وابن كثير وغيرهم. . . (٦٠).

والذي يبدو – والله أعلم – أن "نسخة تفسير أُبَي" كانت صحيفة تتضمن تفسير أجزاء من القرآن، جمعها أشهر أعلام مدرسة المدينة من طبقة التابعين: رفيع بن مهران الرياحي أبو العالية ت٩٠هـ(٦١)، لكن هذه النسخة لم تكن تفسيراً شاملاً لجميع آيات القرآن(٦٢).

وكان **أبو العالية** راوي الصحيفة عن أُبَي قد أسلم «في عامين بعد موته ﷺ»(٦٣)، وقرأ القرآن على أُبَي وغيره وسمع من عمر وابن مسعود وعائشة وطائفة(٦٤).

وروى عن أبي موسى وأبي أيوب وأُبَي بن كعب وثوبان وحذيفة وابن عباس وابن عمر ورافع بن خديج وأبي سعيد . . . (٦٥)، وصح أنه عرض على عمر(٦٦).

قال أبوبكر بن أبي داود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن منه وبعده سعيد بن جبير»(٦٧).

وقال الداودي في "طبقات المفسرين": «وله تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري»(٦٨).

أما راوي التفسير عن أبي العالية **الربيع بن أنس** الخراساني البكري فقد سمع أنس بن مالك(٦٩)، وروى عنه وعن أبي العالية والحسن البصري(٧٠) وأرسل عن أم سلمة.

وروى عنه أبوجعفر الرازي والأعمش وغيرهما(٧١). . .

أما **أبو جعفر** الذي انتهى إليه تفسير أُبَي، فهو عيسى بن عبدالله بن ماهان التميمي(٧٢)، قال البخاري في "التاريخ الصغير": «سمع عطاء والرّبيع ابن أنس ومنصور وعمرو بن دينار، سمع منه وكيع وأبونعيم»(٧٣).

قال ابن سعد: «أبوجعفر الرازي. . . من أهل مرو من قرية يقال لها بُرْز، وهي القرية التي نزلها الربيع بن أنس أولاً، وبها سمع أبوجعفر من الربيع ابن أنس ثم تحول أبوجعفر بعد ذلك إلى الري فمات بها(٧٤).

غير أن تفسير أُبَي الذي رواه أبوجعفر عن الربيع عن أبي العالية لم يخرج منه البخاري ولامسلم ولاالترميذ - من أصحاب الجوامع - شيئاً، في حين نجد مرويات منه في المسند وكتب التفسير ابتداء من الطبري.

وربما يرجع السبب في ذلك إلى:

آ- ماقيل عن أبي العالية من أنه وإن كان مجمعاً على ثقته «إلا أنه كثير الإرسال عمن أدركه»(٧٥).

ب - وماقيل عن الربيع «صدوق له أوهام رُمي بالتشيع»(٧٦).

ج- وقد يرجع سبب رد هذا التفسير من قِبل المصنفين في الصحيح إلى تجريح بعض الأئمة لأبي جعفر الرازي.

فقد قال فيه أحمد بن حنبل: "ليس بقوي في الحديث"(٧٧).

وقال ابن حبان البستي في ترجمة الربيع بن أنس: «وكل مافي أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي»(٧٨).

المبحث الثالث

شيوخ مدرسة المدينة من طبقة التابعين

الطبقة الثانية من أعلام مدرسة المدينة خلال القرن الأول جل رجالها من تلاميذ أُبَي # ، سواء الذين رووا عنه سماعاً، أم من كانت روايته مرسلة، ويمكننا أن نميز في هذه الطبقة بين جيلين:

كبار التابعين الذين تحملوا مرويات أبي الطفيل سماعًا.

وصغار التابعين الذين جاؤوا بعد وفاته فأخذوا عن تلاميذه وغيرهم.

المطلب الأول: أعلام مدرسة المدينة من كبار التابعين

فضلاً عن أبي العالية - الذي سبق الكلام عنه - فإن أشهر التابعين الذين سمعوا من أُبَي # :

١- ابنه محمد بن أُبَي الأنصاري المدني أبومعاذ، وردت مروياته عند الإمام أحمد وفي كتب التفسير التي أخذت عن المسند[٧٩].

٢- عبدالله بن رباح المدني الأنصاري المتوفى في حدود ٩٠هـ[٨٠].

٣- أبوسعيد مولى عامر بن كُرَيز، قال ابن عبدالبر: «وهو تابعي معدود في أهل المدينة، لايوقف له على اسم»[٨١]، وقد سمع من أبي سعيد - هذا - مالك بن العلاء شيخ الإمام مالك بن أنس[٨٢].

٤- مسروق بن عبدالرحمن الهمداني ت٦٢هـ[٨٣].

(أما التابعون الذين أرسلوا عن أُبَي بن كعب - # - فمنهم):

٥- عمرو بن سالم أبوعثمان المدني الأنصاري «رأى ابن عباس وابن عمرو وأرسل على أُبَي بن كعب»...[٨٤].

٦- أبوعبدالله مكحول المتوفى بدمشق١١٢هـ[٨٥]...

المطلب الثاني: أعلام مدرسة التفسير بالمدينة من صغار التابعين

اشتهر إلى جانب الأعلام السابقين مجموعة من صغار التابعين عرف عنهم علمهم بتفسير القرآن، وكان لهم أثر في مدرسة المدينة آخر القرن الأول للهجرة، وأبرزهم:

١- محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبوحمزة المدني ت١٠٨هـ[٨٦]، أحد مشاهير علماء التابعين بالمدينة[٨٧]، قال عنه العجلي: «مدني تابعي ثقة ... عالم بالقرآن»[٨٨]؛ وقد جمع ابن كثير في "البداية والنهاية" جملة من الآثار الشاهدة لعلمه بالتفسير وحفظه[٨٩].

قال ابن حجر في ترجمته:

«. . . روى عن العباس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وعمرو بن العاص وأبي ذر وأبي الدرداء، يقال إن الجميع مرسل.

وعن فضالة بن عبيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكعب بن عجرة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن يزيد الخطمي، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب والبراء وجابر وأنس وغيرهم. . »[٩٠].

وقد ذكر د. محمد فؤاد سزكين في "تاريخ التراث العربي" التابعي محمد بن كعب القرظي مع الذين كتبوا التفسير في عصر بني أمية[٩١].

٢- يزيد بن القعقاع مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المشهور بأبي جعفر القارئ، وقد ترجم له ابن حبان البستي مع مشاهير التابعين بالمدينة، وذكر أنه «ممن كان قد عني بعلم القرآن مع النسك والورع مات سنة ١٣٣هـ»[٩٢].

٣- زيد بن أسلم العدوي أبوعبدالله المدني مولى عمر بن الخطاب[٩٣] المتوفى عام ١٣٩هـ[٩٤].

قال ابن عبدالبر النمري:

«كان أسلم من جلة الموالي علمًا وديناً وثقة.

وزيد بن أسلم أحد ثقات أهل المدينة، كان من العلماء العباد الفضلاء، وزعموا أنه كان أعلم أهل المدينة بتأويل القرآن بعد محمد بن كعب القرظي»[٩٥].

وفي "طبقات المفسرين" للداودي:

«يروي عن مولاه عبدالله بن عمر وسلمة بن الأكوع وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وعطاء بن يسار وعلي بن الحسين وعدة . . . ؛ وعنه مالك وهشام بن سعد والسفيايان . . . ، وكانت له حلقة للعلم في مسجد النبي ﷺ»[٩٦].

قال عنه يعقوب بن شيبة " «ثقة من أهل الفقه والعلم، وكان عالماً بتفسير القرآن»[٩٧].

وقال الذهبي:

«قلت: ولزيد تفسير يرويه عنه ولده عبدالرحمن وكان من العلماء الأبرار»[٩٨].

وعبدالرحمن بن زيد تـ ١٨٢هـ[٩٩] هو ناقل هذا التفسير الذي دَوّن منه عدد من علماء القرن الثاني تفاسيرهم، وقد اشتهر تفسير التابعي زيد بن أسلم بمصر بعد أن نقله إليها عبدالرحمن بن وهب عن عبدالرحمن بن زيد عن أبيه...

ثانيا: مدرسة التفسير بالمدينة المنورة: أسباب شهرتها وخصائصها

كانت المدينة المنورة هي الوسط الذي اختارته الحكمة الإلهية ليكون موطن الشرع ودار الإسلام الأولى، اعتبارا لذلك كانت بيئة هذا البلد هي المهد الذي احْتضن أحكام الإسلام، قبل أن تنطلق منه لتنتشر في ربوع العالم.

وقد اجتمعت في ذلك الوسط عدة عوامل كان لها أثر بارز في شهرة هذه المدرسة، وفي شهرة أعلامها من مفسري الصدر الأول.

كما امتازت هذه المدرسة بعدة خصائص جعلت لها مكانة في تاريخ تفسير القرآن.

المبحث الأول
أسباب شهرة مدرسة المدينة

درج العديد من مؤرخي التفسير ودارسيه قديماً وحديثاً على اعتبار مدرسة التفسير بمكة التي كان شيخها عبدالله بن عباس - ٪- هي أهم وأشهر مدارس تفسير القرآن خلال القرن الأول، والحق أن مدرسة المدينة هي أقدم المدارس وأكثرها أعلامًا، إذ هي التي جمعت علم السابقين من المهاجرين والأنصار، ولم تكن مدرسة مكة ولامدارس التفسير غيرها إلا روافد تفرعت من دار العلم الأولى التي هي المدينة.

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور ثم اشتهار هذه المدرسة في الآتي:

أولاً: استقراره عليه الصلاة والسلام بالمدينة، ونزول الكثير من أحكام الإسلام بين أهلها.

ثانياً: ارتباط المدينة بكونها دار هجرة واستيطان غالبية الصدر الأول فيها.
ثالثاً: اعتبار المدينة من قبل المسلمين "دار علم".

المطلب الأول: استقراره ﷺ بالمدينة المنورة

قضت حكمة الله تعالى أن يهاجر النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الأوائل - - من مكة إلى المدينة حيث أظهر الله دينه..، وكانت هجرته إيذاناً بميلاد أرض الإسلام الأولى.

فاستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة مبلغاً عن ربه مكملاً للناس دينهم، وكان أكثر ما نزل من القرآن بالمدينة يعرض للتشريع، وقد جاء أسلوب القرآن في خطابه للناس مجملاً وعاماً ومطلقاً وغير ذلك، ومعرفة مايلزم المكلف تتوقف على البيان بتفصيل المجمل، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتعيين الناسخ والمنسوخ..، فكان عليه الصلاة والسلام يفسر لصحابته ماأنزل إليهم بسنته الجامعة.

وكان تفسيره - ﷺ - لأحكام القرآن في بيئة المدينة عاملاً ممهداً لظهور مدرسة التفسير بموطن الهجرة..، حيث إن المرويات المتصلة بهذا العلم اشتهرت في هذه البيئة، وتناقلها ورواها الأنصار والمهاجرون ومن سكن بينهم.

المطلب الثاني: ارتباط المدينة المنورة بكونها دار هجرة

وهذا أحد عوامل شهرة مدرسة التفسير بالمدينة المنورة، فقد سكنها أوائل الصحب الذين جاؤوا مهاجرين من مكة، فآخى النبي - ﷺ - بينهم وبين أهلها من الأنصار، وبحكم كونها دار الإسلام الأولى فقد لزمت الهجرة إليها بالنسبة للصحابة قبل عام الفتح.

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام، ظل فيها جمهور الصحب - - لفضل الهجرة، وعقب تولي الفاروق - # - الخلافة حرص على استبقائهم معه، لفضل إخلاصهم لدينهم ولغزير علمهم[١٠٠]، وبعد عصر الخلافة الراشدة ظل

عامة السابقين في الإسلام بالمدينة، فكانت بيئة هذا البلد على عهد الصحابة ثم التابعين من تلاميذهم بيئة نموذجية علماً وعملا.

وكان ماسمع منه - ﷺ - في فضل المدينة وسكناها حافزا أبقى جمهور المهاجرين والأنصار يرغبون عن غيرها إلا من خرج منهم مجاهداً أو والياً أو معلمًا، فاجتمع بذلك في دار الهجرة مالم يجتمع بغيرها من فقهاء وعلماء الصدر الأول من السلف الصالح.

ففي جامع الإمام مسلم عن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله ﷺ «يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يُبِسُّون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم يفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم يفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[١٠١].

وأخرج الإمام مسلم في "فضل المدينة" أيضاً عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «... المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لايدعها أحد، رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه..»[١٠٢].

وقَدَرُ الله سبحانه مَاض - إلى يوم القيامة - كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ، فلم تخل المدينة المنورة على عهد الصدر الأول من أهل العلم والفضل، بل ظلت موطن جلة السلف ومارحل عنها أحد إلا عوضه الله بأفضل منه.

وبقيت دار الهجرة - بسبّب ذلك - موطن الشرع، وظل ساكنُوها أعلم الناس بهدي النبوة، وحرص أهلها من الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا الميراث الذي خصهم الله به، لسابق نصرة الأوس والخزرج لنبيه دون سائر قبائل العرب؛ وظل فيهم هذا الميراث - دون غيرهم - طيلة عصر السلف الصالح. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية تـ٧٢٨هـ عن "صحة مذهب أهل المدينة" من الصدر الأول فقال رحمه الله:

«...، مذهب أهل المدينة النبوية - دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة إذ فيها سن الله لرسوله محمد - ﷺ - سنن الإسلام وشرائعه، وإليها هاجر المهاجرون

إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار (الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم)[١٠٣] - مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقاً وغرباً في الأصول والفروع»[١٠٤].

المطلب الثالث: اعتبار المدينة المنورة - من قبل المسلمين - دار علم

كانت دار الهجرة على عهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين موطن العلم الشرعي - ومستوطن جلة فقهاء الأمة وخيرة رجالها.

أخرج الإمام البخاري في الجامع الصحيح عن ابن عباس أنه رفع إلى عمر بن الخطاب # في آخر حجة حجها كلام رجل من المسلمين في بيعة أبي بكر وعمر ٪، فغضب عمر وأراد أن يقوم خطيباً في الناس. فَصَرَفَهُ عن ذلك عبدالرحمن بن عوف حتى يقدم المدينة...

«قال عبدالرحمن: فقلت ياأمير المؤمنين لاتفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لايعوها وأن لايضعهوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ماقلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك. ويضعوها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة..»[١٠٥].

ورغم انقضاء القرن الأول الذي عاش فيه جمهور الصدر الأول، احتفظت دار الهجرة بهذه المكانة العلمية، فكان الأئمة والعلماء يرون لأهل المدينة من السلف فضلاً في العلم والفقه.

ففي رسالة الإمام مالك تـ ١٧٩هـ إلى الليث بن سعد فقيه مصر وإمامها:

«. . فإنما الناس تبع لأهل المدينة إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام، إذ رسول الله ﷺ بين أظهرهم يَحْضُرُونَ الوحي والتنزيل، يأمرهم فيطيعون، ويسن لهم فيتبعون، حتى توفاه الله»(١٠٦).

وفي جواب الليث بن سعد رحمه الله:

«. . . وإن الناس تبعٌ لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحدًا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذاً لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني، والحمد لله رب العالمين لاشريك له، وأما ماذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه وماعلمهم الله منه وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه فكما ذكرت. .»(١٠٧).

وقد شهد بهذه المكانة العلمية للمدينة أولو الأمر من الخلفاء؛ فبعد نقل الخلافة إلى العراق وتولى أبي جعفر المنصور للحكم؛ رأى لأهل المدينة النبوية فضلاً في العلم - على سائر المدائن - «فطلب أبوجعفر علماء الحجاز أن يذهبوا إلى العراق، وينشروا العلم فيه، فقدم عليهم هشام بن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد الأنصاري وربيعة بن أبي عبدالرحمن وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي وعبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون وغير هؤلاء. . .»(١٠٨).

وذكر القاضي عياض في "ترتيب المدارك" أن أبا نعيم سأل مالكاً عن شيئ؛ فقال له مالك: «إن أردت العلم فأقم - يعني بالمدينة - فإن القرآن لم ينزل على الفُرات»(١٠٩).

وتبعاً لاعتبار المدينة - على عهد الصدر الأول - دار علم فإن سائر أمصار المسلمين - غير الكوفة - كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لايعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم كأهل الشام ومصر. .(١١٠).

المبحث الثاني
خصائص مدرسة التفسير بالمدينة المنورة

انطبعت مدرسة التفسير بالمدينة بخصائص انفردت بها عن سائر المدارس التي شهدها القرن الأول الهجري.

وكانت هذه الخصائص نابعة بالأساس مما امتازت به المدينة المنورة، حيث إنها آوت الرسول- ﷺ - بعد هجرته، وعاش فيها أعلام صحابته الذين نقلوا هديهُ لمن جاء بعدهم.

ويمكن إجمال خصائص هذه المدرسة في ثلاثة أمور رئيسة:

الخاصية الأولى: كونها مدرسة نبوة.

الخاصية الثانية: اعتمادها على الأثر وترجيحه على الأخذ بالرأي.

الخاصية الثالثة: كونها مدرسة رواية.

وسيتم التعرض لهذه الخصائص في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مدرسة التفسير بالمدينة هي مدرسة نُبوة

فقد توارث أهلها من الصدر الأول هدي الرسول ﷺ، وحكّموه في جميع أمور حياتهم، حتى أضحى "القول بالرأي" في شيء من العلم بالنسبة لهم إنما يعني ترجيح ماكان عليه الصحابة الذين أدركوا الوحي.

وكان المتقدمون من علماء المدينة حينما يتكلمون في العلم برأيهم إنما يقصدون "بالرأي" ماأدركوا عليه أسلافهم من علماء التابعين والصحابة حتى عصر النبوة.

سئل الإمام مالك تـ ١٧٩هـ عما تضمنه الموطأ من استنباطات فقال:

«... أما أكثر مافي الكتاب برأيي، فلعمري ماهو برأيي؛ ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى، فكثر علي، فقلت رأيي، وذلك رأيي إذ كان رأيهم رأي

الصحابة الذين أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك، فهذا وراثة، توارثوها قرنا عن قرن إلى زماننا»[111].

وفي نفس المعنى قال سعدون الورجيني نظما:

«أقــول لمن يروي الحـــديث ويكتب

ويسلك ســبل العلم فــيــه ويطلب

إن أحــببت أن تدعى لدى الحق عــالماً

فلا تعد مايحوى من العلم يثرب[112]

أتتـــرك داراً كــان بين بيـــوتهـــا

يروح ويغـــدو جـــبـــرئيل المقـــرب

ومــات رســول الله فــيــهــا وبعــده

بسنتـــه أصــحـــابه قـــد تأدبوا»[113]

وقد كان لاختصاص دار الهجرة به -عليه الصلاة والسلام- أثر في استمرار إشعاعها الرسالي حتى بعد وفاته ﷺ، فقد كان الصحابة والذين خلفوا من بعدهم من هذه الأمة يرون المدينة دار نبوة ويرون أهلها من الصدر الأول وارثي هدي النبوة...

فعلى عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - كان ابن مسعود ت ٣٢هـ «يُسأل عن شيء فيقول فيه، ثم يقدم المدينة، فيسأل فيجد الأمر على خلاف ماقال؛ فإذا رجع لم يحط رحله ولم يدخل بيته حتى يرجع إلى ذلك الرجل فيخبره بذلك»[114].

وبعد انصرام القرن الأول كان الأئمة المجتهدون يرون في علم السلف من أهل المدينة ميراث نبوة.

قال الإمام مالك في رسالته إلى الإمام الليث بن سعد:

« . . . فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولا به لم أرَ لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لايجوز لأحد انتحالها ولاادعاؤها»(١١٥) .

« . . . ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة ، لافي تلك الأعصار ولافيما بعدها ، ولاإجماع أهل مكة ، ولاالشام ولاالعراق ولاغير ذلك من أمصار المسلمين»(١١٦) .

المطلب الثاني: مدرسة المدينة مدرسة أثر

فقد اتجه مشاهير فقهاء دار الهجرة وأعلام المفسرين فيها إلى الاعتناء بالآثار وترك مجرد التعويل على الرأي . ، وكان لتوجههم إلى الأثر انعكاس على استنباطاتهم . الفقيهة وعلى منهجهم في تفسير القرآن وتتبع أحكامه .

أخرج الطبري بسنده إلى عبيد الله بن عمر – #– قال : «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبدالله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسبب ونافع»(١١٧) .

وأخرج أبوعبيد عن هشام بن عروة قال : «ماسمعت أبي يتأول آية من كتاب الله قط»(١١٨) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمرو بن مرة قال : «سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ؛ فقال : لاتسألني عن القرآن ، وسل عنه من يزعم أنه لايخفي عليه منه شي – يعني عكرمة»(١١٩) . . .

ولاتعني هذه الأقوال المأثورة عن مشاهير التابعين بالمدينة النبوية أنهم يحرمون التفسير أو يتحرجون منه ، بل أقوالهم تدل على احتياطهم ثم حرصهم على تفسير القرآن بما بلغهم من سنة المصطفى ﷺ، فهم حين يعظمون القول في كتاب الله ، إنما يعظمون الكلام فيه من غير نقل أو دليل لاشاهد له من كتاب وسنة(١٢٠) .

وكان من نتيجة تمسك علماء المدينة الأعلام بالأثر وترك تعويلهم على الرأي الذي لايرجع إلى نص من الوحي أن انعَدَمَ في بيئتهم أهل الأهواء الذين استغلوا

بيئة الرأي بالعراق وغيرها من المدائن، وكان أهل الرأي المذموم مقموعين إذا اظهروا بدعهم بالمدينة، والقليل منهم ممن استوطنها زمناً ظل مستخفيا مقهوراً(١٢١).

قال ابن تيمية في وصف أقليات أهل الأهواء من دعاة الرأي بالمدينة المنورة زمن السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

«. . . وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهانا مذموماً، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، لكن كانوا مذمومين مقهورين، بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة والنصب بالشام فإنه كان ظاهراً»(١٢٢).

المطلب الثالث: مدرسة المدينة مدرسة رواية

تصدى الصدر الأول من أهل مدينة الرسول عليه السلام لرواية الحديث فاهتموا بحمله وأدائه، وتناقلوه جيلاً بعد جيل سواء تعلق الأمر بأحاديث التفسير أو الأحكام أو السير. . .

ولما اتجهت الهمة إلى تدوين الحديث النبوي على عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز آخر القرن الأول الهجري كانت مرويات أهل المدينة أصح الأحاديث، فابتدأ الخليفة بتدوين السنن التي تناقلها أهل دار الهجرة، وكان ابن عبدالعزيزيعلم عنايتهم وضبطهم خاصة وقد ساكنهم أرض الرسالة أيام كان والياً على الحجاز. أخرج الخطيب البغدادي بسنده إلى عبدالله بن دينار أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أبوبكر بن حزم – عامله على المدينة –: «انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة أو حديث عمرة فاكتبه، فإني قد خشيت دروس العلم وذهاب العلماء»(١٢٣).

وأخرج ابن عبدالبر بسنده عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول «كان عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى وأن يعملوا بما عندهم»(١٢٤).

لقد كانت مدرسة المدينة المنورة مدرسة رواية ومدرسة حديث، ولم تبلغ أي من مدائن الإسلام مكانتها خصيصى من الله لَمَّا جعل هجرة رسوله إليها، واختارها مهبطاً للوحي وداراً لنصرة دينه.

وكان من استقراره - عليه السلام - بين أهلها مُبَلِّغا عن ربه مبيّنا لكتابه تعالى أن انتشرت في بيئتها سنته وحملها ورَوَاها من سكن المَدينة من صحابته، فعُرفَت دار الهجرة بين الأئمة والعلماء - خاصة بعد انتهاء القرن الأول - بأنها دار حدَيث ودار إسناد ودار رواية...

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: «من أراد الإسناد والحديث المعروف الذي تسكن إليه القلوب فعليه بحديث أهل المدينة»(١٢٥).

وقال ابن تيمية في نفس الموضوع:

«إن العلم: إما رواية وإما رأي.

وأهل المدينة أصح أهل المدن رواية ورأيا؛ فأما حديثهم فأصح الأحاديث، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث أحاديث أهل المدينة»(١٢٦).

وإذا كان تفسير القرآن منذ عصر الصحابة قد درج في اتجاهين وسلك به المفسرون سبيلين، ففسِّر القرآن بالمنقول كما فسر بالرأي، فإن أعلام مدرسة التفسير بدار الهجرة استندوا في فهمهم للقرآن على المنقول عنه ﷺ الذي كانت تزخر به بيئتهم، فكان تفسير الصدر الأول منهم - كما نقل عنهم ذلك في كتب الحديث والآثار -تفسيراً بالرواية بالدرجة الأولى خلافاً لذلك نجد مدارس التفسير الأخرى بمختلف الأمصار - لبُعْد الناس عن دار السنة - اعتمدت المنقول الذي بلغها كما أعملت الرأي، وفي مدرسة التفسير بمكة - الأقرب إلى المدينة - نجد ابن عباس شيخ المدرسة يفسر القرآن بالمأثور كما يرجع إلى الرأي اعتماداً على مطلق اللغة أو مقتضي معنى الكلام، واشتهر عنه في هذا المجال الرجوع إلى الشعر والاستفادة منه في معرفة الغريب من ألفاظ التنزيل(١٢٧).

ويبقى أن أخص ماميز مدرسة التفسير بدار الهجرة - فضلاً عن الخصائص السالفة - حرص أعلامها من مفسري الصحابة ثم الذين خَلَفُوا من بعدهم على التوقف في التفسير عند مالايتعلق به عمل.

أخرج ابن جرير الطبري عن محمد بن سيرين قال:

«جاء رجل إلى عمر فسأله عن آية فكره ذلك وضربه بالدرة. فسأله آخر عن هذه الآية ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾(١٢٨)، فقال عن مثل هذا فاسألوا»(١٢٩).

فقد كان من منهج مفسري دار الهجرة أن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلومًا فالزيادة على ذلك تكلف(١٣٠).

أخرج الطبري في "بيان ماكان يعده الصحابة تكلفاً" عن أنس بن مالك - # - قال: قرأ عمر بن الخطاب- #- ﴿عبس وتولى﴾، فلما أتى على هذه الآية ﴿وفاكهة وأبا﴾(١٣١).

قال: «قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ قال: لعمرك يابن الخطاب إن هذا لهو التكلف»(١٣٣).

فقد كان ديدن أعلام مفسري دار الهجرة التوقف عند مالايتعلق به عمل، معرضين عما لايفيد عملا مكلفا به(١٣٣).

قال الشاطبي - رحمه الله - (تـ ٧٩٠) في تعليقه على حادثة السؤال عن "الأب":

«... ويتبين ذلك في مسألة عمر، وذلك أنه لما قرأ ﴿وفاكهة وأبا﴾ توقف في معنى الأب، وهو معنى إفرادي لايقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي للآية، إذ هو مفهوم من حيث أخبر الله في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماء فأخرج به أصنافاً كثيرة مماهو من طعام الإنسان مباشرة...، ومما هو من طعامه بواسطة..، فبقي التفصيل في كل فرد من تلك الأفراد فضلاً، فلا على الإنسان أن لايعرفه؛ فمن هذا الوجه - والله أعلم - عد البحث عن معنى الأب من

التكلف . . . ولما كان السؤال في محافل الناس عن معنى ﴿والنازعات غرقا . . . والسابحات سبحا﴾[134] مما يشوش على العامة من غير بناء عمل عليه، أدب عمر صُبيغاً بما هو مشهور»[135].

ثالثا: مكانة مدرسة المدينة وأثرها في علم التفسير

لاريب أن هذه المدرسة اختصت بمكانة فريدة بين سائر مدارس التفسير في القرن الأول، وارتبطت هذه المكانة بالدور الذي كان للمدينة المنورة على عهد الصدر الأول باعتبارها مأخذ العلم الشرعي.

وقد تبوأت هذه المرتبة بالنسبة لمتقدمي هذه الأمة والمتأخرين من علمائها بفضل مايسره الله تعالى لمشاهير المفسرين والمحدثين والفقهاء من السلف الذين استوطنوا دار الهجرة؛ حيث كان هؤلاء الأئمة أعلام هدى اقتدى بهم من خلفَ من بعدهم، وأخذ عنهم من أقام بينهم من أهل المدائن الأخرى.

ومما لاشك فيه أيضاً أنه كان لمدرسة التفسير بالمدينة النبوية أثر في توجيه علم تفسير القرآن خلال القرون التالية لعصر السلف، ظهر ذلك الأثر من خلال ماأخرجه أصحاب الجوامع الحديثية عن أئمة العلم من أهل المدينة، كما ظهر أيضاً من خلال ماتضمنته أمهات التفاسير عن هؤلاء المتقدمين.

المبحث الأول

مكانة مدرسة المدينة بين مختلف المدارس الأخرى

شهد القرن الأول - كما سلف - ظهور عدد من مدارس التفسير ارتبطت كل واحدة منها ببعض مفسري الصحابة ، واشتهرت مدرسة الكوفة ومدرسة مكة ثم مدرسة الشام فمدرسة مصر . . .، ورغم تعدد هذه المدارس، فقد كانت مدرسة التفسير بالمدينة المنورة أم المدارس.

ظهرت هذه الميزة من خلال:

١ - كون مدرسة المدينة -- تاريخياً - أصل المدارس جميعها.
٢ - وأيضاً لخروج أحاديث التفسير منها.
٣- وأخيراً لأسبقيتها الزمنية.

المطلب الأول: مكانة هذه المدرسة باعتبارها أصل مدارس التفسير

يبدو ذلك جليا إذا نظرنا إلى تاريخ نشأتها، فمؤسس مدرسة المدينة الأول والفعلي هو الرسول - ﷺ - الذي تولى بيان القرآن لطبقة الصحابة الكرام

وبعد عصر النبوة تعلم الصحابة من بعضهم قبل أن ينفرد أعلام مفسريهم بمدارس نسبت إليهم فيما بعد؛ فابن مسعود # خرج إلى الكوفة في خلافة الفاروق #، وكان يتردد على المدينة ويسأل عما خفي عنه من تفسير القرآن حتى توفي بها سنة ٣٢هـ؛ وكان الفاروق قد أرسله إلى الكوفة معلماً ووالياً لبيت المال فاجتمع حوله طائفة من التابعين. . . (١٣٦).

أما علي بن أبي طالب - # - الذي أخذ عنه أهل الكوفة أيضاً، فقد كان أحد أعلام مفسري مدرسة المدينة قبل أن يلتحق بالعراق.

أما حَبْرُ الأمة عبدالله بن العباس شيخ مدرسة التفسير بمكة، فقد كان يتوسد رداءه على أبواب كبار الصحابة طلباً للحديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وروي عنه - # - (وجدت عامة علم رسول الله - ﷺ - عند هذا الحي من الأنصار، وإن كنت لأقيل بباب أحدهم. . .) وفي رواية أخرى عنه- # -قال: (كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله- › - من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك. . .، فجعلت أسأل أُبي بن كعب يومًا - وكان من الراسخين في العلم - عَمَّا نزل من القرآن بالمدينة. . .)(١٣٧).

وكان شأن شيوخ مدرسة الشام ومدرسة مصر كذلك، فقد كان عبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر - ٪ - من صغار الصحابة الذين أخذوا العلم بالمدينة ونقلوه إلى مصر؛ وكان معاذ بن جبل وأبو الدرداء وغيرهما من كبار الصحب

الذين انتقلوا من المدينة إلى الشام وتوفوا هناك فخلف كل واحد منهم طائفة من التابعين ممن حملوا علم التفسير . . .

نخلص مما سبق إلى أن مدرسة التفسير بالمدينة المنورة هي أصل جميع المدارس التي ظهرت في المدائن والحواضر الإسلامية ، وقد كانت هذه المدرسة بحق هي المشكاة التي صدر منها علم التفسير ثم انتشر في مختلف البقاع الإسلامية .

المطلب الثاني: خروج أحاديث التفسير من المدينة النبوية

كانت دار الهجرة هي البقعة الأولى التي شهدت التَطبيق العملي لمختلف الأحكام التي جاء بها القرآن ، ومن هذه البقعة المشرفة خرجت أحكام الإسلام للناس كافة ، وخرجت العلوم الشرعية كذلك .

فمن المدينة النبوية خرج علم التفسير وعلوم السنة وخرج الفقه ، وبها كان الرعيل الأول من هذه الأمة الذين أوتُمنوا علي هدي الرسول وميراث النبوة . . .

وحين نرجع إلى هذا الرعيل الأول الذي شكله جيل الصحابة - ، نجد منهم من آثر دار الهجرة عما سواها من المدائن ، فاستوطنها حتى توفي بها تاركاً ماحفظه من العلم في صدور أهل المدينة من التابعين ، أو حمّله من رَحَلَ من مختلف الأمَصار لطلب الحديث بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام . . . . ، وممّن سكن دار الهجرة وتوفي بها من علماء الصحابة أبوبكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وجابر بن عبدالله وأبي بن كعب وأبوسعيد الخدري وأبوهريرة وعبدالله بن عمر بن الخطاب[١٣٨] وأبوحميد الساعدي وسلمة بن الأكوع والحسن بن علي بن أبي طالب وغيرهم من صحابة النبي - عليه الصلاة والسلام - الذين رووا عنه أحاديث التفسير .

وتفرق علم هؤلاء في الأمصار حين خرج تلاميذهم من طبقة التابعين إلى بلدانهم أو إلى تعليم الناس بالنسبة لمن كان منهم من أهل المدينة ، فأخرجوا معهم مختلف أحاديث التفسير التي سمعوها بدار الهجرة ورَوَوْها حيث استقروا في مختلف المدائن الإسلامية . .

وإلى جانب الذين آثروا جوار النبي - عليه السلام - بمدينته، وجدت طائفة أخرى من كبار الصحب ممن خرجوا من دار الهجرة بعد وفاته - ﷺ - ليكونوا ولاة على الأمصار المفتوحة ومُجاهدين وقضاة ومعلمين وأمناء . . . خاصة على عهد الخلافة الراشدة، فاستقر هؤلاء بمختلف بقاع دولة الإسلام وحملوا معهم إليها مختلف ماسمعوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ، حيث سمعه منهم من جلس إليهم من التابعين، ومن مشاهير مفسري الصحابة الذين استقروا خارج المدينة المنورة عبدالله بن مسعود[١٣٩] ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب[١٤٠] وأبوالدرداء وعبدالله بن عمرو وأنس بن مالك[١٤١] وعقبة بن عامر وأبوموسى الأشعري وعمار بن ياسر وأبوجحيفة السوائي، وحذيفة بن اليمان . . . وغيرهم من الصحابة - - الذين استقروا خارج المدينة ونقلوا مروياتهم في التفسير إلى التابعين في مختلف المدائن والأمصار.

فكان خروج أحاديث التفسير من المدينة المنورة إما عن طريق التابعين الذين حملوا مروياتهم عن شيوخ التفسير بدار الهجرة فأدوها في البلدان التي انتقلوا إليها أو وفدوا منها.

وإما عن الطريق الثاني الذي خرجت منه أحاديث التفسير وهو طريق مشاهير مفسري الصحابة الذين خرجوا مع الفتح الإسلامي على عهد الخلافة الراشدة.

وتبقى الإشارة إلى أن أحاديث التفسير التي تناقلها أهل المدينة طبقة عن طبقة طيلة عصر السلف الصالح هي أصح أحاديث التفسير المسندة، وقد تضمن كتاب التفسير من جامع الإمام مسلم جملة صالحة منها.

المطلب الثالث: أسبقية مدرسة التفسير بالمدينة زمنياً

ممايبرز جليا مكانة هذه المدرسة أننا نجدها أقدم مدارس التفسير خلال القرن الأول الهجري، كان مؤسسها هو صاحب الدعوة - ﷺ - كما سبق - وكان

شيوخها هم كبار الصحابة وأعلامهم من السابقين في الإسلام. وتظهر أسبقية مدرسة المدينة زمنياً بالنظر إلى المراحل التاريخية التي ظهر فيها غيرها من المدارس.

فمدرسة التفسير بالعراق، إنما قامت على جهود عبدالله بن مسعود لَماّ سيّره عمر بن الخطاب إلى الكوفة، ثم على جهود علي بن أبي طالب # ؛ ونحن نعلم من معطيات التاريخ أن مدرسة التفسير بالمدينة وجدت نواتها في عصر النبوة وقبل فتح العراق، بل إن الكوفة التي استقر فيها ابن مسعود لما ولي عليها عمار بن ياسر # إنما خططت سنة سبع عشرة هجرية، وجل من نزل فيها من جيوش الفتح الذين اجتووا بالمدائن[١٤٢] فنخلص مما سبق إلى أن مدرسة التفسير بالعراق إنما هي وليدة العقد الثالث من القرن الأول الهجري.

أما مدرسة التفسير بمكة المكرمة، فقد تأخرت عن مدرسة العراق كثيراً، وكان شيخها حَبْرُ الأمة عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب - ٪ - واحداً من تلاميذ مدرسة التفسير بالمدينة النبوية؛ روى عنه عكرمة مولاه «لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير...»[١٤٣]؛ وظل ابن عباس- ٪ - بالمدينة حتى آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب - # - فخرج معه إلى العراق، وشهد معه الجمل وصفين، واستنابه علي - #- على البصرة...؛ وهذه الأحداث التاريخية كلها تشهد على أن استقرار ابن عباس - ٪ - بمكة كان بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة حيث آل الحكم إلى بني أمية، وهذا يعني أن مدرسة التفسير بمكة لم تظهر إلا في عصر الأمويين خاصة وأنه يبدو أن ابن عباس - ٪- اعتزل الحياة السياسية بعد مقتل ابن عمه علي بن أبي طالب - # - وتفرغ كلية للعلم وصادف ذلك تقدمه في العمر[١٤٥]. فكانت مدرسة مكة آخر مدرسة للتفسير تظهر على عهد الصحابة رضوان الله عليهم وقد أضحت فيما بعد أشهر المدارس[١٤٦].

المبحث الثاني
موارد تفسير مدرسة المدينة

توزعت مرويات أعلام مدرسة المدينة بين مختلف مراجع التفسير، فطائفة منها أخرجها الإمامان البخاري ومسلم كما تضمنها مسند الإمام أحمد ومعاجم الطبراني وغيرها من كتب السنة المشرفة . . ، والكثير من هذه المرويات تناقلته أمهات التفاسير واعتمد عليه المتقدمون والمتأخرون من المفسرين بالمأثور.

ولبيان أثر مدرسة المدينة في علم التفسير سيتم تقسيم هذا إلى مطلبين : الأول يعرض لمرويات هذه المدرسة في أمهات كتب الحديث النبوي الشريف.

والمطلب الثاني مخصص للكلام عن مرويات المدرسة في كتب التفسير والآثار.

المطلب الأول: مرويات أعلام مفسري مدرسة المدينة في كتب السنة النبوية تعتبر أحاديث التفسير المروية عن أهل المدينة أصح الأحاديث، وأهم كتب السنة المشرفة التي أخرجت فيها هذه الأحاديث :

١ - **الجامع الصحيح للإمام البخاري:** وقد تضمن «كتاب التفسير» من الجامع الشيء الكثير من مرويات شيوخ الصحابة - من أهل المدينة[١٤٧] وأكثر الصحابة حديثاً في كتاب التفسير ضمن جامع البخاري : عاشة بنت أبي بكر الصديق[١٤٨] ثم عبدالله بن عمر بن الخطاب[١٤٩] وأبوهريرة(١٥٠) وأبوسعيد الخدري[١٥١] وجابر بن عبدالله[١٥٢] وأُبَي بن كعب[١٥٣] وعمر بن الخطاب[١٥٤] وعثمان بن عفان[١٥٥] وأسامة بن زيد[١٥٦] والحر بن قيس[١٥٧] أجمعين.

٢- **الجامع الصحيح للإمام مسلم[١٥٨]**: مجموع أحاديث التفسير في جامع الإمام مسلم بالمكرر أربعة وثلاثون حديثاً وبحذف المكرر ثلاثة وعشرون حديثاً، وعدد الأحاديث المروية عن مفسري الصحابة بالمدينة اثنا عشر حديثاً، أخرج الإمام مسلم عن عائشة بنت أبي بكر خمسة أحاديث مرفوعة وثلاثة في حكم الموقوف،

وأخرج عن أبي هريرة حديثًا واحداً مسنداً، وعن جابر بن عبدالله حديثًا واحداً مرفوعًا، وعن عمر بن الخطاب مثل ذلك وعن عبدالله بن عمر حديثًا واحداً في حكم الموقوف.

٣- وفي **جامع الإمام الترمذي** - كتاب التفسير - ورد العديد من مرويات مشاهير الصحابة بالمدينة كعائشة بنت أبي بكر[١٥٩] وأبي هريرة[١٦٠] وعَبدالله بن عمر[١٦١] وجابر بن عبدالله[١٦٢] وعمر بن الخطاب[١٦٣] وكعب بن عجرة[١٦٤] وأبو سعيد الخدري[١٦٥] ^ أجمعين.

٤- أما **مسند الإمام أحمد** فقد تضمن الكثير من مرويات أعلام الصحابة بالمدينة كعبدالله بن عمر[١٦٦] وعائشة[١٦٧] وأبي هريرة[١٦٨] وغيرهم كثير وقد سبقت الإشارة إلى نماذج من ذلك[١٦٩].

٥- كما تضمن **"المعجم الكبير" للطبراني** أكثر مرويات أهل المدينة في التفسير، "والمعجم الكبير" بأجزائه أوسع كتب السنة وأكثرها تتبعاً لمختلف مرويات التفسير المنقولة عن مشاهير الصحابة بدار الهجرة[١٧٠].

هذا وقد أخرجت هذه المرويات في كتب السنة النبوية الأخرى سواء تعلق الأمر بالجوامع الحديثية أو بالكتب المصنفة على الأسماء أو بغيرها.

المطلب الثاني: مرويات أعلام مدرسة المدينة في كتب التفسير والآثار

أخرج المصنفون الأوائل في التفسير مختلف ماروي عن مفسري أهل المدينة من طبقة الصحابة والتابعين، ومن هؤلاء المصنفين من جمع أشهر مرويات هؤلاء كعبدالرزاق بن همام الحميري الصنعاني تـ ٢١١هـ في تفسيره[١٧١]، ومنهم من سعى إلى الاستيعاب كابن جرير الطبري تـ٣١٠هـ؛ وعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي تـ ٣٢٧هـ "تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول والصحابة والتابعين" وغيرهما من المصنفين الأوائل[١٧٢].

وقد أخذ عن هذه الطبقة التي استوعبت المرويات العديد من المتأخرين كأبي عبدالله محمد بن النقيب تـ٦٩٨هـ في «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير»[١٧٣]

وابن كثير الدمشقي تـ ٧٧٤هـ في "تفسير القرآن العظيم، وعبدالرحمن السيوطي تـ ٩٦١هـ في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" . . .

أ- المرويات المسندة عن مشاهير الصحابة من أهل التفسير في المدينة

أهم أمهات التفاسير التي جمعتها كتاب ابن جرير الطبري "جامع البيان" فقد ضمنه أبوجعفر ماأخرجه بسنده إلى أُبَي بن كعب[١٧٤] وأبي هريرة[١٧٥] وعائشة[١٧٦] وعبدالله بن عمر[١٧٧] وغيرهم أجمعين.

كما تضمن "جامع البيان" مرويات من "صحيفة التفسير" المنسوبة إلى أُبَي والتي رواها أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية[١٧٨]، ويعتبر تفسير ابن جرير من المصادر التي احتفظت لنا بهذه "الصحيفة" حيث أخرج المصنِّف مروياتها موزعة على تفسيره بسنده إلى أبي جعفر.

وممن أخرج مرويات مشاهير مفسري الصحابة بالمدينة مسندةً الإمام محمد بن إدريس الشافعي تـ ٢٠٤هـ.

فقد أخرج أحاديث أبي سعيد الخدري[١٧٩] وعائشة[١٨٠] وجابر[١٨١] وعبدالله بن عمر[١٨٢] وأبي هريرة[١٨٣] وكعب بن عجرة[١٨٤] . . . كما احتج بمرويات غيرهم من الصحابة محذوفة الإسناد.

ب- حذف أسانيد مرويات مفسري أهل المدينة من الصحابة في كتب الاثار

درج بعض المفسرين من أهل الأثر خلال القرن الثاني ومابعده على حذف أسانيد مرويات التفسير عامة، وتضمنت تفاسيرهم العديد من الاثار المنسوبة إلى أحد أعلام مدرسة المدينة.

فمن الأثريين الذين نقلوا مرويات أهل المدينة محذوفة السند نجد مقاتل بن سليمان البلخي تـ ١٥٠هـ، فقد عمد مقاتل إلى ذكر أسماء الذين أخذ عنهم مروياته

في مقدمة تفسيره، ثم كان المنهج الذي سار عليه في التفسير كله هو إيراد الاية تعقبها الأثار التي تفسرها محذوفة الأسانيد.

وقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه يروي عن ثلاثين رجلاً، منهم اثنا عشر رجلاً من التابعين... منهم عطاء بن أبي رباح والضحاك بن مزاحم ونافع مولى ابن عمر[١٨٥] والزبير، وابن شهاب الزهري[١٨٦] ومحمد بن سيرين وابن مليكة...[١٨٧]، وبحكم أن مقاتلاً حَذَفَ الإسناد فلايمكن تمييز مرويات مدرسة المدينة عن غيرها.

ومن الأثريين الذين نقلوا مرويات مفسري أهل المدينة محذوفة الإسناد الشيخ هود بن محكم الهواري الإباضي المتوفي ٢٨٠هـ - تقريباً - فقد تضمن تفسيره الموسوم بـ "تفسير كتاب الله العزيز" آثاراً عن أعلام الصحابة بالمدينة كعمر بن الخطاب[١٨٨] وابنه عبدالله[١٨٩] وعائشة[١٩٠] وجابر[١٩١] وأبوهريرة[١٩٣] وأُبَي بن كعب[١٩٣]... على أنه تنبغي الإشارة إلى أن الشيخ هود لم يرحل لسماع التفسير، بل اكتفى بما نقله يحيى بن سلام التميمي البصري التونسي ت ٢٠٠هـ حين استقر بالقيروان[١٩٤].

هذا وقد تضمنت كتب الاثار الأخرى الكثير من هذه المرويات، فنجدها عند أبي الليث السمرقندي ت٣٧٣هـ في تفسيره "بحر العلوم"، وعند أبي إسحاق الثعلبي ت٤٢٧هـ في "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"؛ وعند أبي الفرج بن الجوزي ت٥٩٧هـ في "زاد المسير في علم التفسير"...، لكن هذه التفاسير الأخيرة لم يحترز مصنفوها - رحمهم الله - من الآثار الواهية.

خاتمة الدراسة

عني هذا الموضوع بتقديم عرض تاريخي عن مدرسة التفسير بدار الهجرة، ومما لاشك فيه أن أي محاولة لكتابة تاريخ تفسير القرآن الكريم لابد أن تنطلق من دراسة هذه المدرسة التي شهدت ظهور علم التفسير لأول مرة على عهد النبوة.

أما أهم الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها من هذا الموضوع فهي:

أولاً: إنَّ مدرسة المدينة هي أول مدارس التفسير نشأة، وجميع المدارس الأخرى لاتعدو - في الحقيقة - أنْ تكون فرعاً لها.

ولعله ممايبرز هذه الميزة جليا أن المدينة النبوية ظلت دار علم حتى بعد ظهور حواضر علمية أخرى في مختلف الأمصار، فكانت مقصد أهل التفسير وأهل الحديث والفقهاء الوافدين إليها لطلب العلم من أصقاع العالم الإسلامي؛ وحين تحولت عنها الإمارة إلى دمشق ثم بغداد ظلت للمدينة النبوية مكانتها العلمية مماجعل النفوس تهفو إليها يستوى في ذلك العلماء والخلفاء والأمراء..

ثانياً: ومن الاإستنتاجات التي انتهت إليها هذه الدراسة أنَّ علم تفسير القرآن أصوله وقواعده وآدابه هو وليد بيئة المدينة المنورة؛ فأما علم التفسير بحد ذاته باعتباره يهتم ببيان ألفاظ القرآن وجمله، ودلالة تلك الألفاظ والجمل على المباني، فإن هذا العلم خرج من المدينة، ففيها تلقى الصحابة - منه عليه الصلاة والسلام - تفصيل المجمل وتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان الناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما اتصل بعلم التفسير.

وأما ماتعلق بأصول التفسير وقواعده وآدابه، فقد تعلم الصحب - - ذلك من هديه عليه الصلاة والسلام وطريقته في البيان، كما تعلموا ذلك من توجيه القرآن لهم إلى استفراغ جهدهم في استنباط مايتعلق به عمل من الآيات، وحين نرجع اليوم إلى أبواب "فضائل القرآن وآدابه" في مصنفات الحديث النبوي نصادف أن أهم قواعد وأصول التفسير بالمنقول أو بالرأي والاجتهاد تضمنتها مختلف المرويات عن أهل العلم من طبقة الصحابة بالمدينة النبوية...

ثالثاً: ومن الاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة أنه اجتمع لمدرسة التفسير بالمدينة من شيوخ الصحابة وعلمائهم ومتقدميهم مالم يجتمع لغيرها من المدارس الأخرى، ولاشك أن ارتباط المدينة بكونها دار هجرة ثم تفضيل الله لهما حين جعلها دار نصرة لدينه وجازى على الهجرة إليها قبل عام فتح مكة... ذلك

كله ترتب عنه إن ميراث النبوة بقي فيها ببقاء جمهور الصحب فيها رغبة عن غيرها من المدائن.

هذا وقد سعت هذه الدراسة إلي تقديم عرض متكامل غايته الوصول إلى أمرين:

الأول: جمع أشتات هذا الموضوع من مختلف المصادر والمراجع.

الأمر الثاني: إعطاء نظرة متأنية ومستفيضة - إلى حد ما - عن هذه المدرسة.

وختاما، نسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يرشدنا إلى العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى أعلم وأحكم.

الهوامش والإحالات

١- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير ص٦١، الطبعة الأولى دار القرآن، الكويت ١٣٩١هـ، بتحقيق د. عدنان زرزور.

٢- ومن أعلامها أيضاً: أبوالوليد عبادة بن الصامت أول من تولى قضاء فلسطين تـ٣٤هـ، وأيضاً واثلة بن الأسقع تـ٨٣ هـ أجمعين.

٣- انظر بخصوص هذه المدرسة: د، عبدالله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، الباب الرابع ص٢٧٠ ومابعدها، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٠م.

٤- اقتضت حكمة الباري تعالى أن تكون جُلّ التشريعات التي تضمنها القرآن المكي مجملة، على أن تفصيلها وبيان مختلف أحكامها بعد نشوء دولة الإسلام بالمدينة المنورة، وهذا أمر جلي بالنسبة للكثير من أحكام الشريعة الإسلامية.

ومن هذا الباب ماأشار إليه ابن العربي المعافري تـ٥٤٣هـ عند تفسير الآية ١٤١ من سورة الأنعام - المكية - (... كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) قال - رحمه الله- محتجاً لرأي أبي حنيفة: «إن الله أوجب الزكاة بها إيجاباً مجملاً فتعين فرض اعتقادها، ووقف العمل بها على بيان الجنس والقدر والوقت، فلم تكن بمكة حتى تمهّد الإسلام بالمدينة، فوقع البيان، فتعين الامتثال، وهذا لايفقهه إلا العلماء بالأصول»، انظر أحكام القرآن ج٢ ص٧٦١ دار المعرفة بيروت بتحقيق علي محمد البجاوي...

٥- لم يدرك أُبَي - # - عصر التدوين، فكان كغيره من كبار الصحب - رضوان الله عليهم - الذين تقدمت وفاتهم يتخذون "صحفاً" للعلم كما اتخذها الرسول ﷺ في رواية جابر بن عبدالله - # - التي أخرجها الإمام مسلم في الجامع الصحيح ضمن كتاب العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه؛ وسيأتي الكلام عن صحيفة أُبَي # . -

٦- المرفوع في التفسير ماانتهى سنده إلى الصحابي مما اتصل بأسباب النزول، أما الموقوف فهو مافسره الصحابي من غير أن يرفعه أو يسنده إليه ﷺ، انظر: ابن حجر شرح النخبة ص١١١ طبعة دار الخير دمشق بتحقيق د. نورالدين عتر . . .

٧- قال السيوطي " «أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . . . » الإتقان ج٢ ص ١٨٧ طبعة مصورة بدار الفكر بهامشها إعجاز القرآن للباقلاني.

٨- ذكر ابن الأثير أن وفاته - # - كانت سنة ٣٠هـ، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ج١ ص٦٣ طبعة دار الفكر، ورجح ابن عبدالبر في "الاستيعاب" أنه مات في خلافة عمر بن عبدالخطاب، انظر: الاستيعاب بهامش الإصابة ج١ ص٥٢ مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٢٨هـ.

٩- ابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار ص١٢، دار الكتب العلمية بيروت، مصورة عن طبعة القاهرة ١٩٥٩م بتصحيح المستشرق م. فلايشهمر.

١٠- ابن عبدالبر، الاستيعاب بهامش الإصابة ج١ ص ٤٨-٤٩.

١١- ابن كثير، البداية والنهاية ج٨ ص٩٧ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.

١٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٩٠ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ.

١٣- ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٣١ مصورة عن نشرة براجستراسر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ.

١٤- سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٩٩.

١٥- المصدر السابق ج١ ص٤٠٢.

١٦- وفي "فتح الباري" قال ابن حجر العسقلاني: « . . . المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة». انظر ج١٣ ص٢٥٧ طبعة المكتبة السلفية بإشراف الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله.

١٧- ابن خلدون، المقدمة، فصل: علم الفقه ومايتبعه ص٤٩٤، طبعة دار الجيل بيروت.

١٨- انظر: فتح الباري ج١٣ ص٢٥٨.

١٩- ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٢ ص٤٢٦ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، أعد فهارسها رياض عبدالله عبدالهادي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٠- الإمام البخاري، الجامع الصحيح كتاب التفسير - تفسير سورة الأعراف - باب خذ العفو. . حديث ٤٦٤٢ ، وكتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث ٧٢٨٦ .

٢١- انظر ترجمته عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٤١ ، وقد ذكره ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار ص١٠ -١١ ضمن الصحابة الذين استوطنوا المدينة المنورة.

٢٢- مشاهير علماء الأمصار ص٢٠ .

٢٣- المصدر السابق ص١٠ ؛ وابن سعد، الطبقات الكبرى ج٢ ص٤٣١ .

٢٤- ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٣٤٩ - ٣٥٠ وج ٥ ص٧٨ طبعة دار الفكر بيروت وفي شذرات الذهب لابن العماد ج١ ص٦٥ الطبعة الثانية دار المسيرة ١٣٩٩ بيروت . . .

٢٥- مشاهير علماء الأمصار ص٢٠ .

٢٦- مشاهير علماء الأمصار ص١١ .

٢٧- من الصحابة الذين استوطنوا المدينة، انظر المصدر السابق ص٢٧ .

٢٨- المصدر السابق ص٢٦ ، وانظر: أسد الغابة ج٣ ص١٥٤ -١٥٥ ؛ الاستيعاب لابن عبدالبر ج٣ ص٩١٧ نشر دار نهضة مصر بتحقيق محمد علي البجاوي . .

٢٩- مشاهير علماء الأمصار ص١٦-١٧ . .

٣٠- المصدر السابق ص٢٠ . . .

٣١- المصدر السابق ص١١ . . .

٣٢- انظر كتاب التفسير من جامع الإمام البخاري ضمن فتح الباري أحاديث رقم ٤٤٧٥ ، ٤٤٧٩ ، ٤٤٨٥ . . . ؛ وكذلك كتاب التفسير آخر جامع الإمام مسلم . .

٣٣- انظر الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مسند الأنصار، حديث أُبَي بن كعب، حديث أبي هريرة الدوسي عنه ج٥ ص١١٤ ، طبعة دار الفكر بيروت بهامشها كنز العمال.

٣٤- انظر على سبيل المثال كتاب التفسيرضمن جامع الإمام مسلم.

٣٥- أورد د، محمد حميد الله في "الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة" خمس عشرة وثيقة تحمل اسم أُبَي بن كعب رضي الله عنه، وانظر في نفس الموضوع د. الأعظمي، كُتاب النبي ﷺ ص٥٦-٥٨ ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ المكتب الإسلامي بيروت.

٣٦- انظر: كُتاب النبي ﷺ ص٦-٨ .

٣٧-سورة البينة الآية ١ .

٣٨- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أُبَي ؛ الإمام مسلم - الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أُبَي # ؛ ابن أبي شيبة، المصنف



في الأحاديث والآثار، كتاب فضائل القرآن، باب في قراءة النبي ﷺ على غيره ج٦ ص١٥٥، الطبعة الأولى دار التاج ١٤٠٩هـ بتقديم كمال يوسف الحوت؛ الإمام أحمد المسند ج٥ ص١٢٢ حديث عبدالرحمن بن أبزى؛ النسائي، فضائل الصحابة ص١٣٣ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ دار الثقافة الدار البيضاء بتحقيق أستاذنا د. فاروق حمادة؛ أبوعبيد فضائل القرآن ومعالمه وآدابه باب عرض القراء للقرآن؛ قال أبوعبيد في معنى الحديث أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرض على أُبي أن يتعلم منه أُبَي القراءة ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئاً بذلك العرض. انظر فضائل القرآن ج٢ ص١٨٩ - ١٩٠، طبعة وزارة الأوقاف الرباط ١٤١٥هـ بتحقيق أحمد الخياطي.

٣٩- الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أُبَي؛ الجامع الصحيح للإمام مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل ابن مسعود؛ المصنف لابن أبي شيبة كتاب فضائل القرآن باب ممن يؤخذ القرآن ج٦ ص١٣٨؛ فضائل القرآن للإمام النسائي باب ذكر قراء القرآن بتحقيق أستاذنا د. فاروق حمادة طبعة دار الثقافة الدار البيضاء ١٤٠٠هـ؛ وانظر توجيه الحديث في شرح النووي لجامع الإمام مسلم ج١٦ ص١٨، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

٤٠- الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب مناقب زيد بن ثابت؛ الجامع الصحيح للإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أُبَي بن كعب #. وأبوزيد المذكور في الحديث هو سعد ابن عبيد القارئ الذي تقدم ذكره #.

قال النووي - رحمه الله - في شرح حديث أنس عن الأربعة الذين جمعوا القرآن" «. . . قال المازري هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القرآن، وجوابه . . . أنه ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فقد يكون مراده الذين علمهم من الأنصار أربعة، أما غيرهم من المهاجرين والأنصار الذين لايعلمهم فلم ينفهم» انظر شرح النووي لجامع الإمام مسلم ج١٦ ص١٩ ومابعدها.

٤١- ابن الجزري - غاية النهاية ج١ ص٣١.

٤٢- البداية والنهاية ج٨ ص٨٤.

٤٣- الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٩٠.

٤٤- الامام أحمد، المسند ج٥ ص١١٣-١٤٤؛ كما تضمن الجزء الأول من المعجم الكبير للإمام الطبراني ت- ٣٦٠هـ الكثير مماروي عن أُبَي # في التفسير.

٤٥- والصحيفة هي الكتاب والجمع صحف، والأخبار التي ستأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث تشهد بأن أبيًا # كان يكتب التفسير، لكن لايوجد لدينا دليل على أن أحداً من

أعلام مدرسة المدينة المنورة - خلال هذه الفترة - جمع مدونة في تفسير القرآن كله، بل اقتصر عملهم على كتابة أجزاء من التفسير في صحفهم . . .

٤٦- انظر مسند الإمام أحمد ج٥ ص١١٤؛ أبوعبيد فضائل القرآن ج٣ ص٢٣ . . .

٤٧- انظر طائفة من مروياته عنه في المسند ج٥ ص١١٦ . . .

٤٨- الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٩٨ .

٤٩- الإمام أحمد، المسند ج٥ ص١١٦؛ الطبراني، المعجم الكبير ج١ ص١٩٩، نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة بتحقيق حمدي السلفي؛ الطبري، جامع البيان ج١٥ ص١٧٧ و١٨١، ج١٦ ص١٠ . . . طبعة دار المعرفة بيروت مصورة عن طبعة بولاق القاهرة؛ تفسير النسائي ج١ ص٢١٤؛ ج٣ ص١٢؛ ١٧؛ ٢٠؛ ٢٢ أحاديث رقم ١٨٠، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠ نشر مكتبة السنة القاهرة ١٤١٠هـ.

٥٠- ترجمته في أسد الغابة ج٢ ص٣٢٠؛ الإصابة ج٢ ص١٣٢ .

٥١- المسند ج٥ ص١١٥ -١١٦ .

٥٢- انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٣٨٩ . . . طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ.

٥٣- المسند ج٥ ص١٢٢؛ فضائل القرآن للنسائي ص٥٤ . . .

٥٤- نقل ابن حجر عن العجلي أن الطفيل تابعي، تهذيب التهذيب ج٥ ص١٤ طبعة مصورة عن الهندية ١٣٢٥هـ؛ وذكر ابن عبدالبر في الاستيعاب بهامش الإصابة ج٢ ص٢٣٥ أنه ولد على عهد الرسول ﷺ.

٥٥- المسند ج٥ ص ١٣٦-١٣٩ حديث الطفيل بن أُبَي ٪، وأيضاً تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٥٥ . . .

٥٦- ترجمته في أسد الغابة ج١ ص٤١٥ وج٢ ص٤٨؛ تهذيب التهذيب ج١٢ ص١٠٧ -١٠٨، وانظر روايته عن أُبَي # في مقدمة تفسير الفاتحة عند ابن كثير ج١ ص٩ . . .

٥٧- انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون ج١ عمود ٤٢٩ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ؛ والذهبي التفسير والمفسرون ج٢ ص٩٣ و١١٥ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ، دار الكتب الحديثة القاهرة وقد نسب هذا التفسير إلى ابن العالية في طبقات المفسرين للداودي ج١ ص١٧٩ طبعة دار الكتب العلمية بيروت، كما نسبه إلى أبي العالية د. محمد فؤاد سزكين في ترجمة الربيع بن أنس ضمن تاريخ التراث العربي ج١ ص٥٦، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧م.

٥٨- مسند الإمام أحمد ج٥ ص١٣٣ -١٣٥ .

٥٩- الطبري، جامع البيان ج٢٣ ص٦٧ . . ؛ كما أفاد من هذا التفسير الثعلبي الذي يصطلح عليه في تفسيره "الكشف والبيان" بـ "تفسير أبي العالية والربيع" . .

٦٠- انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٩٢، ج٤ ص٢٢، ٢٥٩ . . .

٦١- ترجمة في البداية والنهاية ج٩ ص٨٠؛ تهذيب ج٣ ص٢٨٤؛ طبقات المفسرين للداودي ج١ ص١٧٨ -١٧٩ . . .

٦٢- مر نقل التفسير من مراحل ثلاثة - مثل باقي العلوم الإسلامية - الأولى مرحلة الكتابة وكانت حقبة تقييد لهذا العلم في "الصحيفة"، ويعني ذلك تسجيل مرويات التفسير حتى لا تضيع، وقد تظافرت الصحيفة مع الذاكرة في حفظ مرويات التفسير، كما اتخذ علماء وفقهاء الصحابة صحفاً سجلوا فيها التفسير والحديث. . .، لكن صحف الصحابة رضوان الله عليهم ماكانت تتبع تفسير القرآن، بل كانت تقتصر على بعضه ومن هذه الصحف "صحيفة أُبَي" "وصحيفة علي بن أبي طالب" - المذكورة في باب كتابة العلم من كتاب العلم ضمن جامع البخاري- والمرحلة الثانية مرحلة تدوين التفسير وأول المدونات فيما نعلم "تفسير مجاهد بن جبر" و"تفسير سعيد بن جبير" . . . ؛ أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التصنيف التي ابتدأت في آخر القرن الثاني الهجري.

وانظر في ذلك: د. عبدالرزاق هرماس، "لمحات عن المدونات الأولى في التفسير خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري "ضمن" مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية" جامعة الكويت العدد السابع والعشرون ص١٧ -٨٦.

٦٣- البخاري، التاريخ الصغير ج١ ص٤٥٩ دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.

٦٤- الذهبي، تذكرة الحفاظ ج١ ص٦١ دار إحياء التراث العربي بيروت مصورة عن الطبعة الهندية؛ الداودي طبقات المفسرين ج١ ص١٧٨.

٦٥- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٣ ص٢٨٤.

٦٦- ابن الجزري، غاية النهاية ج١ ص٢٨٤.

٦٧- نفس المصدر ج١ ص٢٨٤.

٦٨- طبقات المفسرين ج١ ص١٧٩.

قال د. محمد فؤاد سزكين في آثار الربيع أن له: «التفسير، ويرجع أكثر هذا التفسير إلى أبي العالية" تاريخ التراث العربي ج١ ص٥٦.

٦٩- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص١٢٦.

٧٠- ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل ج٣ ص٤٥٤ دار الكتب العلمية بيروت طبعة مصورة عن الهندية.

وفي فضائل القرآن للنسائي ص٦٥-٦٦، قال الربيع: «قرأت القرآن على أبي العالية، وقرأ أبو العالية على أُبيّ. قال: وقال أُبَي قال لي رسول الله ﷺ أمرت أن اقرئك القرآن».

٧١- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٣ ص٢٣٨ -٢٣٩.

٧٢- ابن أبي حاتم - الجرح والتعديل ج٦ ص ٢٨٠ -٢٨١.

٧٣- التاريخ الصغير ج٢ ص ٩٧- ٩٨.

٧٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧ ص١٨١.

٧٥- ابن حجر، فتح الباري ج١٤ ص٤٠٢.

٧٦- المباركفوري، تحفة الأحوذي شرح جامع الإمام الترمذي ج٣ ص٣٦٩ دار الكتاب اللبناني مصورة عن الطبعة الهندية.

٧٧- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج٦ ص٢٨٠-٢٨١.

٧٨- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص١٢٦.

٧٩- انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٥٩، ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل ج٧ ص٢٠٨؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٩ ص١٩، وانظر روايته عن أبيه في التفسير ضمن المسند ج٥ ص١٣٩ وفي غيره.

٨٠- ترجمته في تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٠٦-٢٠٧.

٨١- انظر: تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطي ج١ ص١٠٥ طبعة البابي الحلبي القاهرة.

٨٢- ترجمته في تهذيب ج١٢ ص١١١، وروايته عن أُبَي في الموطأ- برواية يحيى بن يحيى الليثي - باب ماجاء في أم القرآن.

٨٣- ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٠١ وفي غيره، وكان من عباد الكوفة وقرائهم.

٨٤- ترجمته في تهذيب التهذيب ج١٢ ص١٦٢؛ وروايته في جامع البيان للطبري ج٢٨ ص٩١ . . .، وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٨١.

٨٥- ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص١١٤؛ الجرح والتعديل ج٨ ص٤٠٧؛ البداية والنهاية ج٩ ص٣٠٥.

٨٦- البخاري، التاريخ الصغير ج١ ص٢٧٨.

٨٧- مشاهير علماء الأمصار ص٦٥.

٨٨- تهذيب التهذيب ج٩ ص٤٢١.

٨٩- البداية والنهاية ج٦ ص ٢٤٠.

٩٠- تهذيب التهذيب ج٩ ص٤٢١.

٩١- تاريخ التراث العربي ج١ ص٥٣ .
٩٢- ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار ص٧٦ .
٩٣- المصدر السابق ص٨٠ .
٩٤- البخاري، التاريخ الصغير ج٢ ص٣٨؛ ابن عبدالبر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج٣ ص٢٤١ نشر وزارة الأوقاف الرباط، الطبعة الثانيه ١٤٠٢هـ.
٩٥- ابن عبدالبر، التمهيد ج٣ ص٢٤٠-٢٤١ .
٩٦- طبقات المفسرين ج١ ص١٨١-١٨٢ .
٩٧- ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٣ ص٣٩٦ .
٩٨- الذهبي، تذكرة الحفاظ ج١ ص١٣٣ .
٩٩- الداودي، طبقات المفسرين ج١ ص٢٧١ .
١٠٠- محمد أبوزَهرة، مالك: حياته وعصره وآراؤه وفقه ص٨٤، دار الكتاب العربي القاهرة .
١٠١- الحديث أخرجه الإمام مسلم في جامعه ضمن كتاب الحج باب ترغيب الناس في سكنى المدينة، وقوله عليه الصلاة والسلام «يبّسّون» أي يتحملون بأهليهم إلى غيرها من بلاد الرخاء.
١٠٢- أخرجه الإمام مسلم في جامعه ضمن كتاب الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وقد تضمنت أمهات كتب السنة الكثير من الأحاديث في فضل المدينة النبوية وسكناها والصبر على جَهْدها ولأوائها، وفي جامع الإمام البخاري تضمن كتاب "فضائل المدينة ستة وعشرين حديثاً بالمكرر".
١٠٣- سورة الحشرة الآية ٩ .
١٠٤- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٢٩٤ نشر دار المعارف الرباط .
وقد أثر عن الإمام الشافعي في وصيته لتلميذه يونس بن عبدالأعلى قوله: «ماأريد إلا نُصْحَكَ» ماوجدت عليه متقدمي أهل المدينة فلا يدخل قلبك شك أنه الحق» انظر: آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص١٩٦، دار الكتب العلمية بيروت بتحقيق الشيخ عبدالغنى عبدالخالق؛ وانظر أيضاً التمهيد لابن عبدالبر ج١ ص٧٩ .
١٠٥- الحديث أخرجه الإمام البخاري كاملا في الجامع الصحيح ضمن كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، وأخرج اطرافا منه في كتاب مناقب الانصار باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة حديث ٣٩٢٨، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحَرَمَان.

١٠٦- القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ج١، ص٤٢، نشر وزارة المعارف المغرب.

١٠٧- جواب الليث أورده القاضي عياض مختصرا في ترتيب المدارك ج١ ص٤٣-٤٤: وانظر رسالته إلى مالك كاملة في اعلام الموقعين لابن القيم ج٣ ص٩٥ وما بعدها، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ دار الفكر بيروت.

١٠٨- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣٠٧-٣٠٨: وقبل أبي جعفر العباسي ت ١٥٨هـ كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز ت ١٠١هـ إلى المدينة «ان انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه . . .» تقييد العلم للخطيب البغدادي ص١٠٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤م دار إحياء السنة بتحقيق يوسف العش: وفي مقدمة ابن خلدون وصفت المدينة المنورة على هذا العهد بأنها «يومئذ دار علم ومنها خرج إلى العراق» المقدمة ص٤٩٧ . . .

١٠٩- عياض، ترتيب المدارك ج١ ص٤٠.

١١٠-ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣١٤، واستثنيت الكوفة لأنها أصبحت في منتصف القرن الأول الهجري موطن أهل التشيع والإرجاء.

١١١- ابن فرحون، الديباج المذهب ج١ ص١١٩ دار التراث القاهرة بتعليق محمد الأحمدي أبو النور.

١١٢- ماضمنه الورجيني الشطر الثاني من هذا البيت لايصح، لأن المدينة لم تجمع هدي النبوة كله باطلاق، ولذلك لما أراد أبوجعفر فرض الموطأ على الأمة رفض الإمام مالك معللاً بقوله: «. . . فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما . . . إليهم وعملهابه» انظر ترتيب المدارك ج٢ ص٧٣، وفي الديباج المذهب لابن فرحون ج١ ص١١٨، قال مالك للمنصور: "إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، فأفتى كل في مصره بما رأى" . .

١١٣- انظر الأبيات في التمهيد لابن عبدالبر ج١ ص٨٢ ومقدمة تنوير الحوالك للسيوطي ص٨.

١١٤-عياض، ترتيب المدارك ج١ ص٣٩.

١١٥- المصدر السابق ج٣ ص٤٣.

١١٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٢٢٩-٣٠٠.

١١٧- الطبري، جامع البيان ج١ ص٢٩.

١١٨- أبوعبيد، فضائل القرآن ج٢ ص٢١٤.

١١٩- ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب فضائل القرآن باب من كره أن يفسر القرآن ج٦ ص١٣٦.

١٢٠- انظر فضائل القرآن للنسائي تحقيق وتعليق أستاذنا د. فاروق حمادة ص١١٤ ومابعدها.

١٢١- وقد صح عن عبدالله بن عمر - ٪ - أنه كان يكفر القدرية - انظر الحديث الذي أخرجه مسلم في ذلك ضمن الجامع الصحيح كتاب الإيمان باب إثبات القدر؛ وعند أبي داود في السنن، كتاب السنة باب القدر حديث رقم ٤٦٩٥ .

وقد كان لموقف الصدر الأول من البدع وكراهيتهم للمحدثات أثر في علماء المدينة المنورة من بعدهم، حيث كان الجدال والمراء ومخاصمة أهل الأهواء: مرفوضة عندهم، روى ابن وهب: «سمعت مالكاً يقول إذا جاءه أحد من أهل الأهواء: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه». الديباج المذهب ج١ ص١١٥ .

١٢٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣٠٢ .

١٢٣- البغدادي، تقييد العلم ص١٠٦ .

١٢٤- ابن عبدالبر، التمهيد ج١ ص٨٠-٨١ .

١٢٥- المصدر السابق ج١ ص٧٩ .

١٢٦- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٣١٦ .

١٢٧- انظر: أبوعبيد، فضائل القرآن وآدابه ج٢ ص١٧٣ .

أما مايروى عن ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق فإن سنده لايصح، وقد أخرج هذه المسائل الإمام الطبراني في المعجم الكبير ج١٠ ص٣٠٤-٣١٢ من رواية الضحاك بن مزاحم، وفي سند الطبراني جويبر بن سعيد وهو متروك عند جمهور علماء الحديث النبوي؛ وعدد هذه المسائل في المعجم ٣١ مسألة لكن السيوطي في الإتقان ج١ ص١٢٣ أورد فيها ١٨٩ مسألة، ثم إن في شواهد المسائل من الشعر كلاماً مخصص، نسبها إلى قائليها .

١٢٨- سورة النساء الآية ١٢٨ .

١٢٩- الطبري، جامع البيان ج٥ ص١٩٧ .

١٣٠- انظر في ذلك الشاطبي، الموافقات ج١ ص٢٥، طبعة دار الفكر بيروت بتعليق محمد الخضر حسين التونسي .

١٣١- سورة عبس الآية ٣١ .

١٣٢- الطبري، جامع البيان ج٣٠ ص٣٨؛ ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب فضائل القرآن باب من كره أن يفسر القرآن ج٦ ص١٣٥ .

١٣٣ وهذا ماندب القرآن إليه انطلاقاً من الآية ١٨٩ من سورة البقرة (يسألونك عن الأهلة) الآية: وانظر ماأورده الطبري في سياق تفسيرها ضمن جامع البيان ج٢ ص١٠٨ .

١٣٤- سورة النازعات الآيات ١-٣ .

١٣٥- الشاطبي، الموافقات ج١ ص٢٥-٢٦ .

١٣٦- انظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٠؛ البداية والنهاية ج٢ ص١٢٦.
١٣٧- ابن كثير، البداية والنهاية ج٧ ص٢٩٨.
١٣٨- سكن المدينة، وتوفي بمكة حيث خرج للحج، انظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٧.
١٣٩- توفي بالمدينة، وكان يتردد على الحرمين في موسم الحج، انظر: البداية والنهاية ج٧ ص١٦٣، وقد روي عن ابن مسعود - # - قوله: »والذي لاإله غيره، مانزلت آية في كتاب الله، إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته» أخرجه الطبري في جامع البيان ج١ ص٢٨،
١٤٠- قال الزركشي "« وصدور المفسرين من الصحابة: علي ثم ابن عباس - وهو تجرد لهذا الشأن، والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي، إلا أن ابن عباس كان أخذ عن علي» البرهان في علوم القرآن ج٢ ص١٥٧، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ دار الفكر بيروت بتحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم.
١٤١-خادم النبي ﷺ، ذكر أنه توفي ٩١هـ، وليس هو أنس بن مالك الكعبي أبو أمية، وقد سكن الصحابيان معاً البصرة.
١٤٢- انظر في ذلك: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٧٨، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ دار الكتب العلمية بيرون، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧ ص٧٤.
١٤٣- البداية والنهاية ج٨ ص٢٩٨.
١٤٤- طيلة خلافة عثمان - # - الذي استنابه للحج بالناس عام ٣٥هـ الذي قتل فيه الخليفة - # - انظر: البداية والنهاية ج٨ ص٣٠٤.
١٤٥- وقد ظل ابن عباس # - بمكة حتى تنازع الخلافة ابن الزبير وعبدالملك بن مروان فخرج من مكة إلى الطائف التي أقام بها سنتين وتوفي ٦٨هـ انظر البداية والنهاية ج٨ ص٣٠٥ -٣٠٦.
١٤٦- وقد كان من شأن مدرسة التفسير بالشام أنها ظهرت بعد أن استوطن هذه البلاد من أحَل إليها من كبار الصحابة الذين خرجوا من المدينة، فشأنها كمدرسة الكوفة بالعراق؛ أما مدرسة مصر فقد قامت على جهود صغار الصحابة الذين استوطنوا الفسطاط - فنشأة هذه المدرسة كانت متقاربة مع ظهور مدرسة مكة...
١٤٧- تضمن كتاب التفسير من جامع الإمام البخاري حسب إحصاء ابن حجر ٥٤٨ حديثًا بالمكرر، وفي إحصاء محمد فؤاد عبدالباقي ٥٠٣ حديث بالمكرر قال ابن حجر: « الخالص منها - بعد حذف المكرر- مائة حديث وحديث...، والكثير منها من تفاسير ابن عباس - ٪ - وهي ستة وستون حديثاً...» ابن حجر، فتح الباري ج٨ ص٧٤٣.



١٤٨- انظر كتاب التفسير من الجامع الصحيح للإمام البخاري أحاديث رقم: ٤٥٧٣، ٤٥٧٤، ٤٥٧٥، ٤٥٨٣، ٤٦١٢، ٤٦١٣، ٤٦١٤، ٤٧٢٣، ٤٧٥٥.

١٤٩- انظر المصدر السابق أحاديث رقم: ٤٥٠٦، ٤٥٢٦، ٤٥٢٧، ٤٥٤٥، ٤٥٤٦، ٤٦١٦، ٤٦٧٠، ٤٦٧١.

١٥٠- المصدر السابق أحاديث رقم: ٤٥٥٧، ٤٥٦٠، ٤٥٦٥، ٤٥٩٨، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٦٣٥، ٤٤٧٥، ٤٤٧٩...

١٥١- انظر أحاديث رقم: ٤٥٦٧، ٤٥٨١، ٤٤٨٧، ٤٦٤٨، ٤٧٣٠، ٤٧٤١، ٤٧٩٨..

١٥٢- انظر أحاديث رقم: ٤٥٢٨، ٤٥٥٨، ٤٥٧٧، ٤٦١٨، ٤٦٢٨، ٤٦٣٣، ٤٧١٠، ٤٧١٩.

١٥٣- انظر ٤٩٧٦، ٤٩٧٧...

١٥٤- أحاديث رقم ٤٤٨٣، ٤٦٠٦، ٤٧٩٠، ٤٨٨٥، ٤٩١٥، ٤٩١٦، ٤٩٦٩...

١٥٥- انظر: ٤٥٣٠، ٤٥٤٦.

١٥٦- انظر: ٤٥٦٦...

١٥٧- انظر: ٤٦٤٢..

١٥٨- هناك من المتأخرين من لايعتبر مصنف الإمام مسلم جامعاً، ومنهم عبدالعزيز الدهلوي في "العجالة النافعة"، فقد نقل عنه القنوجي قوله في رسالته "العجالة النافعة": «وأما صحيح مسلم وإن كانت فيه أحاديث من تلك الفنون لكن ليس فيه مايتعلق بالتفسير، ولهذا لايقال له الجامع..» انظر: القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة ص١٢٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ دار الجبل بيروت.

١٥٩- انظر: جامع الإمام الترمذي، كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى ﴿إن الصفا والمروة﴾؛ وقوله أيضاً ﴿إن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه﴾...

١٦٠- المصدر السابق، تفسير قوله تعالى ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾، وأيضاً قوله عز وجل ﴿.. كلوا من طيبات مارزقناكم..﴾..

١٦١- المصدر السابق، تفسير قوله تعالى ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾...

١٦٢- نفس المصدر تفسير قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾؛ وقوله سبحانه ﴿فأتوا حرثكم...﴾...

١٦٣- المصدر السابق تفسير قوله عز وجل ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾...

١٦٤- المصدر السابق تفسير قول الله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾...

١٦٥- نفسه تفسير ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً..﴾..

١٦٦-مسند الإمام أحمد ج٢ ص٢-١٥٧ ، أحاديث ابن عمر %.
١٦٧- انظر ماأسند إليها - $ - في المصدر السابق ج٦ ص٢٩-٢٨١ .
١٦٨- انظر ماأسند إليه - #- ضمن نفس المصدر ج٢ ص٢٢٨-٥٤١ .
١٦٩- انظر ضمن نفس المصدر: مسند أبي بكر ج١ ص٢-١٤؛ ومسند عمر ج١ ص١٤-٥٤؛ ومسند عثمان ج١ ص٥٧-٧٤؛ ومسند جابر ج٣ ص٢٩٢-٣٩٩ . . . أجمعين .
١٧٠- هذا وقد أخرج ابن أبي شيبة وغيره من المصنفين في الحديث الكثير من مرويات التفسير المسندة عن كبار الصحابة - - بالمدينة المنورة . .
١٧١- انظر على سبيل المثال: عبدالرزاق الصنعاني، تفسير القرآن الكريم ج١ ص٥٣ . . . الطبعة الأولى، مكتبة الرشد الرياض ١٤١٠هـ.
١٧٢- كابن المنذر النيسابوري ت٣١٨هـ وابن ماجة القزويني ت ٢٧٣هـ في تفسير كل واحد منهما . .
١٧٣- ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ج٢ ص١٤٩ .
١٧٤- انظر: ابن جرير، جامع البيان ج١٥ ص١٨١ ، ١٧٧ . . ؛ ج١٦ ص١٠ . . ؛ ج٢٣ ص٦٧ . . ج٢٨ ص٩١ . . .
١٧٥- المصدر السابق ج١ ص٣٢، ١٩١ . . ؛ ج٢ ص٥، ٣٣؛ ج٣ ص٩٥ . .
١٧٦- نفس المصدر ج٢ ص٢٩، ٣١ . .
١٧٧- نفس المصدر ج٢ ص١٦٦؛ ج٣ ص٩٥ .
١٧٨- المصدر السابق ج١ ص٨٩؛ ٩٠، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٥، ١٩٣، ٣٨٥ .
١٧٩- أحكام القرآن للشافعي- جمع أبي بكر البيهقي - ج١ ص٣٤، ١٨٤ . . . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .
١٨٠- نفس المصدر ج١ ص٥٣ , ٥٩ .
١٨١- أحكام القرآن للشافعي ج١ ص٩٤ .
١٨٢- نفس المصدر ج١ ص٧٨ . ٩٦ . ١٠٢ . .
١٨٣- نفس المصدر ج١ ص٦٠، ٣٠٥ . .
١٨٤- نفس المصدر ج١ ص٩٥، ١٢٩ .
١٨٥- أبوعبدالله نافع مولى عبدالله بن عمر من طبقة التابعين بالمدينة ت ١١٩هـ، انظر: ابن حبان مشاهير علماء الأمصار ص٨٠.
١٨٦- محمد بن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ كان من جلة علماء التابعين بالمدينة المنورة . .
١٨٧- انظر: تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ ج١ ص٣-٤ طبعة دار الشروق القاهرة ١٩٦٩م بتحقيق د. عبدالله محمود شحاته .

١٨٨- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز ج١ ص١٢٨؛ ١٩؛ ١٩٣؛ ٢٠٧؛ ٢١٥.. الطبعة الأولى ١٩٩٠م دار الغرب الإسلامي بيروت بتحقيق بلحاج شريفي.

١٨٩- المصدر السابق ج١ ص١٣٢؛ ١٧٤؛ ١٩٤؛ ٢١٢؛ ٢١٤...

١٩٠- المصدر السابق ج١ ص١٧٦؛ ١٨٧؛ ٢١٠...

١٩١- المصدر السابق ج١ ص١٤٦؛ ١٦١؛ ١٨٦؛ ١٨٨؛ ٢٠٨؛ ٢١١...

١٩٢- المصدر السابق ج١ ص٢١٠...

١٩٣- نفس المصدر ج١ ص٧٥؛ ٦٣..

١٩٤- انظر مقدمة محقق التفسير ضمن الجزء الأول ص١٤-١٥؛ والشيخ هود من منطقة الأوراس شرق الجزائر ولم تعرف له رحلة إلى الشرق والله أعلم.

مصانع النورة بمكة المكرمة
طرازها المعماري ونتاجها الصناعي
حتى نهاية العصر العثماني

د. عادل محمد نور غباشي
قسم الحضارة والنظم الإسلامية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ملخص البحث

لاتزال مكة المكرمة - بمشيئة الله - تحتفظ بعدد من مصانع النورة، التي أسهمت بدور كبير في إثراء حركة العمران في البلد الحرام، إلا أنها مع الأسف الشديد بدأت في الاندثار التدريجي، لتوقف نتاجها حاليا؛ للاستغناء عنه في مجال البناء بالأسمنت؛ ولامتداد الأحياء السكنية إلى بعض مراكزها، ومن هنا تظهر أهمية هذه الدراسة في التعريف بمادة النورة واستخداماتها، وإبراز دور معاوية بن أبي سفيان - # - في تأسيس أول مصنع للنورة بمكة المكرمة، واستقصاء مراكزها الصناعية والكشف عن تاريخها وطرازها المعماري، وتسجيل أحد مصانعها تسجيلاً علمياً مشفوعاً بالخرائط والرسوم والأشكال، وإضافة إلى تتبع طريقة الصناعة ابتداءً من الحصول على المادة الخام وانتهاء بتحميلها وبيعها مسحوقاً في أكياس.

أولاً: النورة واستخداماتها:

قيل إن النورة ليست عربية في الأصل واشتقاقها يُشابه اشتقاق العربي(١)، وتعد أحجار الكلس مادتها الأساسية، وهي مايعرف بالصاروج، والجير، والجص، والقص، والكلس، والجبس، وسيتضح ذلك بذكر التعريفات التالية:

النورة: " من الحجر الذي يحرق ويُسوى منه الكلس "(٢).

الصاروج: هو " النورة وأخلاطها تطلى بها الحياض والحمامات وهو بالفارسية جاروف، عُرِّب فقيل: صاروج، وربما قيل شاروق، وصرجها به: طلاها، وربما قالوا: شَرّقه ". (٣)

الجير: " الجيار الصاروج. قال الأخطل يصف بيتاً:

كأنها برج رُومي يشيدُهُ

لُز بطين واجرِ وجيار "(٤)

الجص: الجِصُّ والجَصُّ: معروف الذي تطلى به وهو معرب.

ولغة أهل الحجاز في الجص: القصُّ، ورجل جصاص: صانع للجاص، والجصاصة الموضع الذي يعمل به الجص. وجصص الحائط وغيره طلاه بالجص". (٥)

القصة: القَصّة والقصُّ: الجص، لغة حجازية، وقيل الحجارة من الجص، وقد قصَّصَ داره أى جصّصها. ومدينة مُقصصة: مطلية بالقص والتقصيص: هو التجصيص، وذلك أن الجص يقال له القصة. يقا قصصت البيت وغيره أى جصصته. (٦)

الكلس: " مثل الصارورج يبنى به وقيل الكلس الصاروج، وقيل الكلس ماطلي به حائط أو باطن قصر شبه الجص من غير آجر(٧) قال الجوهري: الكلس الصاروج يبنى به وقال عديُ بن زيد:

شـــــاده مـــــرمـــــر وجـلـله كـل
ســـــافللطيـــــر في ذراة وكُـــــورُ[8]

الجبس : " الذي يبنى[9] به " وعرف عند الفيروز آبادى : " الجص : أجباس وجبوس[10]

أما عن استخدامات النورة فهي عديدة وتشمل البناء ومايرتبط به من أعمال زخرفية[11]، وتبيض غزل الكتان، وصناعة النفط[12]، وتجليد الكتب لعمل زخرفة اللاكية[13] وإزالة الشعر[14] والمشهور عند أهل مكة في استخدام النورة هو البناء ومايرتبط به من أعمال زخرفية وقد استخدمت النورة مع التراب والماء في تكوين خليط المونة التى قد يضاف إليها دبس[15] التمر أو تراب الفرن للصق أحجار البناء ومافي حكمها كالآجر[16]، وفي تجصيص المباني وعمل الطبطاب[17] وتكحيل الدرج وطلاء المبانى[18]، وتزينها بالعناصر الزخرفية المختلفة[19] وتتفاوت النسبة في إعداد خليط المونة، فهناك من يرى أنها تتكون بنسبة اثنين تراب إلى واحد نورة وورد أن الخلطة الجيدة بنسبة ثلاث إلى واحد نورة وورد أن الخلطة الجيدة مانسبته ثلاثة تراب إلى واحد نورة. وقد تستخدم النورة بمفردها في التلييس الخارجي أما في حالة الترميمات والتشطيبات فلابد من خلط التراب مع النورة، وأحيانا في المناطق التى يسكنها البدو يستعملون النورة بعد أن تدمج جيداً ثم يضاف إليها التراب، وتستخدم بعد خلطها جيداً لعمل البرك والطبطاب[20]. ويرجح أن أهل مكة استخدموا النورة في البناء من قبل الإسلام؛ ويؤيد ذلك : نهي رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور[21] وهو بناؤها بالقصة[22]؛ مما يجعلنا نحتمل أن الموسرين منهم استخدموا النورة في بناء مساكنهم قبل الإسلام، لأن الأولى لهم استخدامها في مساكنهم قبل قبورهم. أما في بداية العصر الإسلامي فليس لدينا – على حد علمنا – نصوص محدودة لاستخدام المكيين للنورة في البناء، وخاصة في عصر الرسول ﷺ وعصر خلفائه الراشدين؛ إلا أنه استناداً إلى ماسبق ذكره عن

نهي رسول الله ﷺ عن تقصيص القبور، وماورد عن استخدام المسلمين للنورة في إزالة شعر العانة[٢٣] يمكن القول بأن الموسرين من أهل مكة استخدموا النورة في بناء مساكنهم كما كان الحال عليه قبل الإسلام. أما في العصر الأموي فقد وردت دلائل لاستخدام النورة في البناء؛ حيث كان لمعاوية بن أبي سفيان - # - بمكة (٤٠ - ٦٠هـ/ ٦٦٠ - ٦٨٠) ست دور متوالية منها: دار الرقطاء وسميت بذلك لأنها بنيت بالآجر الأحمر والجص، فكانت رقطاء، والدار البيضاء وسميت بذلك لأنها بنيت بالجص ثم طليت به، فكانت بيضاء كلها[٢٤]، وعند بناء عبد الله بن الزبير للكعبة عام ٤٦هـ / ٦٧٩م أشير عليه ببنائها بالقصة، ومن المرجح أنه بعد ذلك شاع استخدام النورة في البناء بمكة؛ ويؤيد ماذهبنا إليه تتبعنا لأخبار عمارة المسجد الحرام وبعض البيوت المشهور بمكة في العصرين الأموي والعباسي، وقد استمر ذلك إلى نهاية العصر العثماني وبداية العهد السعودي ففي عمارة المسجد الحرام في عهد كل من الوليد بن عبد الملك عام ٨٨ هـ/ ٦٠٧ م، وأبى جعفر المنصور عام ١٤٠ - ١٤٧هـ/ ٧٥٤ - ٧٥٧م، ورد أنهما أزَّرا المسجد بالرخام من داخله[٢٥]؛ وطبعي فإن ذلك لايتم إلا باستخدام النورة في خليط المونة للصق الرخام على المباني الداخلية للمسجد الحرام، كما استخدمت النورة في تكوين خليط المونة لبناء أساسيات أعمدة المسجد الحرام التى أمر بها المهدي لما حج عام[٢٦] ١٦٠هـ/ ٧٧٦م وفي خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م[٢٧] كَحَّل درج الصفا والمروة بالنورة[٢٨]، وفي سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م بنى عيسى بن محمد المخزومي - أمير مكة - داراً بالحجر المنقوش والآجر والجص[٢٩]. وذكر ابن بطوطة في وصفه للمسجد الحرام - أثناء قدومه للحج عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م - أن: " على باب إبراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو، قد صنع في داخلها من غرائب صنع الجص مايعجز عنه الوصف[٣٠] " وهذا يشير إلى استخدام النورة لصنع الزخارف، وفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م تم كشط النورة من سطح الكعبة الشريفة والتى عملت عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م[٣١] وفي عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م عمر القائد علاء الدين علي بن محمد بأمر

من المؤيد صاحب مصر بركتي المعلاة عمارة حسنة باستخدام النورة، ثم استكمل عمله عام ٨٢٢ هـ/ ١٤٣٤م بعمارة ظلة المؤذنين التي فوق بئر زمزم وكان البناء بالنورة، وفي عام ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م أعيد بناء سقف الكعبة وأصلحت عدة شقوق في جدران الكعبة الخارجية باستخدام النورة[٣٣]، وعند بناء الكعبة عام ١٠٠١هـ/ ١٣٦٠م حضر الشريف عبد الله - أمير مكة - وحمل مكتلا فيه نورة وفعل فعله جماعة من الحاضرين[٣٤] "؛ وهذا يشير إلى استخدام النورة مادة إنشائية في بناء الكعبة، ولا غرابة في ذلك فهي المادة الأساسية لتكوين المونة اللاصقة لأحجار البناء، وفي عام ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م تم طلاء جميع قباب المسجد الحرام بالنورة ظاهراً وباطناً[٣٥]. كما استخدمت النورة في خليط المونة؛ لبناء وتجصيص البرك والقنوات والسدود في مكة المكرمة؛ حيث نلحظ من أعمال العثمانيين (٩٢٣/ ١٥١٦- ١٥١٧م - ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) بمكة المكرمة أن المعمار عمل في بنائه للقناة في المناطق على سطح الأرض، والمناطق قليلة المياه تحت سطح الأرض، على بناء أساس للقناة، ثم بنى جانبى القناة بالحجر والمونة، ثم جصص أرضية القناة، وقد بلغ سمكها في بعض المواضع ٢٥سم، كما جصص جانبي القناة من الداخل أما من الخارج فتظهر في شكل مداميك تلتصق أحجارها بالمونة دون ترك تجويفات بين أحجار القناة، لمنع تسرب المياه من القناة، أو دخول الحشرات إليها. كمل لجأ المعمار في حال تصدع القناة إلى علاجها بملئها بعجينة مكونة من الجير الحي والقطن والزيت، تكون مخمرة لفترة طويلة؛ لتشكل طبقة عازلة تحول دون تسرب المياه، وظهر من أساليب المحافظة على بناء القناة وعلى المياه المنسابة عبرها، تغطية سطحها بطبقة من الملاط على شكل محدب، كما ظهر أسلوب تغطية سطح السد بطبقة من الملاط أيضا، لحمايته من تأثير المياه إذا علته[٣٦]. وقد استمر استخدام المكيين للنورة في البناء إلى أن حل محلها الإسمنت عنصرا إنشائياً ابتداء من عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م[٣٧].

ثانيا – عوامل ظهور صناعة النورة بمكة المكرمة

لاشك أن توافر أحجار الكلس في مكة المكرمة[٣٨] وهي المادة الخام الأساسية لصناعة النورة – تعد من أهم أسباب ظهور هذه الصناعة في مكة المكرمة، حيث إنها تسهم بشكل كبير في خفض تكاليفها مقارنة بجلبها من الخارج، وإضافة إلى ذلك فقد ساهم انتقال المسلمين إلى مكة للحج أو العمرة في نقل الخبرات الصناعية إليها؛ فالحج ركن من أركان الإسلام، فرض عين على كل مسلم قادر كما قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[٣٩] والعمرة مختلف في وجوبها، حيث إن المشهور عن مذهب الشافعي وابن حنبل وجوبها، أما عند أبي حنيفة ومالك فإنها ليست واجبة، وهما القول الراجح عند ابن تيمية[٤٠]. وقد دفعت هذه الأحكام الشرعية المسلمين للتوجه إلى مكة تلبية نداء ربهم؛ وطبيعي أن يكون من بين هؤلاء الصناع المسلمون القادمون إلى مكة من مختلف أقطار العالم حاملين معهم مختلف خبراتهم الصناعية[٤١]؛ مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا أحد السبل التى أسهمت في تبادل الخبرات في صناعة النورة بين بلدان العالم الإسلامي ومكة لمواجهة متطلباتها من هذه المادة، وإضافة إلى ذلك فإن نمو عمران مكة تطلب ظهور صناعة النورة بها لمواكبة مسيراتها الحضارية فقد شهدت مكة المكرمة بعد ظهور الإسلام تطوراً عمرانيا، وخير شاهد على ذلك التوسعات المختلفة في المسجد الحرام، والتى كانت تعني زيادة في بناء المساكن وغيرها من المباني لتعويض النقص الحاصل من هدم الدور وإضافة أرضها للمسجد الحرام[٤٢]، علاوة على بناء السدود والأسبلة والحمامات وغيرها من المرافق العامة التى تعود بالنفع على المسلمين في البلد الحرام[٤٣] ويمكننا التعرف على ملامح ذلك التطور في عصر معاوية بن أبي سفيان – # – من خلال حديثه مع عائشة – $ – حين قالت له " : أنت الذي عمدت إلى مكة فبنيتها مدائن وقصوراً وقد أباحها الله عز وجل للمسلمين وليس أحد أحق بها من أحد قال ياأم المؤمنين، إن مكة كداءُ ولايجدون مايكنهم من الشمس والمطر وأنا أشهدك أنها صدقة عليهم[٤٤] " ولمعاوية بن أبي

سفيان - # - أعمال عمارية عديدة في مكة؛ منها تسهيله طريق الحجون(٤٥)، وعنايته بأمر الشرب في مكة، فأنشأ لها نحو عشر عيون(٤٦)، وأمر بتجديد أنصاب الحرم(٤٧)، وأقام سداً فيما كان يُعرف بالسوق الصغير(٤٨) وامتلك دوراً مشهورة منها الدار الرقطاء التى بنيت بالآجر الأحمر والجص، والدار البيضاء التى بنيت بالجص ثم طليت به، ودار سعد التي بنيت بالحجارة المنقوشة(٤٩). وقد تعددت أخبار استخدام المكيين للحجر المنقوش في بناء مساكنهم وغير ذلك من المرافق بما يعود بالنفع عليهم فمن ذلك دار جعفر بن يحيى بأجياد عمرها بالحجر المنقوش والساج، وكان قد اشتراها من أم السائب بنت جميح الأموية فيما ذكر بثمانين ألف دينار(٥٠)، وبركة القسري أو السروي بفم الثقبة التي أمر ببنائها سليمان بن عبد الملك، وورد أنها بنيت بحجارة منقوشة طوال(٥١). وورد أن سعيداً الهذلي كان ينقش الحجارة التي يقطعها من جبل أبي قبيس في مكة(٥٢).

وتدل إشارات المؤرخين لاستخدام المكيين للأحجار المنقوشة في البناء على تأنقهم واهتمامهم بمتانة ومظهر منشآتهم؛ ومن المرجح أن بناء تزداد كلفته بصقل أحجاره أن يعهد صاحبه إلى اختيار المونة الجيدة للصق أحجاره؛ وهذا يؤيد القول بأن المكيين كانوا بحاجة للنورة لمواجهة نمو مدينتهم المقدسة وتطور عمرانها.

ثالثاً: نشأة مصانع النورة بمكة:

أطلق على مصانع النورة عدد من المصطلحات وهي: الجصاصة(٥٣)/ مصنع(٥٤)، فرن الجير، جيارة(٥٥)، كلاّسة(٥٦) مجيرة(٥٧)، كوشة(٥٨)، محرق(٥٩)، جباسة(٦٠)، والمشهور عند أهل مكة مصطلح " مصنع ". ولنا أن نتساءل هل أنشأ أهل مكة مصانع للنورة قبل الإسلام أم لا ؟.. وإذا كانت الإجابة بالنفي فمتى تم لهم ذلك في الإسلام ؟ وفي الإجابة عن ذلك نجد أن جواد علي ذكر بأنه: " على مسافة اثنى عشر ميلاً من مكة جبل يقال له جبل النورة، حيث تحرق حجارة الكلس المكونة له لاستخراج النورة واستعمالها في البناء(٦١). وبما أنه

يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام فإن الذي يفهم من ذلك هو أن أهل مكة انشأوا مصانع للنورة قبل الإسلام، ولم يشر المؤلف إلى المصادر التي اعتمد عليها، ومن هنا أرى أن هذا القول مجانب للصواب لما يلي:

١-لم نعثر في المصادر التى اطلعنا عليها على نص صريح أو مايستدل منه على أن أهل مكة أنشأوا مصانع للنورة بمكة قبل الإسلام، وطبيعي فإن هذا لاينفي استخدامهم للنورة قبل ذلك، لأنهم ربما جلبوها من خارج مكة.

٢-إن مسمى جبل النورة الوارد في النص يعود إلى تسمية المنطقة التي يقع فيها الجبل والمعروفة إلى الوقت الحاضر باسم النوارية[٦٢] - تبعد ١٦ كم شمال المسجد الحرام - وهي تسمية وردت في مصادر تاريخ مكة سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، وقبلها كانت تُعرف بوادي سرف؛ ويدل على ذلك تتبع بعض الأحداث التي وقعت بها في عصر الرسول ﷺ وبعده: ففي سنة سبع للهجرة تزوج الرسول ﷺ ميمونة: " وأعرس بها بسرف وتوفيت[٦٤] بسرف "، كما ورد اسم سرف للدلالة على المنطقة التى توقف بها حسن بن حسن الأفطس[٦٥] سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م، والمنطقة التى خلف فيها محمل الحاج العراقي سنة[٦٦] ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢١م، مما يعني أن اسم النوارية لم يكن معروفا في ذلك الوقت.

٣-ذكر الفاكهي أن " أول من عمل الجص والآجر بمكة وبنى به: معاوية #[٦٧] " وهذا يؤكد أن بداية ظهور صناعة النورة بمكة المكرمة كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان # (٤٠ - ٦٠ هـ/ ٦٦٠ - ٦٨٠م)، ولم تظهر قبل الإسلام.

رابعاً: مراكز الصناعة:

يمكن تتبعها بما يلي:

١- مصانع النورة في عهد معاوية بن أبي سفيان # ٤٠ - ٦٠ هـ/ ٦٦٠ ٦٨٠م، يرجح أنها كانت تقع غرب المسجد الحرام، حيث أورد الفاكهي عن ذلك

مانصه: " وحمام في سوق الدجاج عند أصحاب النورة "[٦٨]؛ وبما أن سوق الدجاج كان يقع وسط التجمع السكاني غرب المسجد الحرام[٦٩]؛ فمن المرجح تصنيع النورة وبيعها عند ذلك الموضع؛ ويؤيد ذلك أن نقل النورة في شكل أحجار خام غير مصنعة من مناجمها[٧٠] إلى مراكز التصنيع قريباً من التجمع السكاني أسهل من نقلها مصنعة؛ لأنها في الحالة الثانية تكون في صورة مسحوق يحتاج إلى أوعية جيدة للحفاظ عليه، وهذا كان معمولاً به في العصر العثماني، فقد ورد أن النورة كانت تنقل عبارة عن قطع من الأحجار إلى موضع البناء، أو تطفأ في مصنعها وتنقل على شكل مسحوق إلى موضع البناء[٧١].

٢- أشار محمد بن علي الصديقي (ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) إلى أنه كان يوجد مصنع سلطاني لطحن الجبس عند بركة الشامي[٧٢]، وبما أنها كانت تقع في المعلاة[٧٣]؛ فهذا يشير إلى أن المصنع كان يقع شمال المسجد الحرام (خارطة رقم ١)، وقد استمر وجوده إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة[٧٤].

٣- مصانع ذكرها الطبري (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) في سياق حديثه عن الأربطة في مكة فقال: " منها رباط النساء وهو خلف البستان المعروف ببستان شيخ الحرم بالقرب من مصانع النورة. وبما أن بستان شيخ الحرم كان يقع على يسار الصاعد إلى مقبرة المعلاة[٧٥]، فهذا يشيرإلى أن المصانع كانت تقع شمال المسجد الحرام بالقرب من المصنع السابق (خارطة رقم ١).

٤- مصانع حارة الباب: أشار إليها الغزاوي بقوله: مصانع مكة المكرمة فلا يزال مكانها وأثرها باقياً حتى الآن - عصر المؤلف ١٣١٨- ١٤٠١هـ/ ١٩٠٠ - ١٩٨١م - بمحلة الباب... في سفح قعيقان... يسار الداخل إليها من ريع الرسام... وماهي إلا لإطفاء النورة:[٧٦] وحالياً ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م -اختفت المصانع وحل محلها عمائر حديثة، وقد أفاد محمد عبدالرحمن بسيبس، بأن والده ورث مهنة صناعة النورة عن جده الذي كان له مصنع بحارة الباب منذ القرن الثالث عشر الهجري، وتمت إزالة المصنع فيما بين عامي ١٤٠١-١٤٠٢هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١م، وأقيمت مكانه عمارة حديثة[٧٧] (خارطة ١).

٥- مصانع جرول: لقد كانت جرول آخر حدود العمران من مكة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري تقريباً، وبها مصانع للنورة[٧٨] لم يبق منها في الوقت الحاضر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م سوى بقايا مصنع واحد، يظهر منه القسم العلوي للمدخل في شكل عقد موتور، والجزء العلوي الدائري من بناء حجرة التصنيع، وبقايا سور من المحتمل أنه كان يحيط بالمصنع. وبالنظر إلى ارتفاع منسوب الأرض المجاورة للمصنع فإننا نعتقد أن معظم أجزاء المصنع لاتزال مطمورة تحت مستوى الأرض المحيطة به، والتي علت نتيجة لما تجلبه السيول من مخلفات (خارطة رقم ١ و لوحة رقم ١).

٦- مصانع وردت في وثيقة: لقد ورد في وثيقة مؤرخة عام ١١٢٤ هـ/ ١٧١٢م أنه تم في هذه السنة تجديد جدار حوش السلطنة الموقوف لعمل النورة، وتجديد مصنعين لحرق النورة فيهما، وقد كان الحوش مربعا طول ضلعه ٢٠٥ ذراع (١٠٣م) تقريبا وارتفاعه أربعة أذرع (٢م) تقريبا وعرضه ذراع واحد (٠٥, ٠م) تقريبا ولم نعثر على مايدلنا على موقع هذا الحوش والمصنعين، ويظهر مما سبق حرص الدولة العثمانية على تنمية الموارد المحلية لمواد البناء المساعدة في إنجاز مشاريعها العمارية بمكة المكرمة.

٧- أشار المكي إلى أن بمكة سبعة عشر مصنعاً للنورة[٨٠]، وأيد ذلك إبراهيم رفعت[٨١] إلا أنهما لم يحددا مواقع المصانع. ومن المحتمل أن تكون داخل حرم مكة قريبة من موضع التجمع السكاني حول المسجد الحرام وربما أنه أحصى عدد المصانع في المواقع التى توجد فيها المصانع بمكة المكرمة وفي الأودية القريبة منها مثل النوارية والحراب وغيرها.

٨- مصانع النورة بالنوارية: تقع مصانع النورة بجوار مناجم أحجار الكلس، فيما يُعرف بوادي سرف أو النوارية على يسار الذاهب إلى المدينة من مكة، قبل مدينة الجموم، وعلى بعد ١٦ كم من المسجد الحرام[٨٢] (خارطة رقم ٢).

وقد أشار إلى هذا الموقع عدد من الرحالة والمؤرخين أمثال سنوك هورخرونية عندما زار مكة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري فذكر أنه كان " يطلق عليه تاريخياً النوارية "(٨٣): وذكر الكردي أنه " يوجد بمكة المكرمة منجم عظيم للنورة البلدية يبدأ من بعد عمرة التنعيم بمسافة طويلة، أي يبدأ أول منجم من نحو خمسة عشر كيلو متراً من المسجد الحرام أي بعد قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها، ويمتد في باطن الأرض ببضع كيلو مترات من جهة الشمال الغربي على اليسار "(٨٤). كما أشار محمد عمر رفيع إلى أن النورة كانت تستخرج من مناجمها " بالنوارية " على مقربة من قبر السيدة ميمونة بوادي سرف، خارج مكة من الطريق إلى المدينة(٨٥)، وذكر الغزاوي عن ذلك مايلي: "جبل إلى يسار الذاهب من التنعيم إلى " سرف " ووادي مر أو مر الظهران المسمى بوادي فاطمة منطقة من الجبال... كانت ولاتزال مصدراً للكلس أو النورة البلدية - ومنها بنيت بيوت مكة من عهود بعيدة ويطلق عليها (النورية)(٨٦)

وبناء على ماسبق فإن النوارية كانت مناجم لاستخراج أحجار الكلس، ويؤيد هذا وجود عدد كبير من الشواهد الأثرية، إلا أنها مع الأسف بدأت تختفي عاماً بعد عام، ومن ذلك أثار القطع الصخري وحفر الأنفاق لاستخراج أحجار الكلس (اللوحات أرقام ٢، ٣، ٤) ووجود عدد من المصانع التي كنت اتتبعها منذ عام ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م إلا أن معظمها اختفى حالياً وحل محله مبان حديثة ولم يبق منها سوى اثني عشر مصنعا في الوقت الحاضر (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) (اللوحتان رقما ٥، ٦) ولم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر على حد علمنا - مايحدد فترة زمنية لظهور مصانع النورة في النوارية، إلا أنه استناداً إلى ورود مسمى " النوارية " في سياق حديث العصامي عن أحداث عام ٩٠٣ هـ/ ١٤٩٧م؛ قد تكون وجدت مصانع النورة في آواخر العصر المملوكي(٨٧).

ومن خلال زيارة لأحد صناع النورة المسنين في تاريخ ١/ ٣/ ١٤١٢هـ(٨٨) أفاد بأنه من الصعب تحديد تاريخ لنشأة مصانع النورة بالنوارية؛ لأن معظم العمال

والصناع في النوارية قليلو الاهتمام بالعلم، مما أثر على عدم تمكنهم من تسجيل تاريخ هذه المصانع علاوة على أن مصانع النورة يمكن إعادة بنائها في أى وقت تتصدع فيه أو يحدث لها أى ضرر، واستطرد قائلا: إنه يعمل في مصانع النورة بالنوارية منذ أكثر من أربعين سنة وسمع ممن هم أكبر منه سناً أن هذه المصانع لم يطرأ علها إعادة بناء منذ نهاية القرن الثالث عشر للهجرة.

وقد حاولت البحث عن نقوش كتابية في الموقع للاستفادة منها في معرفة تاريخ المصانع فلم أجد؛ وعليه فإن احتمال وجود مصانع النورة في النوارية منذ نهاية العصر المملوكي لايزال قائماً، والمرجح أن البناء الحالي للمصانع المتبقية بالنوارية يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجري.

٩ - مصانع النورة في الحراب: تقع مصانع النورة مجاورة لمناجم أحجار الكلس عند جبل الحرابي على بعد ٢١,٥ كم من المسجد الحرام مروراً بالشبيكة فحارة الباب فالزاهر فأم الجود فمقر رابطة العالم الإسلامي التي تقدر المسافة من عندها إلى المصانع ب ١٣,٨كم مرورا بطريق الرحا. (خارطة رقم ٢ و لوحة رقم ١٠).

ولم نعرف فيما اطلعنا عليه من مصادر - على حد علمنا - مايشير إلى تاريخ هذه المصانع؛ إلا أننا تعرفنا على ذلك بعد مقابلة الشريف نصير ابن عبد الله بن ناصر[٨٩] الذي أفاد بأن الشريف ناصر بن بخيت المتوفي سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م هو مؤسس المصانع عند جبل الحرابي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة. وقد أكد ذلك الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر[٩٠]، وأضاف بأن المصانع أجريت لها أعمال ترميم عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م تقريبا، إلا أن ذلك لم يغير من معالمها القديمة.

وبالوقوف على الموقع وجد أن به تسعة مصانع بحالة جيدة لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل، ويجاورها جبل الحرابي، أما المنجم فقد أخذ شكل طريق تم قطعه من الجبل، وتظهر به المياه على مستوى مختلف في العمق بين ٤ - ١٠ سم. وتجدر

الإشارة إلى أن مصانع النورة في الحراب في حالة عمارية أفضل من مصانع النوارية التى تعرض معظمها للإزالة، وأقيم بدلاً منها مبان حديثة، وربما يعود سلامة مصانع الحراب من الخراب والإزالة إلى عدم امتداد عمران مكة إليها حتى الوقت الحاضر (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

وبناءً على ماسبق فإن النوارية والحراب كانتا مركزين مهمين لإنتاج الأحجار الخام للنورة واستمرتا في عطائهما إلى أن حل الأسمنت محل النورة ابتداء من عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ مما يعنى أنه يمكن الاستفادة مجددا مما ينتجه هذان المركزان في صنع النورة للاستفادة منها في الأعمال العمارية المختلفة.

خامسا: طراز عمارة المصانع

ظهر من الزيارات الميدانية لمراكز التصنيع أن مصانع حارة الباب اختفت ولم يبق منها أثر وكذلك مصانع جرول اختفت باستثناء اجزاء من أحد مصانعها فإنها لا تزال باقية إلى الآن (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) وبمقارنة طراز المصانع في الحراب والنوارية والأجزاء الباقية لأحد مصانع جرول؛ وجد أنها متفقة في الشكل العام مع اختلاف يسير في الأبعاد، مما يعنى أنه بتقديم وصف لأحد هذه المصانع، فإنه يمكن أن يكون طرازاً عاماً لمصانع النورة بمكة في الحراب والنوارية وجرول؛ ولذلك فقد اخترنا أحد مصانع النوراية لرفعه عمارياً، ثم وصفه على الوجه التالي:

الموقع: النوارية على مسافة ٨٠٠ م تقريبا غرب الشارع العام المؤدى إلى المدينة المنورة (خارطة رقم ٢).

(١) الوصف العماري

يأخذ المصنع شكلاً دائرياً يتقدمه مدخل مستطيل يمثل واجهة المصنع، أبعاده الخارجية كما يلي: من الشرق إلى الغرب ٣,٩٠م ومن الشمال إلى الجنوب ٢,٦٠م، ويبرز عن سمت الجدار الدائري المؤدي إلى الداخل ١,٧٠ وسعة

المدخل ٨٥, ١ يعلوه عقد موتور يرتفع ٨٠, ٢م عن مستوى الأرض الحالية ومن هذا المدخل يمكن الوصول إلى الحجرة الدائرية للتصنيع عبر مدخل الواجهة ومرتداً عنه من الجانبين ب ٦٠, ٠م ومرتفعاً عن الأرض الحالية بدرجة ارتفعها حوالي ٣٠ سم وسعة هذا المدخل ٦٥, ٠ م يعلوه عقد موتور يرتفع عن مستوى درجة المدخل ٩, ١م (الشكلان رقما ١، ٢ واللوحات ارقام ٦، ٧، ٩) ومن هذا المدخل يمكن الوصول إلى حجرة التصنيع لحرق أحجار الكلس، وهي على شكل دائري قطرها الداخلي ٢٠, ٣م وارتفاعها عن مستوى الأرض الحالية ٦٠, ٣م وقد أنشىء في أسفلها بناء يبرز ٤٠, ٠م عن مستوى الأرض الحالية لحجرة التصنيع (الشكلان رقما ١، ٢ واللوحتان رقما ٧، ٨) ويكتنف فتحة الدخول من داخل حجرة التصنيع كتلة بنائية تأخذ شكلاً مستطيلاً منتهياً في جانبه بشكل شبه مثلث (شكل رقم ٢).

(٢) أسلوب البناء والمواد المستعملة

اختار المعمار سفوح الجبال موقعاً لبناء مصانع النورة في جرول والحراب والنوارية، وذلك ليحقق هدفين؛ أحدهما حماية المصانع من عوادي السيول التي ستؤثر على المصانع فيما لو بنيت في بطن الوادي أما الهدف الآخر فهو الإفادة من ارتفاع منسوب سفح الجبل عن الوادي؛ ليكون عاملاً مساعداً في إحاطة المصنع بالتراب من جميع جوانبه تقريباً باستثناء الواجهة؛ للمحافظة على عدم تسرب حرارة النار الموقدة داخل المصنع. كما أفاد من معطيات البيئة المحلية باستخدام أحجار البازلت غير المهذبة وألصقها ببعض بخليط المونة المكونة من التراب والنورة، وجعل جدار حجرة التصنيع الدائرية سميكاً (١٠, ١م) ليساهم في حفظ الحرارة وتحمل دفع أحجار الكلس بعد رصها للتصنيع. أما البناء المنشأ في أسفل دائر جدار حجرة التصنيع ببروز ٤٠, ٠م وارتفاع ٦٠, ٠ م فقد جعله لحمل أحجار الكلس المراد تصنيعها ولجعل المنطقة الواقعة تحتها فراغاً، للإفادة منه في وضع الحطب وإشعال النار. وجعل لمدخل المصنع كتلة بنائية تبرز ١,٧٠ م عن سمت

جدار حجرة التصنيع ؛ ليتمكن الصانع من الوقوف عندها ، وإدخال الحطب لزيادة إشعال النار إذا لزم الأمر في حجرة التصنيع ، كما يمكنه الاحتماء من لهب النار بالوقوف عند الفراغ الناتج بين المدخلين (شكل رقم ١ ولوحة رقم ٩) ويسمى عند أهل الصنعة الكتف[٩٢] .

سادساً: طرق الصناعة

لقد أمكن الكشف عن ذلك بإجراء مقابلة مع اثنين من المسنين عملا في صناعة النورة ، كانت المقابلة الأولى مع أحد الصناع في النوارية بتاريخ ١/ ٣/ ١٢ ١٤١هـ ، أما المقابلة الثانية فكانت مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر في الحراب بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٤١٦هـ ، وبمقارنة المعلومات المقدمة منهما ظهر اتفاقهما على أن صناعة النورة بمكة كانت تتم وفق مايلي :

(١) استخراج أحجار الكلس

يقوم العمال باستخراج أحجار الكلس من الجبال المحيطة بالمصانع ، وذلك بتكسير الصخور للحصول منها على أحجار الكلس التي يعرف بعضها بالسوادي وبعضها بالبياضي ثم ينقل الدمار والأحجار عديمة الفائدة إلى منطقة بعيدة بعض الشيء عن موقع التكسير ، وقد يأخذ ذلك أشكالاً عدة تبعا لموقع أحجار الكلس ، فقد يكون ذلك بقطع الجبل من أعلاه إلى أسفله كما هو الحال في منطقة الحراب (لوحة رقم ١١) وقد يكون بنقب الجبل على شكل نفق كما هو الحال في النوارية (اللوحتان رقما ٣ ، ٤) ولايزال إلى الوقت الحاضر (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) نفق محفور في الجبل قطره حوالي ٢,٥م وعمقه يزيد عن ١٥م . وأثناء ذلك قد يضطرون إلى استخدام أساليب التفجير ، حيث يعملون ثقبا في أحد مواضع الجبل قطره حوالي عشرة سنتيمترات وطوله نحو المتر ثم يملؤون مايقرب من ثلثي الفتحة بالبارود ، ثم يغطون مايحيط بالفتحة ويدقون عليه برفق حتى يتم تجميعه بشكل

متكامل، ويضعون فتيلاً طويلاً لربط البارود بآخر الفتحة ثم يشعلون الفتيل ويبتعدون، وبذا تتم عملية التفجير ويحصلون على طلبهم من أحجار الكلس لصناعة النورة.

(٢) التصنيع

تنقل المادة الخام للنورة في شكل أحجار مختلفة الأحجام، يمكن حملها باليد العادية إلى المصنع، ثم ترص بتدرج إلى أن يتم بناؤها على شكل قبة أو على شكل هرمي ثم تغطى من الأعلى بالأحجار الصغيرة ثم بالرماد أو النورة لمنع تسرب حرارة النار إلى الخارج، ثم تشعل النار داخل المصنع تحت القبة المكونة من رص الأحجار الخام للنورة، ويستمر إشعال النار داخل المصنع لمدة ثلاثة أيام دون توقف، ويتناوب العمال خلالها على مراقبة اشتعال النار؛ فيزيدونها حطباً كلما بدأت تكل ثم ينتظرون بعد ذلك مدة قد تصل إلى يوم كامل كي تنطفيء النار تماما وتبرد الأحجار، فيبدأون في استخراجها من المصنع، وقد تحول لونها من السمرة إلى البياض بفعل النار، ثم يرشونها بالماء فتتفتت ويتم سحقها وغربلتها حتى تصبح كالرمل، وبذا تكون جاهزة للاستعمال.

وقد أضاف لنا الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحياني[٩٣] معلومات عن أسماء الأحجار الخام المستخدمة في التصنيع وعن أسماء الأخشاب المستخدمة في الحرق وهي:

أ- **حشو:** وهو حجر الكلسر صغير الحجم حوالي ١٥ سم تقريبا، ويظهر من اسمه أنه يستخدم في ملء الفراغات الناتجة من رص أحجار الكلس الخام.

ب- **كردوس:** وهو حجر الكلس الذي يرص ليكون شكل قبة داخل المصنع وتكون أبعاده حوالي ٨ × ١٢ ×٥ سم تقريباً.

ج- **نقل:** وهو حجر الكلس الذي يرص مع كردوس لبناء قبة داخل المصنع، وتكون أبعاده حوالي ٣٠ - ٤٠ - ٦٠ طولاً وعرضها حوالي ١٠ - ١٥ سم وسمكاً حوالي ٦-٧ سم.

أما عن أسماء الأخشاب المستخدمة في الحرق داخل المصنع فهي

أ - أثل: كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية.
ب - بشام: كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية.
ج - الحمض: كانوا يجلبونه من طريق مكة - جدة.
د - السرح: كانوا يجلبونه من الكامل ووادي سرف.
هـ - السلم: كانوا يجلبونه من طريق مكة - جدة.
و - السمر: كانوا يجلبونه من نبع ودسم باللحيانية.
ز - العشر: كان موجوداً في النوارية.

وبمقارنة ماسبق عرضه عن صُنع النورة بما تقوم به المصانع الحديثة؛ ظهر اتفاقهما في الأسلوب مع اختلاف في أداة التنفيذ، ويمكن إيضاح ذلك بما قدمه لنا مشكوراً المهندس أحمد زكريا السيد وهبه حيث أفاد:

بأن الأحجار الجيرية تتكون بصفة عامة من الخام الأساسي كربونات الكالسيوم ومعها بعض الأكاسيد المعدنية مثل: أكسيد المغنسيوم وأكسيد الحديد وأكاسيد الألمنيوم اضافة إلى مادة السليكون (الرمل). ويمكن الحصول على المادة الخام للنورة عن طريق الحفارات وعمليات التفجير، وتكسير الأحجار الخام إلى قطع صغيرة حوالي ٢ × ١٢ × ١٢ سم. يتم بعدها إدخال أحجار الكلس (كربونات الكالسيوم) إلى الفرن وتعرض لدرجة حرارة تصل من ١١٠٠° - ١٢٠٠° لمدة ثماني ساعات، ونتيجة للحرارة العالية فإن أحجار الكلس (كربونات الكالسيوم) تتحول إلى عنصرين هما: أكسيد الكالسيوم (الجير الحي) وغاز ثاني أكسيد الكربون الذي

يتطاير على هيئة غاز وبإضافة الماء إلى أكسيد الكالسيوم (الجير الحي) يتحول إلى جير مطفأ، وهو مايسمى بالنورة حيث يتم طحنه وتحويله إلى بودرة.

(٣) تطور جودة الإنتاج في مصانع النورة

طبيعي أن يتجه الموسرون ومن لديهم إمكانات مادية إلى ماتنتجه مصانع النورة بمكة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان- # -، للاستفادة من ذلك في بناء منشآتهم المختلفة، إلا أننا نلحظ أنه في عهد عبد الله بن الزبير - # - عند إعادة بنائه للكعبة المشرفة عام ٦٤هـ/ ٦٧٩م كان هناك من يشير عليه ببنائها بالقصة " فسأل عن القصة فأخبر أن قصة صنعاء هي أجود القصة فأرسل إلى صنعاء بأربع مائة دينار يشترى له بها قصة ويكتري عليها، وأمر بتنجيح ذلك "[٩٥] ويمكن أن نستدل من ذلك على أن صناعة النورة بمكة عام ٦٤هـ/ ٦٧٩م لم تصل إلى الحد الذي تتساوى فيه مع ماتنتجه اليمن في ذلك الوقت لقلة خبرة القائمين عليها، فالمدة الزمنية قصيرة جداً بين بداية ظهور الصناعة في عهد معاوية بن أبي سفيان # (٤٠ - ٦٠هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠م) وإعادة عبد الله بن الزبير لبناء الكعبة عام ٦٤هـ/ ٦٧٩م) ونرجح تفوق الصناعة بعد ذلك، وخاصة في عمارة المهدي للمسجد الحرام عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م، والتى أكد فيها الأزرقي على استخدام النورة في بناء أساسات أعمدة المسجد الحرام[٩٦] فلو كانت النورة بمكة غير جيدة في ذلك الوقت، لكان من الأولى أن يجلبوها من الخارج كما جلبوا أعمدة الرخام[٩٧]، كما يبدو أنه أصبح لما تنتجه مصانع النورة بمكة مكان معروف تباع فيه، وذلك استناداً إلى ماذكره الفاكهي عن ذلك في سياق حديثه عن حمامات مكة فذكر مانصه " وحمام في سوق الدجاج عند أصحاب النورة "[٩٨].

كما يظهر استمرار جودة ماتنتجه المصانع إلى العصر العثماني بالنظر إلى مواد البناء التي جلبت إلى مكة عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م لإعادة بناء الكعبة، حيث ورد تفصيل لجميع المواد المجلوبة ولم تكن النورة من بينها[٩٩] ومعروف أن بناء الكعبة

هو أهم بناء عند المسلمين، والواجب في ذلك أن تختار مواد البناء الجيدة، فلو كان نتاج النورة بمكة في ذلك الوقت غير جيد، لكان من الأولى لهم أن يجلبوها من الخارج، كما فعل عبد الله بن الزبير - # - عند بنائه للكعبة عام ٦٤/ ٦٧٩م[١٠٠].

(٤) نقل النورة

كان نقل النورة يتم بوضعها في أكياس من الخيش وتحميلها على ظهور الحمير، حيث يعملون لكل حمار من أخشاب الأشجار القوية أربعة مثلثات متساويات الساقين، ثم يجعلون كل مثلثين متقابلين بينهما نحو نصف متر، ثم يوصلون رأسهما بخشبة أيضا ثم يجعلون بين ساقيها خشبتين أيضا، فيكون كل مثلثين بمثابة قطعة واحدة وسطهما خال، ثم يضعون كل مثلثين في جانبي الحمار من فوق البردعة بعد ربط أطراف ساقيهما ببعض بحبل غليظ قوى، ثم يجعلون قطع الأحجار المكسرة من الجبال في داخل المثلثين من الجانبين، أو يضعون بهما النورة بعد تعبئتها في كيس من الخيش[١٠١].

سابعاً: أشهر النوارين في مكة وألقابهم المهنية

أ - **عبد الرحمن محمد بسيبس**، وقد ورث مهنة صناعة النورة عن أبيه الذي كان له مصنع بحارة الباب منذ القرن الثالث عشر للهجرة، وقد تابع عبد الرحمن بسيبس العمل في صناعة النورة، ويعد مع أسرة غندورة من أشهر صناع النورة بحارة الباب، وهما المولان لتجار النورة، وقد كان عبد الرحمن محمد بسيبس يبيع النورة على الشيخ محمد بن لادن في بداية العصر السعودي بما يُقارب نصف ريال للصفيحة الكاملة من النورة[١٠٢].

وقدم الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحياني الأسماء التالية لمن اشتهرو بصناعة النورة في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة في مكة وهم: [١٠٣]

ب – محمد سعيد جان.

ج – السنوسي.

د – سمسم.

هـ – أحمد كوير.

و – عبد الله أحمد كوير.

ز – **خربوزة،** وقد عاش نحو مائة عام، وتخصص في ترميم مصانع النورة توفي نهاية القرن الرابع عشر للهجرة تقريباً.

ح – **عبد الله بن مسلم البطحي اللحياني** شيخ النوارة في النوارية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة، عاش نحو مائة عام وتوفي عام ١٣٩٥هـ، بدأ حياته بجمع الحطب مع إخوانه عبيد الله وجميلة وريشة ويبيعه على أصحاب المصانع ثم اشترى مصنعاً للنورة وترقى إلى أن أصبح شيخاً على أصحاب مصانع النورة في النوارية، وقد كلف بجمع الضرائب وتقديمها للحكومة في الفترة السابقة على العصر السعودي.

ط – **عاتق بن عالي بن علي اللحياني** توفي قبل عام ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م، وورث الصناعة عن أبيه الذي كان يملك مصنعاً للنورة.

ي – سعد بن عايش بن سعد اللحياني.

ك – **زبن بن عايش بن سعد اللحياني،** وقد امتلك مع أخيه سعد مصانع في النوارية.

ل – **سلمان بن سالم اللحياني**، وهو ابن عم شيخ النوارين في النوارية.

م – **عبيد الله بن مغيث عبد الحي اللحياني**.

أما عن ألقاب الصنع فهي كما يلي:

أ – **نوار**: مختص بطلاء الجدران من الداخل والخارج، ويفرق بينه وبين المعلم البناء بأن يدعى الأول معلم نَّوار والثاني معلم بنَّاء، والمعلم هو اللقب الذي يسبغ على رئيس العمال، وهو أشبه بمتعهد توريدهم[(١٠٤)] وقد ورد في تحديد مهنة عبد الرحمن محمد بسيبس صاحب مصنع النورة بحارة الباب لقب نوار[(١٠٥)] مما يعني أن لقب نوار ممكن أن يطلق أيضا على أصحاب المصانع.

ب – **صنايعي**: يطلق على المعلمين الأقل درجة من معلم نوار فيقال صنايعي نوار.[(١٠٦)]

جـ – **الخلاط**: وهو الذي يخلط التراب بالنورة والماء ليكون صالحاً للبناء.[(١٠٧)]

د – **لغمجي**: وهو الذي يقوم بدق اللغم لاستخراج أحجار الكلس من الجبال ويكسر الأحجار[(١٠٨)].

هـ – **قرَّاش**: الذي يقطع الحطب ويجهزه لاستخدامه لإشعال النار داخل المصنع.[(١٠٩)]

و – **جرار**: الذي يجلب الحطب.

ز – **رماي**: الذي يرمي الحطب داخل المصنع، ويشترط فيه أن يكون ذا مهارة عالية في إدخال الحطب داخل المصنع، بحيث يوزع الحطب والنار مشتعلة، ولايترك جزءاً دون إيصال النار إليه، والمهارة تكون في رميته للحطب دون المساس بأحجار الكلس المرصوصة، لأن أعواد الحطب لو اصطدمت بأحجار الكلس المرصوصة، فإن ذلك قد يؤدي إلى انهيارها مما يعنى بذل جهد جديد لإعادة رصها بعد أن تبرد، ولذلك لايكلف بهذا إلا متخصص، ويروي الأستاذ صالح بن عبد الله بن مسلم اللحياني ابن شيخ صناع النورة في النوارية بأنه طلب من والده السماح له برمي الحطب داخل المصنع – أثناء عملية التصنيع – فرفض والده خوفاً من أن يسبب ذلك انهيار أحجار الكلس (١١٠) المرصوصة.

نتائج البحث

نظراً لتنوع استخدام النورة وأهميتها في تلبية حاجة مكة لنموها العمراني، فلقد ظهرت صناعتها بمكة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠ - ٦٨٠م) واستمر استخدامها وتصنيعها بمكة إلى عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م. وتعددت مراكز صنعها، فمنها مااندثر ولم يبق له أثر، ومنها مايحتفظ ببعض المصانع أو أجزاء منها كالنوارية والحراب وجرول، وقد يكون بداية ظهور مصانع النورة في النوارية يرجع إلى أواخر العصر المملوكي، والمرجح أن البناء الحالي لمصانع النوارية يرجع إلى القرن الثالث عشر الهجري، أما مصانع الحراب فإنها ترجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري، ولم نعثر فيما اطلعنا عليه من مصادر – على حد علمنا – على مايدلنا على تحديد مدة زمنية لظهور مصانع جرول وبالنظر إلى طراز عمارة المصانع وجد أنها تتفق في الشكل العام مع اختلاف يسير في الأبعاد، وعلى هذا فإننا بعرضنا لوصف أحد المصانع فإنه يكون طرازاً عاماً لكل المصانع التي عثرنا عليها، ويأخذ المصنع شكل حجرة دائرية قطرها الداخلي ٣,٢٠م يتقدمها كتلة المدخل، ويمكن رص أحجار الكلس بشكل قبة أو

هرمي داخل حجرة التصنيع وكبسها ؛ لمنع تسرب النار التي يمكن إشعالها داخل حجرة التصنيع أسفل أحجار الكلس لمدة ثلاثة أيام دون توقف، فيتحول لون الكلس إلى اللون الأبيض، وتكون جاهزة للاستخدام بعد رشها بالماء. وقد تعرفنا على أسر عديدة ساهمت في إنتاج النورة في البلد الحرام، منها أسرة بسيبس وجان وسمسم وكوير وعدد من لحيان، كما تعرفنا على ألقاب الصناع المرتبطة بصناعة النورة، ومنها لقب نوار وصنايعي وخلاط ولغمجي وقراش وجرار ورماي، ونظراً لأهمية الصناعة ومكانتها في تاريخ مكة أوصينا بما نراه محافظاً على هذه الصناعة ومحتفظاً لتاريخ مكة بمعلم من أهم معالمه التى ساهمت في تطوره ونهوضه.

توصيات

من واقع هذه الدراسة تبرز التوصيات الآتية :

١- بما أن مكة المكرمة عاشت مايقرب من أربعة عشر قرنا من الزمان معتمدة - بعد عون الله - على ماتنتجه مصانع النورة بها، للحصول على المادة الخام الأساسية في البناء ؛ فإنه يمكن الاستفادة مجدداً مما كانت تنتجه المناجم قديماً لإمداد المصانع بالمادة الخام الأساسية لصناعة النورة، وهذا لايتم إلا بالمحافظة على مواقع المناجم القديمة والبحث عن مناجم حديثة.

٢- نظراً لتوافق طرق التصنيع القديمة مع الطرق الحديثة في الأسلوب مع الاختلاف في أداة التنفيذ ؛ فإنه يمكن للمستثمرين غير القادرين على تكلفة إنشاء مصانع للنورة وفق التقنيات الحديثة أن يعودوا إلى طراز المصانع القديمة مع دراسة الجدوى الاقتصادية من المشروع.

٣- نتيجة لاختفاء مصانع النورة تدريجياً، فإن من الضرورة توجيه أصحاب المصانع إلى المحافظة على ماتبقى منها، واتخاذ كافة الإجراءات لحفظها، فهي سجل مادي لتطور الحركة العمرانية بمكة.

الهوامش والتعليقات

١ - الجواليقي، أبو منصور. موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ٢ (مطبعة دار الكتب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٣٨٩.

٢ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب (بيروت، دار صادر، د. ت) ج ٥، ص ٢٤٤.

٣ - ابن منظور لسان العرب، ج ٢، ص٣١٠، الجواليقي، المعرب، ص٢٦١.

٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ (د. م، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ج ٢، ص ٦١٩، ابن منظور لسان العرب، ج ٤، ص ١٥٦, ١٥٧.

٥ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٠.

٦ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٦٧.

٧ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص١٩٧.

٨ - الجوهري، تاج اللغة، ج ٢، ص٩٧١.

٩ - ابن منظور لسان العرب، ج ٦، ص ٣٤.

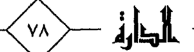
١٠ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط١، (بيروت مؤسسة الرسالة: ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م) ص٦٨٩.

١١ - رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١، (مكة المكرمة، منشورات نادي مكة الثقافي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)ص ص٢١، ٢٢، ١٤٤، ١٤٥) مغربي، محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط ٢ (جدة، دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٥ هـ/ ٢٩٨٤ م) ص ص ٦٥. ٧٠، ١٨٠.

١٢ - يتم تبييض غزل الكتان باستخدام ماء مغلي أذيب فيه نحو متساو نطرون وجير حي. انظر ب. س جيرار، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي د. ت) ج ١، ص ص ١٧٢، ١٨٠.

١٣ - زكار، سهيل، المدفعية عند العرب، دراسات في التاريخ والعقيدة القتالية، ط ١(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ص ٣٣٧ ٣٣٨.

١٤ - مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م) ص٢١٤، حاشية ٧.



١٥ - ورد عن أم سلمة " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اطلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده أهله " وكلمة اطّلي الواردة في الحديث بمعنى افتعل من طلى يقال : طليته بنورة أو غير، لطخته، واطليت إذا فعلته بنفسك (وسائر جسده أهله) أي وطلى سائر جسده أهله، فهو من عطف معمولي عامل واحد، انظر ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ص١٢٣٤ .

١٦ - مقابلة مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر بن بخيت في٢٩/ ٨/ ١٤١٦هـ، وهو من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة وشاهد عيان لهذا الأسلوب.

١٧ - مقابلة مع المعلم عبد الحميد أحمد حسين قاسم في ١٢/ ٨/ ١٤١٦هـ، وهو من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة.

١٨ - الطبطاب يُعمل تسوية أرض الغرف أو المداخل أو الأسطح، ويتكون بفرش المونة ثم تمليسها وتسوية سطحها إذا كان العمل في الغرف أو مافي حكمها، أما إذا كان عمل الطبطاب في السطح فيكون مع ميل لجهة الميزاب ليسرب مايتجمع من ماء المطر أو اثناء غسل السطح، انظر رفيع، مكة ص ص ٢١، ٢٢، ١٤٤, ١٤٥ .

١٩ - الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وماجاء فيها من الاثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط ٤ (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص١٣٠ .

٢٠ - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (المطبعة السلفية ومكتبتها د. ت) ج ٤، ص ٤٧١ .

٢١ - مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٨٠ .

٢٢ - السيد حجازي، ثروت، "البناء في مكة قديما دراسة ميدانية، الحرفة، الخامة والأسلوب" المأثورات الشعبية السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يولية ١٩٨٩م ص ٤٢ .

٢٣ - ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : دار الحديث، د. ت) ج١، ص٤٩٨ .

٢٤ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٧٦ .

٢٥- انظر حاشية رقم ١٥ عن استخدام النورة في إزالة شعر العانة .

٢٦ - الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ١ (مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) ج ٣، ص ٢٨٧ .

٢٧ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٤.
٢٨ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ٧٤، ٧٦.
٢٩ - حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧)القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م) ج ٢، ص ٦٦.
٣٠ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ١٢٠.
٣١ - ابن فهد، عز الدين بن عبد العزيز بن عمر بن محمد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب السابع والأربعون، ط١، (جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج١، ص٤٣٩.
٣٢ - ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) ص١٥٣.
٣٣ - ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب العشرون، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م) ج ٣، ص٤٠٢.
٣٤ - ابن فهد، اتحاف الورى، ج ٣، ص ٥٥٥، ٥٦٠، ٥٦٢، ٥٦٦.
٣٥ - ابن فهد، النجم عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى تحقيق وتقديم عبد الكريم علي باز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط ١ (مكة المكرمة: شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م) ج ٤، ص٤٧١.
٣٦ - العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص٤٣٥.
٣٧ - العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص٤٧١.
٣٨ - غباشي، عادل محمد نور: " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني، دراسة حضارية " رسالة دكتوراه غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ص ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٠).
- ٣٩- الكردي، محمد طاهر، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١ (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ) ج ٢، ص٢٦٦.
٤٠ - الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص٢٦٥.
٤١ - القرآن الكريم، من آية ٩٧ سورة آل عمران.
٤٢ - ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع، وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد (طبع بأمر خادم

الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، د.ن) ج١٦، ص ص ٥ - ٩.
٤٣ - الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط ٣ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢١م) ص٤٦٦، الحارثي، ناصر بن علي، " أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني: دراسة حضارية "، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ٤.
٤٤ - السرياني، محمد محمود، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري (الكويت: إصدار قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص١٦.
٤٥ - غباشي، المنشآت المائية، ص ص١٠ - ١٢١.
٤٦ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٩٠.
٤٧ - غباشي، عادل محمد نور، الحجون بمكة موقعه وإصلاح طريقه. (بحث تحت الطبع بمجلة دراسات في علم الآثار والتراث) العدد الأول، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.
٤٨ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص ٢٢٧-٢٣٠.
٤٩ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢، ص٢٧٥.
٥٠ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص١٦٩، وحاشية المحقق رقم ٦ ص٢٣٢، الفاكهي، أخبار مكة ج ٣، ص١١٤، الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق على حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) ج ٢، ص٢٦٢.
٥١ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ص ٢٨٧ - ٢٩٠.
٥٢ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ص٢٧٩ - ٢٨٠.
٥٣ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص١٤٩.
٥٤ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م) ج٥، ص٥٦.
٥٥ - ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص١٠.
٥٦ - البكري، محمد بن علي بن بلال الصديقي، أنباء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد، مخطوط مصور بالميكروفلم من دار الكتب الظاهرية برقم ٨٤٢، (مكة المكرمة: مركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى) ورقة ٢٣، الطبري، علي بن عبدالقادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق وتقديم أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ١ (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص٥٧٥، الغامدي، عبدالعزيز صقر، محمد محمود السرياني ومعراج نواب

مرزا، مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥هـ) ص ص ١٤٣، ١٥٥ مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٦٥.

٥٧ - جيرار، موسوعة الحياة الاقتصادية، ج ١، ص١٧٢.

٥٨ - مصطفى، إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، (دار إحياء التراث العربي، د. ت)، ج٢، ص٨٠١.

٥٩ - رفعت، ابراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (بيروت: دار المعرفة، د. ت) ج ١، ص١٨٤.

٦٠ - رفعت، مرآة، ج ١، ص١٨٤.

٦١ - رفيع، مكة، ص ص١٤٤ - ١٤٥.

٦٢ - أحمد، أحمد محمد، المنشآت الصناعية في العصر المملوكي من خلال الوثائق، رسالة ماجستير غير منشورة (جمهورية مصر العربية: جامعة أسيوط، كلية الأداب بسوهاج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ٢٧٢.

٦٣ - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (بيروت: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة بغداد، مايو١٩٨٦) ج ١، ص١٨٩.

٦٤ - يأخذ وادي سرف أعلى روافده من جبل أظلم المشرف على بئر الجعرانة من الشمال الشرقي ومن جبل ستار المشرف على علمي نجد من الشمال، ويسمى أعلاه وادي جعرانه ثم يستمر إلى أن يصل بستانا فيه نخل يسمى (زاوية السنوسي) على بعد ٥ كم غربا من جعرانة فيسمى (سرف) وادى (الزاوية) فإذا تجاوزها يُسَمَّى وادى الوسيعة) فإذا اقترب من طريق (مكة - المدينة) يسمى (سرف) ويمر على بعد١٠كم شمال مسجد التنعيم. انظر البلادي، عاتق بن غيث، أوديَة مكة المكرمة، ط ١)مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ص ١٢، ١٣.

٦٥ - العصامي، سمط النجوم، ج ٤، ص٢٧٩، ابن فهد، غاية المرام، ج٢، ص ص ٥٩٦، ٥٩٩.

٦٦ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م) ج٨، ص ص ١٠٤، ١٠٥.

٦٧ - الحسين بن حسن المعروف بالأفطس من أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي قاد ثورة العلويين الثالثة، وتوفي في سرف، انظر: ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٢، ص٢٦٤. السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط ٦ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ١٤٣.

٦٨ - ابن فهد، اتحاف الورى، ج ٤، ص ص ٥٤٧، ٥٥٨.
٦٩ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص ٢٢٦.
٧٠ - الفاكه، أخبار مكة، ج ٣، ص ١٠٠.
٧١ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٥ ن خارطة رقم ٢.
٧٢ - عن مواقع المناجم، انظر ماسيأتي عن مصانع النورة في النوارية.
٧٣ - البكرى، أنباء الجيل المؤيد، ورقة ٢٣.
٧٤ - البكرى، أنباء الجيل المؤيد، ورقة ٢٣.
٧٥ - غباشي، المنشآت المائية، ص ٤١٧.
٧٦ - مقابلة مع الأستاذ صالح عبد الله مسلم اللحياني في ٢٠/١/١٤١٧هـ، وقد أكد انه سمع ذلك من أحد المسنين.
٧٧ - الطبري، الأرج المسكي، ص ص ٧٥، ٩٧.
٧٨ - الغامدي، شذرات الذهب، ص ١٤٣.
٧٩ - محادثة مع الأستاذ محمد عبد الرحمن بسيبس في شهر شوال عام ١٤١٦هـ، فله خالص الشكر والتقدير.
٨٠ - الغامدي، شذرات الذهب، ص ص٢١، ٨٣.
٨١ - وثيقة رقم ٦١٧٦(m AD) بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.
٨٢ - المكي، محمد أمين، خلفاي عظام عثمانية حضرتنك حرمين شريفنيدكي أثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن، ترجمة غير منشورة من اللغة التركية إلى العربية سعد الدين أونال، (الطبعة العثمانية، ١٣١٨هـ) ص٧٥ من الترجمة.
٨٤ - تعد النوارية في الوقت الحاضر (١٤١٧ هـ) من أحياء مكة المكرمة بعد أن خُططت وامتد اليها العمران الحديث.
٨٥ - هور خرونيه، سنوك، مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمد بن محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، ط ١ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م) ج ٢، ص ١١٨.
٨٦ - الكردي، التاريخ القويم، ج، ص٢٦٦.
٨٧ - رفيع، مكة، ص ص١٤٤ - ١٤٥.
٨٨ - الغامدي، شذرات الذهب، ص١٥٥.
٨٩ - انتهي عصر المماليك في الحجاز باستيلاء السلطان سليم الأول على الشام ومصر ثم دخول الحجاز في حكمه سلما عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م انظر المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط ٢ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ص ١٩٢ - ١٩٤.

٩٠ - فاتني تدوين اسمه، وقد بحثت عنه بعدها فلم أجده إلا أن الخبر الذي أورده تأكد لي بعد مقابلة أجريتها مع الأستاذ صالح عبد الله اللحياني في ٢٠/ ١/ ١٤١٧ هـ.
٩١ - الشريف نصير بن عبد الله بن ناصر أحد المسنين من أحفاد مؤسس المصانع، أجريت معه مقابلة وقام مشكوراً باصطحابي لزيارة موقع المصانع عام ١٤١٥ هـ.
٩٢ - الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر أحد المسنين من أحفاد مؤسس المصانع أجريت معه مقابلة واصطحبني مشكوراً إلى موقع المصانع في ٢٩/ ٦/ ١٤١٦هـ.
٩٣ - الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص ٢٢٦.
٩٤ - مقابلة مع الشريف هزاع بن عبد الله بن ناصر في ٢٩/ ٦/ ١٤١٦هـ.
٩٥ - الأستاذ صالح بن عبد الله اللحياني هو ابن شيخ طائفة النوارين بالنوارية، وقد أجريت مقابلة معه في ٢٠/ ١/ ١٤١٧ هـ فله خالص الشكر والتقدير على معاونته.
٩٦ - المهندس أحمد زكريا السيد وهبه يعمل في الشركة السعودية للطوب الرملي الجيري ومواد البناء بالرياض، وله خبرة في هذا العمل تقرب من اثنين وعشرين عاماً، وقد جرى هذا الحديث معه عام ١٤١٤هـ فله خالص الشكر والتقدير.
٩٧ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ص٢٠٤، ٢٠٥.
٩٨ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص ص٧٤، ٧٦.
٩٩ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ص٧٦.
١٠٠ - الفاكهي، أخبار مكة، ج ٣، ص١٠٠.
١٠١ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، الملاحق ص ص ٣٥٧ - ٣٦١.
١٠٢ - الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ص٢٠٤، ٢٠٥.
١٠٣ - الكردي، التاريخ القديم، ج ٢، ص ٢٦٣.
١٠٤ - محادثة مع الأستاذ محمد عبد الرحمن بسيبس في شهر شوال عام ١٤١٦هـ.
١٠٥ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحياني، ٢٠/ ١/ ١٤١٧ هـ.
١٠٦ - مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ٦٥.
١٠٧ - محادثة مع الأستاذ محمد عبدالرحمن بسيبس في شهر شوال عام ١٤١٦هـ.
١٠٨ - مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص٦٥.
١٠٩ - الكردي، التاريخ القويم، ج ٢، ص ٢٦٢.
١١٠ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحياني في ٢٠/ ١/ ١٤١٧هـ.
١١١ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحياني في٢٠/ ١/ ١٤١٧هـ.
١١٢ - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عبد الله اللحياني في ٢٠/ ١/ ١٤١٧هـ.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١ - القرآن الكريم.
٢ - ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار صار ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠م).
٣ - ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العصامي النجدي الحنبلي وابنه محمد، (طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، د. ن).
٤ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م).
٥ - ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب السابع والأربعون، ط ١ (جدة: دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٩٠م).
٦ - ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الكتاب العشرون، ط ١ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤/ م) ثلاثة أجزاء.
٧ - ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم عبد الكريم علي باز، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١ (مكة المكرمة، شركة مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ج ٤.

٨ - ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، د. ت).

٩ - ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د.ت)

١٠ - الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط ٤ (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م).

١١ - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م).

١٢ - البكري، محمد بن علي بن بلال الصديقي، أنباء الجليل المؤيد مراد خان ببناء بيت الوهاب الجواد، مخطوط مصور بالميكروفيلم من دار الكتب الظاهرية برقم ٨٤٢)، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى).

١٣ - الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ٢ (مطبعة دار الكتب ١٩٨٣ هـ/ ١٩٦٩م).

١٤ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ (د. م، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

١٥ - الطبري، علي بن عبد القادر، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق وتقديم، أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ١، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م).

١٦ - العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (المطبعة السلفية ومكتبتها، د. ت).

١٧ - الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، حقق أصوله وعلق على حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)
١٨ - الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الزهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبد الله بن دهيش، ط ١، (مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٧٠٤هـ/ ١٩٨٦م).
١٩ - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
٢٠ - مصطفى، إبراهيم، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط (دار احياء التراث العربي، د. ت).
٢١ - وثيقة رقم ٦١٧٦(MAD) بأرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول.

ثانيا: المراجع:

٢٢ - أحمد، أحمد محمد، المنشآت الصناعية في العصر المملوكي من خلال الوثائق، رسالة ماجستير غير منشورة (جمهورية مصر العربية، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م).
٢٣ - الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ط٣ (القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م).
٢٤ - ب. س. جيرار، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت).
٢٥ - البلادي، عاتق بن غيث، أودية مكة المكرمة، ط١ (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
٢٦ - الحارثي، ناصر بن علي، " أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني دراسة حضارية " رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م).

٢٧ - حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م).

٢٨ - رفعت، ابراهيم، مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (بيروت : دار المعرفة، د. ت).

٢٩ - رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١ (مكة المكرمة : منشورات نادى مكة الثقافي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٣٠ - زكار، سهيل، المدفعية عند العرب، دراسات في التاريخ والعقيدة القتالية، ط ١ (بيروت : دار الفكر، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م).

٣١ - السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط ٦، (مكة المكرمة : مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣٢ - السرياني، محمد محمود، مكة المكرمة دراسة في تطور النمو الحضري (الكويت : إصدار قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م).

٣٣ - السيد حجازي، ثروت، البناء في مكة قديما دراسة ميدانية "الحرفة، الخامة، الأسلوب" المأثورات الشعبية السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، ذو القعدة ١٤٠٩هـ يوليه ١٩٨٩م.

٣٤ - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١ (بيروت : دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بغداد، مايو ١٩٨٦م).

٣٥ -الغامدي، عبد العزيز صقر، ومحمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي (مكة المكرمة : مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٤٠٥هـ).

٣٦ - غباشي، عادل محمد نور، الحجون بمكة موقعه وإصلاح طريقه (بحث تحت الطبع بمجلة دراسات في علم الآثار والتراث) العدد الأول، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.

٣٧ - غباشي، عادل نور، " المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة دراسة حضارية " رسالة دكتوراه غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ/ ١٩٩٠م).

٣٨ - الكردي، محمد طاهر، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١، (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥هـ).

٣٩ - المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ٢) بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤٠ - مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م).

٤١ - مغربي، محمد علي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط٢ (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

٤٢ - المكي، محمد أمين، خلفاي عظام عثمانية حضرتنك حرمين شريفنيد كي آثار مبرورة ومشكورة هما بونلرندن، ترجمة غير منشورة من اللغة التركية إلى العربية، سعد الدين أونال (الطبعة العثمانية، ١٣١٨هـ).

٤٣ هورخرونية، سنوك، مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمد بن محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، ط ١ (مكة المكرمة: مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ثالثاً: المقابلات والمحادثات

٤٤- بسيبس، محمد عبد الرحمن، حفيد مؤسس مصانع النورة بحارة الباب، أجريت معه محادثة في شهر شوال عام ١٤١٦هـ فله خالص الشكر.

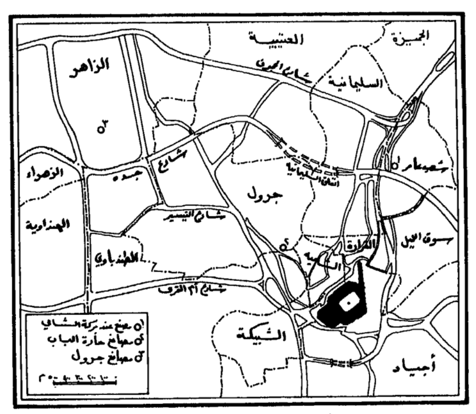
٤٥- السيد وهبه، أحمد زكريا، مهندس يعمل في الشركة السعودية للطوب الرملي الجيري ومواد البناء بالرياض، وله خبرة في هذا العمل تقرب من

اثنين وعشرين عاماً، وقد أجريت محادثة معه في عام ١٤١٤هـ. فله خالص الشكر.

٤٦- الشريف، نصير بن عبد الله بن ناصر، من المسنين وهو أحد أحفاد مؤسس مصانع النورة في الحراب، أجريت مقابلة معه عام ١٤٠٥ هـ. فله خالص الشكر.

٤٧ – الشريف، هزاع بن عبد الله بن ناصر بن بخيت، من المسنين وهو أحد أحفاد مؤسس مصانع النورة في الحراب، أجريت مقابلة معه في ٢٩/٦/١٤١٦هـ. فله خالص الشكر.

٤٨ – قاسم، عبد الحميد أحمد حسين، معلم بناء من المسنين الذين عملوا في البناء بالنورة، أجريت مقابلة معه في ٢٠/١/١٤١٧هـ. فله خالص الشكر.

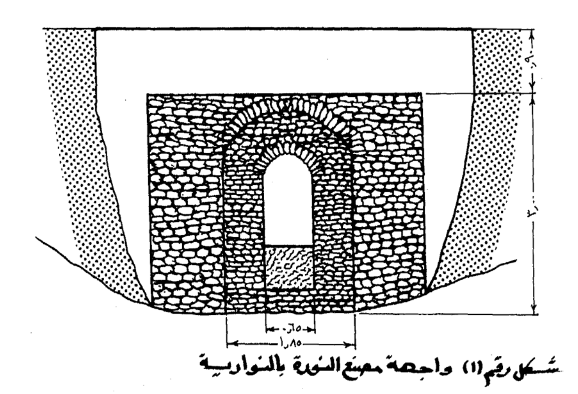


خارطة رقم (١)

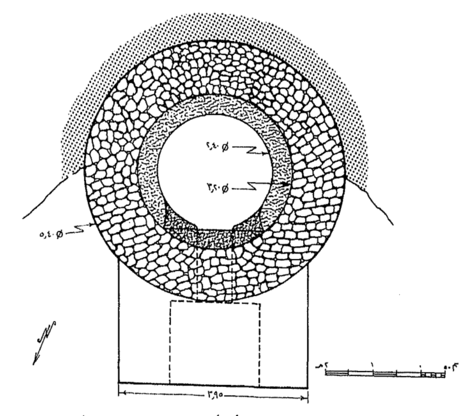


خارطة رقم (٢) موقعا مصانع النوارية والحراب

(١) مصانع النورة بالنوارية (٢) مصانع النورة بالحراب



شكل رقم (١) واجهة مصنع النورة بالنوارية



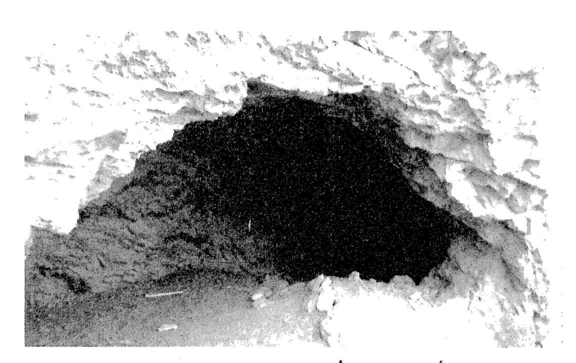
شكل رقم (٢) المسقط الأفقي لمصنع النورة بالنوارية



لوحة رقم (١): بقايا أحد مصانع النورة بجرول.



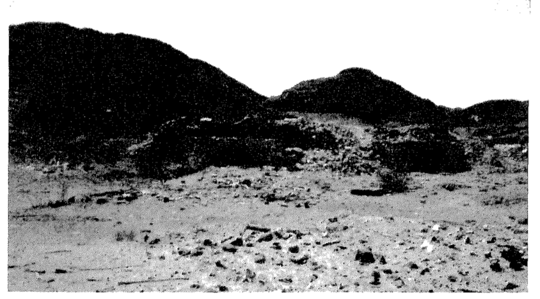
لوحة رقم (٢): تكسير الصخور لاستخراج الأحجار الخام للنورة بالنورية.



لوحة رقم (٣): حفر الأنفاق لاستخراج الأحجار الخام للنورة بالنوارية.



لوحة رقم (٤): أساليب الحفر لاستخراج أحجار النورة الخام بالنوارية.



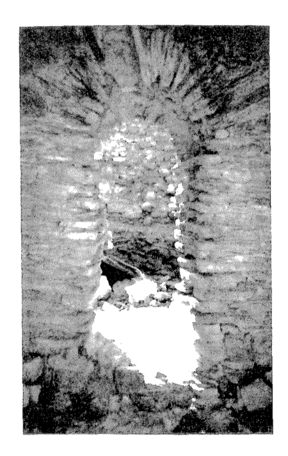
لوحة رقم (٥): مصنعان للنورة بالنوارية



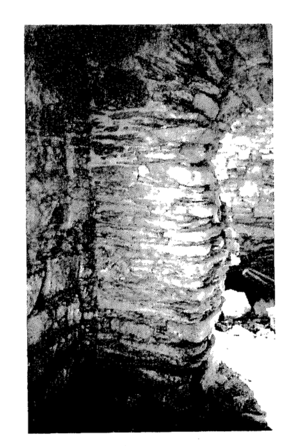
لوحة رقم (٦): مصنع للنورة بالنوارية



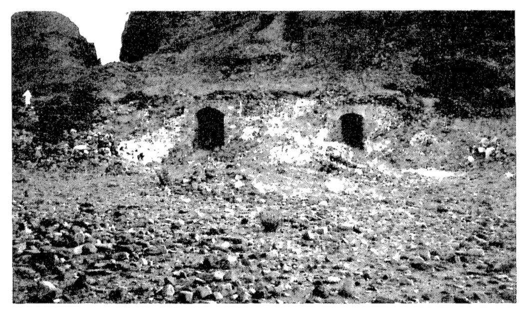
لوحة رقم (٧): حجرة التصنيع من الأعلى لمصنع للنورة بالنوار ية.



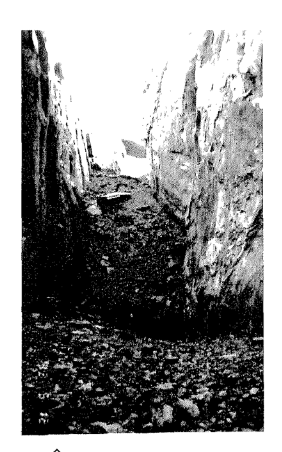
لوحة رقم (٨): مدخل حجر التصنيع لمصنع للنورة بالنوارية



لوحة رقم (٩): «الكتف» لمنصع للنورة بالنوارية.



لوحة رقم (١٠):مصانع النورة في الحراب.



لوحة رقم (١١): أساليب الحفر لاستخراج أحجار النورة الخام بالحراب.

تعميم الدّلالة في ألفاظ الإبل

د. عبدالرزاق فراج الصاعدي
قسم اللغويات - كلية اللغة العربية
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

ليس بمقدور التمدّن والتّحضر أن يجتثّا جذور البداوة الكامنة في نفوس عامّة العرب، بخصائصها وسماتها المتميزة، التي تنتقل في أعقابهم جيلاً بعد جيل.

ومن أكثر الأمور إبانة عن بداوتهم اللغة؛ فهي مرآة الشعوب، تعكس ملامحها بكل وضوح وصفاء.

ولاجرم أن تعكس مرآة الشعر العربي القديم - وهو ديوان العرب - ملامح حياتهم البدوية بكلّ صدق. وقديماً وقف شاعرهم الجاهلي على الأطلال؛ فبكاها واستبكاها، ووصف مابدا له من بقايا بيت الشعر أو الخيمة، والأطناب والأوتاد، والأثافي ومعاطن الإبل، ومرابط الخيل مما عفت عليه السنون ولم تبق منه إلا رسما.

ولايلبث شاعرهم أن ينطلق بك طاوياً الفيافي والقفار، واصفاً راحلته، وهي الناقة أو الجمل أو الفرس، وأنت تطّلع معه على مايمرّ به من مفردات تلك البيئة،

من نبات وحيوان وطير، ومافي هوائها من ريح وسحاب وبرق ورعد ومطر، وماوراء ذلك من النجوم والكواكب والأفلاك.

ولم تكن عناصر البداوة ومفرداتها غائبة في غير الشعر، وهو الوجه الثقافي البارز في حياتهم، بل إنك تلمسها في لغة الخطاب المنثور، والكلام الفني المسجوع، والأمثال السائرة، وتلمسها في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وفي دينهم الحنيف.

ولقد تصرمت الأيام وتعاقبت السّنون، وتبدّلت الأحوال، فهجر كثير من العرب الصّحراء وخيامها، وعرفوا المدينة وقصورها، واختلطوا بسكانها، وتأثّروا بالحضارات المختلفة والثقافات المتباينة، ففقدوا أشياء من خصائصهم الصحراوية البدويّة، ومزاياهم الفطريّة، ولكن لغتهم العربية في ذاتها لم تفقد ذلك، فلم تزل تختزن تاريخهم القديم، وظلّوا على الرغم ممابلغوه من السلطان والعمران والمدنية والعلم والأدب والفن يستعملون أمثال البدويّ وصوره وأخيلته ومجازاته وتشبيهاته وكناياته فيقولون مثلاً: جاءوا على بكرة أبيهم، وضرب إليه أكباد الإبل، وركب إليه أكتاف الشّدائد، وقلب له ظهر المجنّ، وهو شديد الشّكيمة، واقتعد ظهور المكاره.

ويؤكّد الباحثون أن البداوة كانت الطّابع المميز للعربية في بادئ الأمر، ثم تمكّنت اللغة من نقل كثير من الأصول البدوية القديمة إلى معان جديدة عن طريق الاستعارة أو المجاز، فحملت الكلمة الواحدة في طيّاتها عبر العصور عدداً من المعاني حسيّة أو معنويّة، إلا أنّ هذه المعاني المختلفة التي تحملها الكلمة تبقى كامنة فيها يظهر أحدها الاستعمال في نصّ معينّ، ويخفى المعاني الأخرى(١).

ولما كانت جوانب البداوة في حياة العربي القديم متعدّدة ومتنوّعة؛ يحتاج درس أثرها في اللغة العربية إلى وقت وجهد كبيرين قد لايتيسّر لباحث واحد فقد اخترت جانباً واحداً من تلك الجوانب المتعدّدة ولعلّه من أهمها فيما يتصل باللغة، لالتصاقه بحياة العربي القديم في الصحراء؛ إنّه «الإبل»

لقد كانت الإبل عنصراً فعّالاً في حياة العربيّ في صحرائه، عرف فيها صفات خارقة تناسب حياة الصّحراء القاسية كالسّرعة وقوّة التحمّل والصّبر على العطش والجوع، ومعرفة الطرق، وعلى ظهورها حمل متاعه وماءه وعتاده، ومن جلودها ووبرها صنع بيته وأكسيته، ومن لبنها ولحمها شرب واغتذى وأكرم الضيفان، وكانت رفيقة دربه في السلم والحرب، فأثارت خياله، وأذكت عواطفه، وألهمته شعراً غزيراً[٢]، وأثرت لغته بالمفردات والتراكيب والمعاني الكثيرة.

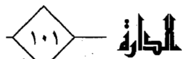
وقد أدرك علماء العربية القدامى منذ القرن الثاني الهجري شيوع الألفاظ المتّصلة بالإبل في لغة العرب وكثرتها فأفردوا لها معاجم خاصة تعنى بشرح معانيها وتقريب مدلولاتها، وذكر منها ابن النديم في «الفهرست» في مواضع مختلفة مايزيد عن العشرين لجماعة من العلماء كالأصمعي، والنضر بن شميل، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، والكسائي، والرياشي، وأبي حاتم السجستاني، وابن قتيبة، وابن حبيب، والقالي، وغيرهم.

وأفراد العلماء للإبل أبواباً مستقلة في معاجم المعاني والموضوعات.

ثم فُرّغت تلك الألفاظ المختلفة وفُرِّقت في بطون المعاجم الكبيرة كالعين، والجمهرة، والتهذيب، واللسان، والقاموس، والتاج.

وعُني بعض المعاصرين بجمع ألفاظ الإبل، كالمستشرق دي هامر (De Hammer) الذي جمع قدراً صالحاً من ذلك[٣]، والدكتور أنور أبوسويلم في دراسته الأدبية الفنية التي جمع في ذيلها المعجم الشعري لألفاظ الإبل، فأتى على قدر وافر منها[٤].

نعم، وبقي شطر من ألفاظ الإبل محافظاً على دلالته القديمة، ولم يصبه شيء من التطور، وفي المقابل تطورت - مع الأيام - دلالة كثير من تلك الألفاظ، وارتقت إلى دلالات معنوية أرحب، وتحررت رويداً رويداً من دلالاتها الحسّيّة، فابتعدت كثيراً عن أصلها الحيوانيّ القديم، على أنه يمكن إعادة كثير منها إلى ذلك الأصل القديم بشيءٍ من التدقيق والتأمل في اللغة، والاستئناس بأقوال بعض



العلماء، وإشاراتهم المتناثرة في كتب اللغة؛ التي من الممكن أن يهتديَ بها الباحث اللّغويّ.

ومثال ذلك «الفصاحة» وهي البيان وخلوّ اللفظ من التعقيد اللفظيّ أو المعنويّ هي من ألفاظ الإبل فهي من قولهم: فَصُح لبن النّاقة، إذا أخذت عنه الرغوة، و«الحنين» وهو الشّوق، والحنين في أصل اللغة ترجيع النّاقة صوتها إثر ولدها، أو اشتياقها إلى وطنها، و«المخضرم» الذي مضى نصف عمره في الجاهليّة ونصفه الآخر في الإسلام، وهو من قولهم: ناقة مخضرمة؛ أي" جُدِع نصف أذنها، و«الجَلَبَة» وهي اختلاط الأصوات والصياح، أصلها من قولهمَ: جَلَب البدويّ الأبل؛ إذا ساقها إلى مكان البيع، و«الرّاوية» وهو ناقل الخبر اشتقاقه من البعير الذي يستقي عليه الماء.

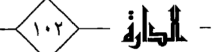
ويلحق بذلك مجموعة من التراكيب تجري مجرى الأمثال؛ كقولهم: فلان ضيّق العطن، وألقى حبله على غاربه، وألقى الليل عليه بجرانه، ويخبط خبط عشواء، وأخذ الشيء برمته، ونحوه.

ومثل هذه الألفاظ أو التراكيب كثير في العربية «مّما تحوّل إلى المعاني المجردة المعنوية حتّى كأنّ أصولها الحسية قد هجرت في الاستعمال فنسيت العلاقة بين ماهو معنوي وماهو محسوس في اللفظ الواحد»(٥).

وقد استطاع علماء اللغة - بعد طول النظر - فيما يطرأ على المعاني من تغييرات - أن يحصروا هذه التغييرات في أنواع؛ هي(٦):

١- تغيير مجال الدلالة: بانتقال اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى، لتشابه بين الدلالتين، أو قرب بينهما، أو مناسبة، نحو كلمة «تَعَالَ» أصلها تفاعل من العلو؛ أي: ارتفع، ثم أكثروا استعمالها حتى جعلوها بمنزلة: أقبل؛ فصار الرجل يقول - وهو في الموضع المنخفض - للذي هو على المكان المرتفع: تعال؛ يريد: أقبل»(٧).

٢- تغيير نحو تخصيص المعنى: من نحو كلمة «البهيم» وهو في أصل اللغة اللون



الخالص الذي لايخالطه لون آخر، سواء أكان أبيض أم أسود أم غيرهما ثم أصبح يدلّ على اللون الأسود[٨].

٣- تغيير نحو تعميم المعنى: من نحو كلمة «الرّحْل» وهو السرج في أصل اللغة كما ذكر الحريري[٩]، ثم صارت تعني متاع الرجل ومايستصحبه من الأثاث[١٠].

٤- تغيير انحطاطي: من نحو كلمة «المستهتر»أصلها: المولع بالشيء، ومنه المستهترون: المولعون بالذكر والتسبيح؛ فصارت تعني: المولع بالأفعال السيئة، غير المبالي بغيره.

٥- تغيير متسام: من نحو كلمة «الشّاطر» هي في الأصل اللغويّ: مَن أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً، ثم ارتقت فصارت تطلق على اللص ذي الحيلة، ثم صارت تعني: الفتى الذكي المثابر[١١].

٦- تغيير نحو الضّدّيّة: من نحو كلمة «النّاهل» في الأصل للرّيّان، ثم أصبحت تدلّ على الريّان والعطشان معاً، وإنما قيل للعطشان: ناهل من باب التفاؤل[١٢].

وقد ذكر علماء اللغة أنه لابدّ من وجود علاقة بين المعنيين، الأصلي والجديد، ولكنهم لم يشترطوا في هذه العلاقة المطابقة التامّة، بل اكتفوا بأدنى علاقة.

ويتصل هذا البحث بالنوع الثالث من هذه التغييرات التي تطرأ على معنى الكلمة، أعني «تعميم الدلالة» وهو المصطلح الذي شاع عند بعض المعاصرين[١٣]، ويسميه بعضهم «توسيع المعنى» (Widening) أو امتداده (extension)[١٤].

وتعميم المعنى هو انتقال بالكلمة من معنى ضيق إلى معنى أو معان أوسع. يقول الدكتور أحمد مختار عمر " «ويعنى توسيع المعنى أن يصبح عدد ماتشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل»[١٥].

ويعلله علماء اللغة بكثرة الاستعمال؛ لأن «كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم» كما يقول الدكتور علي عبدالواحد وافي[١٦].

ومما يلفت الانتباه أنّ كثيراً من ألفاظ الإبل أصابها هذا النوع من التغيير الدلالي، أي «تعميم الدلالة» أو توسيعها، كالحشو والحاشية والجَلَبَة والجِران والركب والحنين والانحياز والخجل والخديج والمخضرم والإرقال والترويض والزعم والزميل والسائبة والمشوار والعشواء والاقتحام والتقحّم والقطار والكوم والمجد والمنحة والنتيجة والرغاء والهدير والرزم و، الرائد والذود وتسنّم الشئ ونحو ذلك.

وقد أردت في هذا البحث أن أجمع طائفة من هذه الألفاظ أو الأساليب العربية التي اتسعت دلالتها، وارتقت معانيها في سُلّم الفكر والحضارة، فابتعدت عن أصولها القديمة التي تتصل بالإبل بسبب وثيق عن طريق اللفظ، من غير حصر واستقصاء، فليس الجمع في هذا البحث من هدفي، وحسبي فيه نماذج يُستدلّ بها على غيرها.

ومنهجي فيما أعرضه من ألفاظ في هذا البحث أن أورد المعنى الفرعي المستعمل للكلمة، ثم أعيده إلى أصله القديم مسترشداً في ذلك بقول لعالم من علماء اللغة، أو مستشهداً بشاهد من شواهد العربية، من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر العربي، أو معتمداً على استنباط أستنبطه وفق قاعدة لغوية معينة.

ولا يخلو هذا البحث من مصاعب، ومن أبرزها كثرة المعاني الواردة للكلمة في معاجم اللغة من غير تمييز للمعنى الأصلي من المعاني المتفرعة منه، وثمة معان من هذا النوع يقف أمامها الباحث موقف التردد حينار والحيرة حينا دون أن يجد مايقّطع به في شأنها أو يهديه إلى أصلها الاشتقاقي.

والقاعدة التي يمكن أن يركن إليها الباحث في تأصيل المعاني وتتبع تطورها هي أن المعاني الحسية أسبق من المعاني المعنوية، كما قرره علماء اللغة المتأخرون(١٧)، ويعني هذا أنه إذا اشترك معنيان في لفظ واحد أو جذر واحد ووجدت بينهما علاقة واضحة وأحدهما حسي والآخر معنوي، فالحسي هو الأصل، كقولهم «تسنّم ذروة

المجد» فهذا مأخوذ من سنام البعير، وقولهم «نهل من مناهل العلم والعرفان» فهذا مأخوذ من أصل حسي، وهو المنهل الذي كان يدلّ على عين ماءٍ ترده الربل في المرعى.

وهكذا فإن كثيراً من الألفاظ التي تعبر عن دلالات مجردة انحدرت إلينا من دلالات محسوسة، كالحقد والمدح والقلق والنفاق والشجاعة والكره والضغينة والمداهنة والأمن والمجد(١٨).

وليست هذه القاعدة مطردة في كل الألفاظ فينبغي الحيطة والحذر والاعتدال في الربط بين الدلالات، ففي الصفات مثلاً قد يكون العكس أحياناً، فلايمكن الزعم أن «النجاة» مأخوذة من «الناجية» وهي صفة للناقة، لأنها تنجوا بصاحبها من الهلاك في المهامه والقفار، وتبلغ به هدفه، فالأظهر هنا أن الناجية صفة للناقة مشتقّة من النجاء تفاؤلاً بالفوز والظفر في رحلة مجهولة المصير.

وكذلك لايمكن القطع بأن «الأمن» وهو ضد الخوف مأخوذة من قولهم: ناقة أمون؛ أي: وثيقة الخلق قد أُمِنَتْ أن تكون ضعيفة أو هي التي أمنت العثار والإعياء، بل الأظهر أنها سميتَ بذلك اشتقاقاً من الأمن، لأن الخوف والأمن مما ينبغي أن يكون قديماً في الاستعمال؛ لأنهما من لوازم الحياة الإنسانية، فلا بدّ من استعمال لفظ لكلّ منهما.

ولاأقول إن «البَدَانة» وهي السِّمَن مأخوذة من «البَدَنَة» من الإبل، وهي كالأضحية تُهْدَى فتنحر، وإنما سُمّيت بدنة، لأنّهم كانوا يسمّنونها، كما يقول ابن فارس(١٩).

وليس التطور الدلالي و«النقل بين الدلالات مقصوراً على ماتقدم من نقل الدلالة المجردة إلى مجال المحسوسات أو العكس، بل قد يتمّ بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة بين الدلالتين في المكانية أو الزمانية، أو اشتراك في جزء كبير من الدلالة، فهناك ألفاظ كثيرة لوحظ تطورها في الدلالة، فانتقل كل منها من دلالته إلى دلالة أخرى تشترك معها في المكان مثل الذقن حين تستعمل في خطاب

الناس بمعنى اللحية، ومثل الشنب حين يطلقونه على الشارب مع أنه بريق الأسنان، ومثل السماء التي تروي المعاجم أن من معانيها السحاب والمطر»[٢٠].

ولايخلو تطبيق هذا المنهج أو القاعدة من عوائق، ومن أبرزها كثرة المعاني لبعض الكلمات التي أتيت عليها في هذا البحث، مع خفاء الأصل أحياناً، وورودها في معاجم اللغة بطرق لايتبيّن منها الأصل من الفرع، فبعضهم يبدأ بالمعاني الفرعية، ثم ينتهي إلى المعنى الأصلي موهماً بأن الفرع هو الأصل، وبعضهم يعكس ذلك من غير التزام بمنهج، ويذكر أكثرهم معاني المادة بطريقة لايحكمها ضابط، خلا اجتهادات فردية موفقة لبعض العلماء كابن فارس (٣٩٥هـ) في «مقاييس اللغة» إذ حاول أن يرد المعاني المتعددة لفروع الجذر الواحد إلى أصلها أو أصولها فوفّق في ذلك إلى حد كبير، وانفرد بين اللغويين القدامى بهذا التأليف، يليه في ذلك الزمخشري (٥٣٨هـ) في معجمه «أساس البلاغة» الذي أشار فيه إلى كثير من المعاني المجازية للكلمات بعد أن يذكر معانيها الحقيقة.

ومن الكتابين أفدت، وببعض مافيهما استنرت.

وقد اجتهدت في تأمل المعاني والبحث عن أصولها القديمة لاختيار ماأراه أصلاً وترك ماعداه، وربّما رأى غيرى أنّ ماتركت أقرب إلى أصل الوضع؛ لأنّ ردّ المعاني إلى أصولها من موضوعات اللغة التي لايحكمها ضابط دقيق، فإن رأى القارئ الكريم شيئاً من هذا فليلتمس لي العذر، وحسبي أنني لم أدخر جهداً.

نعم، وفيما يلي طائفة من ألفاظ الإبل طرأ عليها تعميم في الدلالة، مرتبة على حروف المعجم بالنظر إلى الكلمة من أولها إلى آخرها، بتجريدها من الزوائد، ليسهل الاطلاع عليها.

(أ ف ن) المأفون:

الأفْن: نقص العقل أو الحُمق، ورجل مأفون: أحمق ناقص العقل، ضعيف الرأي.

والأفين الضعيف الرأي والعقل المتمدّح بما ليس عنده، وقالوا في المثل: كثرة الرِّقين تُعفي على أَفْنِ الأفين؛ أي: الزينة الظاهرة تستر حمق الأحمق.

وأصل ذلك كله قلة اللبن في ضرع الناقة، يقولون: أفن الفصيل مافي ضرع أمه، إذا شربه كله، وأفن الحالب الناقة؛ إذا لم يدع في ضرعها شيئاً[٢١].

والأَفْن: الحلب، خلاف التَّحيين، وهو أن تحلبها أنَّى شئت من غير وقت معلوم.

وأُفنَت الناقة: قلّ لبنها، فهي أفنة.

ثم استعاروا هذه المعاني، فقالوا لمن نقص عقله: مأفون.

(ب ر ك) البَرَكَة:

البَرَكَة: النَّماء والزيادة، والسعادة وثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه.

والتبريك: أن تدعو للأنسان بالبركة. وتبارك اللّه: تمجيد وتجليل وتقديس. ويقول المسلم في الصلاة على النَّبي ﷺ: «وبارك على محمد وعلى آل محمد».

واشتقاق البَركَة من قولهم: بَرَكَ البعير إذا أناخ في موضع فلزمه. قال ابن الأثير في تفسيره معنى «وبارك على محمد»: «أي أثبت له وأدم ماأعطيته من التَّشريف والكرامة، وهو من: بَرَكَ البعير، إذا أناخ في موضع فلزمه»[٢٢].

والبَركة بمعنى الثبات المقترن بالنماء مشتقة من مَبرك الإبل، أو من بروكه في ثباتها وكثرتها وتزايدها.

ومن هذا الاشتقاق استقرّ في كلمة «البَركة» بمعناها المألوف لنا عنصران متلازمان، وهما: الثبات والكثرة القابلة للزيادة.

ويتصل بهذه المادة من ناحية أخرى كلمة «الرُّكْبَة» فهي - فيما يبدو - مأخوذة من قولهم: بَرَكَ البعير على بُرْكَته، ثم قلبت كلمة «البُرْكة» بتأخير الباء وهي فاء الكلمة، ومجيئها بعد الكاف، فقالوا: ركبته، فيكون أصل الركبة: البركة. وليس

ببعيد أن يكون العكس هو الصَّحيح؛ أي: أنَّ البروك مأخوذ من الركبة، فيكون الأصل: الركوب، ثم قلبت الكلمة فقالوا البروك، خوفاً من التباسه بالركوب، من قولهم: ركب فلان على دابّته ركوباً.

(ج ر ن) الجِران:

يقولون في المثل: «ألقى عليه بجِرانه» و«عاش ضاربا بجِرانه»[٢٣] و«ضرب الليل عليه بجرانه».

وهذا مستعار من جران البعير، إذا برك واستراح. والجران هو باطن عنق البعير، «وقيل: مقدّم العنَق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض، قيل: ألقى جرانه بالأرض»[٢٤]. وقيل: الجران هي جلدة تضطرب على باطن العنق من ثُغْرة النَحر إلى منتهى العُنق في الرأس.

(ج س ر) الجاسِر والجَسُور:

من صفات المدح للإنسان: الجاسر والجسور؛ وهو الشّجاع الجريء الماضي المقدام، والأنثى جَسْرة وجَسُورة. ويقال: إنّ فُلاناً ليُجَسِّر فلاناً؛ أي يشجعه[٢٥]، ولا أجْسُرُ على مقابلته، أي: لاأجرؤ.

وأصل هذا المعنى منقول من صفات الإبل، يقال: «الجَسْرة: الناقة القويّة، ويقال هي الجريئة على السّير»[٢٦] وناقة جَسْرة ومُتَجَاسرة: قويّة ماضية، وقيل: طويلة ضخمة، وقيل: هي العظيمة، قال الشاعر:

وخَرَجَتْ مَائلَةَ التَّجَاسُرِ[٢٧]

والجَسْر: العظيم من الإبَل، والجمل الماضي.

ومن هذه المعاني اشتقّت الجَسَارة، وهي الإقدام، واشتقّت جَسْر، وهي قبيلة[٢٨].

(ج ل ب) الجَلَبَة:

الجَلَبَة والجَلَب: اختلاط الأصوات والصِّياح.

وهذا مشتقّ من قولهم: جَلَبَ الإبلَ أو الخيلَ أو الغنمَ، وساقها إلى مكان البيع.

والجَلُوبة: مايُجلب للبيع، نحو النَّاب والفَحْل والقلوص، والجمع الجلائب، ويقال لصاحب الإبل: هل لك في إبلك جَلوبة؟ يعني شيئاً جلبته للبيع. والجَلائب الإبل التي تُجلب إلى الرجل النازل على الماء ليس له مايحتمل عليه، فيحملونه عليها. والجلوبة الإبل التي يحمل عليها متاع القوم، وجلوبة الإبل ذكورها. وأجْلَبَ الرجل: رذا نُتجت إبله ذكوراً؛ لأنَّه تُجلب أولادها فتباع[٢٩].

ولما ارتبط جَلْبُ الإبل إلى الأسواق في جماعات بإحداث بعض الأصوات المختلطة، تطور معنى كلمة «الجَلَبَة» فأُطلق على كل صوت مختلط بغيره.

(ح د و) يحدوه الأمل:

يقول الطّالب: ذهبت إلى الجامعة يحدوني الأمل في الظّفر بالقبول، وتقول: اشتركت في المسابقة والأمل يحدوني في نيلها. فما أصل هذا الاستعمال؟

إنَّه من الحَدْو، وهو سَوْق الإبل والغناء لها، يقال: حَدَا الإبل وحَدَا بها يحدوها حَدْواً وحداء: ساقها مغنّياً لها، والرجل حاد وحدّاء[٣٠].

ومن هذا المعنَى قالوا للشَّمال حَدْواء؛ لأنَّها تحدوُ السَّحاب؛ أي تسوقه. وقالوا للسَّهْم إذا مَرَّ: حَدَاه ريشُهُ، وهَدَاه نصلُهُ، وطلع حادي النَّجم؛ أي: الدَّبَران.

ثم تطوّر هذا المعنى فاشتقّوا منه «التَّحَدّي» قالوا: فلان يَتحدَّى فلاناً، إذا كان يُباريه ويُنازعه الغَلَبَةَ. قال ابن فارس: «هو من هذا الأصل؛ لأنَّه إذا فعل ذلك فكأنَّه يحدوه على الأمر، يقال: أنا حُدَيَّاك لهذا الأمر؛ أي: ابرُزْ لي فيه»[٣١].

وتَحَدَّى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن. وتَحدّى الرَّجل صاحبَهُ القراءة لينظر أيّهما أقْرأُ، قال الزَّمخشري: «وأصله من الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان،

فيتحدّى كل واحد منهما صاحبه، كما تقول توفّاه بمعنى استوفاه، وأنا حُدَيَّاك؛ أي: معارِضك»[٣٢].

(ح ش و) الحَشْو والحاشية:

الحَشْو من النّاس الذين لايعتدّ بهم ولايعتمد عليهم، والحشو من الكلام: الفضل الذي لاخير فيه، وحاشية الرجل: أهل الرجل وخاصتّه[٣٣].

وأصل ذلك أنَّ الحَشْو هو صغار الإبل، وكذلك حَواشيها صِغارها؛ واحدتها حاشية[٣٤]. وقيل: صغارها التيَ لاكبار فيها.

والحاشيتان: ابن المَخَاض وابن اللّبُون، يقال: أرسل فلان رائداً، فانتهى إلى أرض قد شَبِعَت حاشيتاها.

وفي حَديث عمرَ: «أن يؤخذ من حواشي أموالهم»[٣٥]. قال ابن الأثير" «هي صِغار الإبل، كابن المَخَاض وابن اللّبُون، واحدتها حاشية»[٣٦].

(ح ن ن) الحَنين:

الحَنين: الشَّوق وتَوَقَان النَّفْس، المتضمّن للإشفاق والتّألّم من شدّة الشّوق، وشدّة البُكاء. تقول منه: حَنَّ الأبُ إلى ابنه حَنيناً، فهو حانّ. والإشفاق لاينفكّ من الرَّحمة، لذلك عُبِّر عن الرحمة به؛ فالحنان: الرحمة، يقال: حنّ عليه يحنّ حناناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وحناناً من لَدُنَّا﴾[٣٧].

وأصل الحنين في اللّغة: ترجيع النَّاقة صوتَها إثر ولدها، أو اشتياقها إلى وطنها، يقا: حَنَّت الإبل، نَزَعَت إلى أوطانها، أو أولادها، والناقة تحنّ في إثر ولدها حنيناً: تَطْرَب مع صوت، وتَحَنَّنَتْ على ولدها: تعطّفت[٣٨].

قال الأزهري: «حنين الناقة على معنيين: حنينها: صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها، وحنينها نزاعها إلى ولدها من غير صوت»[٣٩].

قال ابن سيدَه: «والأكثر أنَّ الحنين بالصوت»[٤٠].

وقال شمر: «الحنين بمعنيين: يكون بمعنى النّزاع والشّوق من غير صوت، ويكون الصّوتَ مع النزاع والشّوق، يقال: حنّ قلبي إليه، فهذا نزاع واشتياق من غير صوت، وحنّت الناقة إلى ألاّفها، فهذا صوت مع نزاع، وكذلك حنّت إلى ولدها، وقال الشاعر:

يُعارِضْنَ مِلواحاً كَأنَّ حَنِينَهَا
قُبَيْلَ انفِتَاقِ الصُّبْحِ تَرْجِيعُ زَامِرِ»[41]

وعلى هذا فإنَّ أصل الحنين في اللّغة هو ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها، ثم توسع ذلك، واستعير للإنسان.

واستعير ذلك - أيضاً - للرِّياح والسَّحاب، قال ابن سيدة: «الحَنون من الرياح: التي لها حَنين كحَنين الإبل، أي: صوت يشبه صوتها عند الحنين، وقد حنّت واستحنّت، وأنشد سيبويه:

مُسْتَحِنٌّ بِهَا الرِّيَاحُ فَمَا يَجْتَابُهَا
فِي الظَّلام كُلُّ هَجُودِ

وسحابٌ حنّان، كذلك، قوله:

فَاسْتَقْبَلَتْ لَيْلَةَ خِمسٍ حَنَّانْ

جعل الحنّان للخمْس، وإنّما هو في الحقيقة للناقة لكن لما بَعُدَ عليه أمدُ الورْدِ فَحَنَّتْ نَسَبَ ذلك إلى الخِمْس حيثُ كان من أجْله»[42].

(ح و ز) الانحياز:

انحازَ مُطاوِع حَازَهُ؛ أي: انضمَّ واجتمع. ويُقال انحازَ إليه، وتحاوزوا في الحَرْب: انحازَ كلٌّ فريق عن الآخر، والانحياز: الانضمام، وسياسة عدم الانحياز في الاصطلاح الحديث: عدم الانضمام إلى فريق دون غيره.

لعلّ الأصلَ في هذه المعاني قولهم: حازَ الإبلَ؛ أي: ساقها سَوْقاً رُويداً رويداً إلى الماء، وليلة الحَوْر: أولُ ليلة توجّهُ فيها الإبلُ إلى الماء إذا كانت بعيدة منه. والحُوزيّ: المتوحد من الإبل، وهو الفَحْلُ منها، وناقة حُوْزية: مُنحازة عن الإبل لاتخالطها(٤٣).

(خ ج ل) الخَجَل:

الخَجَل: الاستحياء، يقال: خَجِل الرجل يخجل خجلاً: استحيا واضطرب ودهش من الاستحياء، وبقي ساكتاً لايتكلم، ولايتحرك، فهو خَجْلان وخَجِل(٤٤).

وَهذا مشتقّ من قولهم: خَجِل البعير خَجَلاً: سار في الطّين فبقي كالمتحيّر، وخَجِل البعير، إذا ارتطم في الوحل، وخَجِل البعير بالحمل: ثقل عليه واضطَرب(٤٥).

(خ د ج) خَديجة:

من الأسماء الشّائعة عند العرب: خديجة، وبه سمّيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي اللّه عنها - ولم يزل العرب يسمّون به بناتهم، وأكثرهم لايعرف معناه ولااشتقاقه.

قال ابن دريد: «اشتقاق خديجة من قولهم: خدجت الناقة وأخدجت، إذا ألقت ولدها ناقص الخلق... وفرّق الأصمعي بين خَدَجَت وأَخْدَجَت، فقال: خَدَجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام أيامه، وإن كان تام الخلق، وأخدجت إذا ألقته ناقصاً وإن كان تام الأيام، فالولد من ذلك خديج، والناقة خادج، والولد من هذا مُخدَج والناقة مُخدج»(٤٦).

ومن هذا المعنى قيلَ لكل ذي نقص إنه مُخدَج، فقيل لذي الثُّدَيّة صاحب يوم النهروان إنه مُخدَج اليد، وقالوا: أخدج فلان عطاء فلان، إذا بخسه، ويقال: أخدج الرجل صلاته فهو مُخدج، وهي مُخْدَجَة.

وجاء في الحديث: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج»[٤٧].

ويسمّي الأطباء في عصرنا الأطفال الذين لم يكتمل نموهم: خُدَّج، على زنة (فُعَّل) والواحد خَدِيج وهو (فَعِيل) بمعنى (مُفْعَل) مُخْدَج.

(خ ض ر م) المُخَضْرَم:

المُخَضْرَم من مضى نصف عمره في الجاهلية، ونصفه في الإسلام، أو أدرك الجاهلية والإسلام، أو هو شاعر أدركهما كلبيد العامري وحسّان بن ثابت - # .

وأصل ذلك في اللغة من قولهم ناقة مخضرمة، وهي التي جُدِع نصف أذنها. قال الزمخشريّ: «ناقة مخضرمة: جُدِع نصف أذنها، ومنه المُخَضْرَم: الذي أدرك الجاهلية والإسلام، كأنما قُطِع نصفه حيث كان في الجاهلية»[٤٨] أو كأنّ ماذهب من عمره في الجاهلية ساقط لايعتدّ به.

وقال ابن الأثير: «ناقة مخضرمة: هي التي قُطِع طرف أذنها، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نَعَمَهم، فلمّا جاء الإسلام أمرهم النبيّ - › - أن يخضرموا في غير الموضع الذي يخضرم فيه أهل الجاهلية، وأصل الخضرمة أن يُجعل الشيء بين بين، فإذا قطع بعض الأذن فهي بين الوافرة والناقصة، وقيل: هي المتوجة بين النجائب والعكاظيّات، ومنه قيل لكلّ من أدرك الجاهلية والإسلام: مخضرم؛ لأنّه أدرك الخضرمتين»[٤٩].

وفرق بعض علماء اللغة بين مخضرَم - بفتح الراء - ومخضرِم - بكسرها - في الدلالة؛ قال ابن بري: «أكثر أهل اللغة على أنه مُخَضرِم - بكَسر الراء - لأنّ الجاهليّة لما دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم ليكون علامة لإسلامهم إنْ أُغيرَ عليهم أو حُوربوا، ويقال لمن أدرك الجاهلية: مخضرِم»[٥٠] وأمّا من قال: مخضرَم - بفتح الراء - فتأويله - عنده - أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام، كما تقطع أذن الناقة.

(ر ق ل) الإرقال:

أرقل الرجل: أسرع، وهو ضرب من العَدو فوق الخبب، وأرقل القوم إلى الموت: أسرعوا إليه، وفلان يرقل في الأمور، وهو مرقال في النوازل(٥١).

وأصل هذا في الاشتقاق قولهم: أرقلت الناقة: أسرعت، والمرقلات: الإبل المسرعة الكثيرة الإرقال. والإرقال والإجذام والإجماز: سرعة سير الإبل(٥٢). قال النابغة(٥٣):

إذا استُنْزِلُوا عنهنَّ للطَّعْنِ أَرْقَلُوا
إلى المَوْتِ إِرْقَالِ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

(ر ك ب) الرَّكب:

الراكب: اسم فاعل، وهو خلاف الماشي، من الفعل ركِبَ رُكوباً، وهو راكب الدّابّة أو السّيّارة أو الطّائرة، والجمع ركّاب. والرَّكْب والرّكبان اسم للجمع، قيل: هو العشرة فما فوقهم.

وهذا في أصله من ألفاظ الإبل، قال ابن السّكّيت: «والرّكب جمع راكب، وهو صاحب البعير خاصّة، ولايكون الرّكب إلاّ أصحاب الإبل»(٥٤).

وتقول: مرّبنا راكب، إذا كان على البعير خاصة؛ فإذا كان الرّكب على فرس أو حمار أو بغل قلن: مرّبنا فارس على حمار، أو مرّبنا فارس على بغل(٥٥).

والرِّكاب: الإبل التي تحمل القوم، وهي ركاب القوم إذا حملت أو أريد الحمل عليها.

وقال ابن الأثير: «الرّاكب في الأصل هو راكب الإبل خاصّة، ثم اتّسع فيه فأطلق على كل من ركِبَ دابّة»(٥٦).

(ر م م) **أخذ الشّيء برمّته:**

يقال: أخذ فلان الشّيء برمّته؛ أي: أخذه تامًّا كاملاً لم ينقص منه شيء. والرّمّة: قطعة من الحبل بالية، أو الحبل يقلّد به البعير.

وأصل قولهم: أخذه برمته - فيما حكاه الجوهري: أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته[٥٧].

فقولهم: «أخذ فلان الشيء برمّته» مثل قولهم «ادفع إليه كما هو، دون أخذ شيء منه[٥٨].

(ر و ض) **الترويض:**

يقال: رَوِّضْ نفسك بالتّقوى، أي: ذلّلها واجعلها مسخّرة مُطيعة، وأراض الشّاعر القوافي الصّعبة فار تاضت له: انقادت وسَهُلَت.

وأصل هذا المعنى من قولهم: رُضت النّاقة أروضها رياضة[٥٩].

قال صاحب «اللسان»: «راض الدّابّة يروضها روضاً ورياضةً: وطّأها وذلّلها أو علّمها السّير . . . وناقة مروضة، وقد ارتاضت، وكذلك: روّضته؛ شُدِّد للمبالغة، وناقة رَيِّض: أول ماريضت، وهي صعبة بعد، وكذلك العَروض والعسير والقضيب من الإبل كلّه»[٦٠].

والرَّيِّض - أيضاً - الذي لم يقبل الرّياضة من الدوابّ، وهو من الإبل ضد الذّلُول، الذّكر والأنثى في ذلك سواء[٦١].

(ر و ى) **الرَّاويَة:**

الرواية: نقل الخبر جيلاً عن جيل، وهي من علوم الحديث، والرجل راو أو راوية، والتاء للمبالغة في اسم الفاعل.

والأصل في اللغة أن الراوية هو البعير الذي يسقى عليه الماء، والجمع روايا[٦٢]، قال أبو النجم[٦٣]:

تَمْــشِي من الرِّدَّة مَــشْيِ الحُــفَّلِ
مَــــشْيَ الـرَّوَايا بـالمَـزَادِ الأثْـقَـلِ

وقال أبو طالب(٦٤):

ويَنْهَضُ قَــوْمٌ في الحَــديد إليكم
نُهُـوضَ الرَّوَايا تَحْتَ ذاتِ الصَّــلاصِلِ

فالرّوايا جمع رواية للبعير، ثم استعير هذا المعنى لمن ينقل الخبر أو العلم، فسمّي: راوية.

(ز ع م) **الزّعم:**

زعم فلان أن الأمر كيت وكيت زعماً؛ إذا شككت أنه حق أو باطل، وأكثر مايستعمل الزعم في القول، يكون حقاً ويكون باطلاً.

ولعلّ هذا مشتقّ من قولهم: أزعمت القلوص أو النّاقة. إذا ظنّ أنّ في سنامها شحماً، وليست كذلك، والزّعوم التي يشكّ في سمنها من الإبل أو الغنم، فتغبط بالأيدي، قال الشّاعر:

وإنّا مِن مَــوَدَّةِ آل سَــعْــد
كـمن طَلَب الإهالَةَ في الزَّعُــومِ(٦٥)

وقيل الزَّعوم من الإبل والغنم التي لايُدْرَى أبها شحم أم لا، قال الأزهريّ: ومنه قيل: مُزاعِم، وهو الّذي لايوثق به»(٦٦).

(ز م ل) **الزّميل:**

للزّميل معان، منها: الرفيق في العمل أو المهنة، تقول: أغمرت الزّميل بالجميل، تريد به الرّفق على الإطلاق، ومنه الزّمالة والمزاملة.

والزّميل في أصل اللّغة: هو الرّديف على البعير، أو الذي يعمل مع صاحبه على البعير، يحمل المتاع والطّعام، وقيل هو مطلق الرّديف على الدّابّة، قال ابن دريد: الزّمل من قولهم: زَمَلْتُ الرجل على البعير وغيره، فهو زميل ومزمول، إذا أردفته أو عادلته(٦٧).

والزّاملة هي الّتي يحمل عليها طعام الرّجل ومتاعه في سفره من الإبل وغيرها، وهي من الزّمل الحمل، والزّوملة سوق الإبل الّتي عليها أحمالها.

وقيل: إذا عمل الرّجلان على بعيرهما فهما زميلان، فإذا كانا بلاعمل فهما رفيقان(٦٨).

(س ن م) تسنّمت ذروة الشّرف:

يقولون: تسنّم فلان ذروة الشّرف والمجد، أو تسنّم أعلى المناصب، أي تقلّد منصباً وباشره واعتلاه، ورجل سَنِيم: عالي القدر(٦٩).

وهم - في هذا الاستعمال - يستعيرون فعل «تسنّم» من بعض أعضاء الإبل، وهي: سنام البعير أو النّاقة، أعلى ظهرها.

وقد قالوا قديماً: تسنّم الفحل الناقة، أي: ركبها وقاعها، ثم استعاره الشّاعر في وصف السّحاب، الذي يعلو رؤوس الجبال، التي تشبه أسنمة الإبل، وقال:

مُتَسَنِّماً سَنِمَاتِها مُتَفَجِّساً
بالهَدْرِ يَمْلأُ أنْفُساً وعُيُوناً(٧٠)

ومنه قالوا: تسنّم الرجل المرأة؛ أي: تغشّاها، قال الشّاعر:

تَسَنَّمْتُها غَضْبَى فَجَاء مُسَهَّداً
وأفْضَلُ أولادِ الرِّجالِ المُسَهَّدُ(٧١)

ثم استعير في أشياء معنوية، فقالوا، تسنّم فلان ذروة الشّرف أو المجد، وتسنّم المراتب العالية.

(س و ق) السُّوق:

يسمّون مكان البيع والشراء وحَوْمته: سُوقاً؛ وهو - في الأصل - الموضع الذي تساق إليه الإبل أو الغنم للبيع، اشتقّ من سَوقها - بفتح السّين - ثم توسّعوا فيه؛ فشمل كل البيوع. ولعلّ هذا الاشتقاق يدلّ على سيطرة المواشي على حركة البيع والشّراء لدى العرب الأوائل، وتفضيلهم إيّاها على غيرها، ولذلك عدّوها هي المال عند إطلاق كلمة «مال» كما سيأتي في مادة (م و ل).

ويعضّد هذا الاشتقاق ماذكره ابن الأثير في تفسيره تسمية «سويقة» وهي قرية في الجنوب الغربي من نواحي المدينة، قال «وهي تصغير السُّوق، سمّيت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها، وتساق المبيعات نحوها»(٧٢).

ورب قائل يقول: إن كلمة «السُّوق» مصدر ساق الماشية يسوقها سوقاً وهي مفتوحة السين، في حين أن «السُّوق» مضموم السين؛ فكيف يكون هذا من ذاك؟

فأقول: لعلّهم أرادوا التفريق بين المصدر - وهو السَّوق - والمكان الذي يتسوّقون فيه؛ فعدلوا عن الفتحة إلى الضّمّة.

(س ى ب) السّائبة:

جاء في الحديث: «السّائبة يضع ماله حيث شاء»(٧٣) أي: العبد الذي يعتق سائبة، ولا يكون ولاءه لمعتقه ولا وارث له، فيضع ماله حيث شاء، وهو الذي ورد النّهي عنه.

واشتقاق هذا من قولهم سيّب النّاقة؛ أي: تركها تسيب حيث شاءت، وكلّ دابّة تركتها وسَوْقها فهي سائبة.

قال ابن الأثير: «قد تكرّر في الحديث ذكر السّائبة والسّوائب؛ كان الرّجل إذا نذر لقدوم من سفر أو بُرء من مرض، أو غير ذلك. ، قال: ناقتي سائبة، فلاتمنع من ماء ولامرعى ولاتحلبّ ولاتركب، وكان الرّجل إذا أعتق عبداً فقال: هو سائبة، فلاعقل بينهما ولاميراث. وأصله من تسييب الدّواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت»(٧٤).

وقيل: السّائبة هي أمّ البحيرة، كانت النّاقة في الجاهلية إذا ولدت عشرة أبطن كلّهن إناث سيّبت، فلم تركب، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضّيف حتّى تموت، فإذا ماتت أكلها الرّجال والنّساء جميعاً، وبُحِرَت أذن بنتها الأخيرة، فتسمّى: البحيرة، بمنزلة أمِّها في أنّها سائبة(٧٥).

(ش و ر) المِشوار:

هو المسافة التي يقطعها الإنسان، وجمعه مشاوير، وفي المثل: الخُطَب مِشوار كثير العثار(٧٦).

والمشوار مشتقّ من قولهم: شُرت الدّابّة، إذا رضتها أو ركبتها عند العرض على مشتَريها، فأقبلت بها وأدبرت ليعرف المشتري قوتها من ضعفها، وأكثر مايقال هذا في الإبل والخيل(٧٧).

ومن هذا قيل للمكان الذي تشوّر فيه الدّواب وتعرض: المشوار، ثمّ استعير هذا المعنى للخطب فقيل في المثل: الخُطَبُ مشوار كثير العثار؛ لأنّ الخطيب يعرض عقله وبلاغته، وهو عُرْضَةٌ للعثار في ذلك المَضمار.

ومن هذا قيل للمسافة التي يقطعها الإنسَان: مِشوار، وجمعه مشاوير.

(ص ع ر) تصغير الخَدّ:

صَعَّرَ الرّجل وجهه: مال إلى أحد الشّقين تهاوناً من كبر، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولاتصعّر خدّك للنّاس﴾(٧٨) أي: لاتمله عنهم.

قال ابن فارس في تفسيره لهذه الآية: «وهو من الصّيعريّة، وهو اعتراض البعير في سيره، والصّيعريّة: سمة من سمات النّوق في أعناقها، ولعلّ فيها اعتراضاً، قال المسيّب:

بناج عليها الصّيعريّة مكدم»(٧٩)

وقيل: الصّعر: داء يأخذ البعير فيلوي منه عُنُقه ويميله، صَعِرَ صَعَراً، وهو أصْعَر، ويقال: أصاب البعير صَعَر وصَيد؛ أي: أصابه داء يلوي منهَ عنقه[٨٠].

(ع ش و) **العشواء:**

من أمثالهم السّائرة: «يخبط خبط عشواء» وهو يطلق على السّادر الذي يركب رأسه ولا يهتمّ لعاقبته. قال زهير:

رَأَيتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ من تُصِبْ
تُمِتْهُ ومَن تُخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[٨١]

وربّما اختصروه فقالوا: فلان عشوائيّ، والأصل في ذلك النّاقة العشواء؛ لأنّها لاتبصر ماأمامها فهي تخبط بيديها كلّ شيء تمرّ به، وذلك أنّها ترفع رأسها فلا تتعهّد مواضع أخفافها[٨٢].

(ع ق ل) **فلان عاقل:**

العقل بمعنى الحِجْر والنُّهَى: ضدّ الحُمْق؛ وهو التّمييز الّذي به يتميز الإنسان من سائر الكائنات الحَيّة؛ وهو تاج الإنسان وقائده وقوّته الحقيقية.

والعقل مصدر قولك: عَقَلْتُ البعير أعقله عقلاً، وهو مشتقّ من أصل حسّيّ هو عقال البعير الذّي تشدّ به بعض قوائمه؛ لتقييد حركته ولضبطها؛ أو تثنى به يد البعيرَ إلى ركبته فتشدّ به.

وقد استعير منه العقل للإنسان؛ لأنّه يعقل صاحبه، ويردّه عن هواه، ويصدّه عن السّقوط في الرّذيلة، ويحبسه عن ذميم القول والفعل.

ويلحق بهذا أنّهم سمّوا الدِّية عقلاً؛ لأنّ الإبل التي كانت تؤخذ في الدّيات كانت تجمع فنعقل بفناء المقتول؛ فسمّيت الدّية عقلاً، وإن كانت دراهم أو دنانير أو ريالات. وقيل: سمّيت عقلاً؛ لأنها تمسك الدّم[٨٣].

(غ ر ب) ألقي حبلَهُ على غاربِه:

يقال: «ألقيت حبله على غاربه»[٨٤] أي: تركته يذهب حيث يريد، أو يعمل مايشاء. والأصل في هذا أن يلقى حبل النّاقة على غاربها، وهو كاهلها مابين السّنام إلى العنق؛ وذلك أنّ النّاقة إذا رعت ورأت الحبل «الخطام» لم يُهنها المرعَى، فيلقى على غاربها لكي لاتراه[٨٥].

ثم ارتقى هذا المعنى فاستعمل في الطّلاق في الجاهليّة؛ فكانت العرب يطلقون نساءهم بهذا الكلام؛ أي: بقولهم: حبلك على غاربك، ومعناه: خلّيت سبيلك وأمرك في يديك، فقد انقطع سببك من سببي[٨٦].

ثمّ استعير هذا اللّفظ لكلّ من ترك يعمل مايشاء.

(ف ص ح) الفَصَاحة:

يقال لمن يبين عمّا في نفسه ويخلو لفظه من التعقيد: إنه فصيح، ويوصف بها المتكلّم والكلمة والكلام، يقال: رجل فصيح، وكلمة فصيحة، وكلام فصيح. والفعل من ذلك فَصُحَ، يقال: فَصُحَ الرّجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فُصحاء وفصاح وفُصُحَ، وفَصُحَ الأعجمي فصاحة: تكلم بالفصاحة، يقال: أفصح الصبيّ في منطقه إفصاحاً، إذا فهمت مايقول في أوّل مايتكلم، وأفصح عن الشّيء إفصاحاً، إذا بَيَّنَهُ وكشفه.

وأصل ذلك كلّه لبن النّاقة الفصيح الذّي أخذت عنه الرّغوة، يقال: فَصُح اللّبن إذا أخذت عنه الرْغوة، قال نضلة السّلمي[٨٧]:

رَأَوهُ فـازْدَرَوْهُ وهـو خِـرْقٌ
ويَـنْفَـعُ أَهْلَـهُ الرَّجُلُ القَـبِـيحُ
فَلَم يَخْـشَـوا مَـصَـالَتَـهُ عَلَيـهِم
وتَـحْتَ الرَّغْـوَةِ اللَّبَنُ الفَـصِـيحُ

وأفصح اللّبن: ذهب اللِّبأ عنه، والمفصح من اللّبن كذلك، وأفصحت النّاقة أو الشّاة: خلص لبنها.

قال الرّاغب في «المفردات»: «الفَصْحُ خُلُوصُ الشّيء مما يشوبه، وأصله في اللّبن، يقال: فَصُحَ اللّبن وأفصح فهو مُفصح وفَصيح إذا تَعَرَّى من الرَّغْوَة، ومنه استُعِيرَ: فَصُحَ الرَّجُل: جادت لغته، وأفصح: تكلّمَ بالعربيّة»(٨٨).

(ق ح م) الاقتحام والتَّقَحُّم:

تقول: أقحم فلانٌ نفسَه فيما لايعنيه، أو فيما لايحسنه. وهو يتقحّم في الأمور، أي يدخل فيها بغير تثبت ولا رويّة.

واشتقاق هذا من قولهم: تقحّمت النّاقة بصاحبها؛ إذا ندّت به فلم يضبط رأسها وربما طوحت به في وَهْدَة أو وَقَصَت به، وكذلك تَقَحَّم البعير(٨٩).

وقالوا: اقتحم الفحلُ الشَّوّلَ: اهتجمها من غير أن يرسل فيها، والمقاحيم من الإبل التي تقتحم الشَّوْل من غير إرسال فيها، والإقحام الإرسال في عجلة، وبعير مُقْحَم: يذهب في المفازة من غير سائق(٩٠).

ومن ذلك قُحْمة الأعراب: سميت «قحمة» لأنّهم إذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف، كأنّهم اقتحموه.

(ق ط ر) القطار:

القطار والقاطرة في عرفنا اليوم: وسيلة حديثة من وسائل النقل، وهي مجموعَة من مركبات تسير على قضبان من حديد تجرها قاطرة.

ومن المجاز اللغوي قولهم: تقاطر القوم؛ أي: جاءوا أرسالاً، وتقاطرت كُتُب فلان؛ أي: تتابعت(٩١).

والقطار في أصل اللغة عند العرب أن تشدّ الإبل على نسق، واحداً خلف واحد، ومنه قالوا: قَطَرَ الإبل يقطُرُها قَطراً وقَطَّرَها. وجاءت الإبل قِطاراً أي: مقطورة(٩٢).

قال ابن فارس: «وتقاطر القوم؛ إذا جاءوا أرسالاً، مأخوذ من قطار الإبل، ومن أمثالهم: (الإنفاض يُقطرُ الجَلَب) يقول: إذا أنفض القوم؛ أي: قلّت أزوادهم وماعندهم قطّروا الإبل فجلبوها للبيع»(٩٣).

ثم توسّعوا في ذلك فقالوا: قطار النّمل، قال أبوالنّجم العجلي(٩٤):

وأقْـبَلَ النَّمْلُ قِطاراً تَنْقُلُهْ

(ك و م) الكَوْم:

كَوم الشيء كَوَماً: عَظُمَ، وكوّم الشيء: جمعه وألقى بعضه على بعض. ولعلّ الأصل في ذلك سنام البعير، فقد ذكر علماء اللغة أن استعمال الكوم غلب على السنام(٩٥)، فالكوم: عظَم السّنام، والأكوم: البعير الضّخم السنام، وناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته. والكُوْم - بضم الكاف - القطعة من الإبل.

ثم توسّعوا في ذلك فسمّي كلّ مافيه تجمّع وارتفاع: كَوْمًا، وأطلقوا «الكوم» على كل مااجتمع وارتفع له رأس من تراب أو رمل أو قمح، تشبيهاً بسنام البعير.

(م ج د) المَجْد:

المَجْد: النّبل والرّفعة ونيل الشّرف الواسع والمروءة والسّخاء، وهو السّعة في الكرم والجلال. وهو الأخذ من الشّرف والسُّؤْدَد مايكفي. وقيل المَجْد: المكارم المأثورة عن الآباء خاصّة. وقد مَجَدَ يَمْجُد مجداً، فهو ماجد، ومَجُد - بالضّمّ - مَجادة، فهو مَجيد.

والتّمجيدَ للّه الثّناء الجميل، يقال: سبّح للّه عزّ وجلّ ومَجّده؛ أي: ذكر آلاءه.

ورجل ماجد: مفضال كثير الخير شريف. والمجيد فعيل منه للمبالغة، وقيل، هو الكريم الشّريف المِفضال، وقيل: إذا قارن شرف الذّات حسن الفَعَال سمّي مجداً.

وهذه معان معنوية عليا اكتسبتها كلمة «مجد» من معناها القديم، وهو معنى حسّيّ؛ فالمجد في أصل اللّغة: امتلاء بطون الإبل أو الغنم، يقال: مجدت الغنم مجوداً: أكلت البقل حتّى هجع غَرَثُها، وراحت الماشية مُجّداً ومواجد؛ أي: شباعاً[٩٦]. ومجدت الإبل تمجُد مجوداً، وهي مواجد ومُجّد ومُجُد، وأمجدت؛ إذا شبعت أو نالت من الكلأ قريباً من الشِّبع، وعرف ذلك في أجسامها.

وأمجد القوم إبلهم؛ أي: أحسنوا رعيها، ويكون ذلك في أول الرّبيع، ومجدت الإبل؛ إذا وقعت في مرعى كثير واسع[٩٧].

ويقال: رأيت أرضاً قد مَجَد بعيرُها وشاتها؛ أي: خصبة مليئة بالمرعى. وأهل العالية يقولون: مَجَدت النّاقة؛ إذا علفتها ملء بطنها، وأهل نجد يقولون: مجّدتها - بالتشديد - إذا علفتها نصف بطنها[٩٨].

وقد فطن ابن دريد إلى هذا الاشتقاق فقال: «المجد من قولهم: رجل ماجد. وأصل المجد أن تأكل الماشية حتّى تمتلئ بطونها»[٩٩].

وقال في كتاب «الاشتقاق»: «واشتقاق ماجد من قولهم: أمجدت الماشية؛ إذا امتلأت من المرعى، فهي مُمْجِد، ثمّ صار كلّ ممتلئ خيراً ونائلاً شرفاً ماجداً ومجيداً[١٠٠].

وفي المثل: «وفي كلّ شجر نار، واستمجد المَرْخ والعَفَار»[١٠١] أي: استكثروا من النّار، وأخذا منها ماهو حسبهما، فهما قد تناهيا في ذلك، حتّى إنّه يقبس منهما.

(م ن ح) المنحة:

المَنح: العطاء، والمنحة العطية، وامتنح فلان: أخذ العطاء، واستمنح: طلب العطاء.

ويقولون في الاستعمال الحديث في الأروقة العلميّة: منحت الجامعة منحاً علميّة للأجانب، ويقول أصحاب العقار: منحت الأرض لأصحابها، وهذه منحة فلان.

وأصل المنح في اللّغة هو إعارة النّاقة أو الشّاة ليستفاد من لبنها، ثمّ تعاد بعد حين.

قال الفيّوميّ: «المنحة - بالكسر - في الأصل الشّاة أو النّاقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها، ثمّ يردها إذا انقطع اللّبن، ثمّ كثر استعماله حتّى أطلق على كلّ عطاء»(١٠٢).

وفي «اللسان»: «الأصل في المنحة أن يجعل الرّجل لبن شاتة أو ناقته لآخر سنة، ثمّ جعلت كلّ عطيّة منيحة»(١٠٣).

(م و ل) المال:

المال مايملكه الإنسان من كلّ شيء، وأكثر مايكون في الذّهب والفضّة والنقد، ومالَ يمول مولاً: صار ذا مال، وكثر ماله.

والمال عند أهل البادية النَّعَم بعامّة، وفي الحديث: «نهى عن إضاعة المال» قيل أراد به الحيوان؛ أي: يحسن إليه ولايهمل، وقيل: إضاعته إنفاقه في الحرام. قال ابن الأثير: «وأكثر مايطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنّها كانت أكثر أموالهم»(١٠٤).

وقال أبوسهل الهرويّ: «المال عند العرب هو الإبل والغنم، وغير ذلك مما يتناسل»(١٠٥).

(ن ت ج) النتيجة:

النتيجة: الثّمرة أو العاقبة أو الخاتمة، ومنها الاستنتاج بمعنى استنباط النّتيجة من المقدّمة، أو استخراج المجهول من المعلوم، والنِّتاج ثمرة الشّيء.

وقد صاغ المعاصرون كلمة «الإنتاج» وأكثروا من استخدامها، فقالوا: الإنتاج العلمي، والصّناعيّ، والفنّي وقالوا: إنتاج الأديب أو العامل، كما قالوا: النِّتاج والمُنتجات والمنتوجات(١٠٦).

والنِّتاج هو الأصح في الاستعمال اللغوي.

واشتقاق هذه المعاني من قولهم: نُتِجَت النّاقة فهي مَنتوجة، وأُنْتِجَت فهي مُنتَجة: إذا وضعت، ونوق مَناتيج؛ أي: كثيرة الولاد، ونَتَجَ النّاقة صاحبُها وأنتجها: وَلِيَهَا حتّى وَضَعَت فهو ناتج ومُنتِج[١٠٧]، والنّاتج للإبل كالقابلة للنِّساء[١٠٨].

والنّتاج اسم يجمع وضع جميع البهائم، وقال بعضهم: هو في النّاقة والفرس وهو فيما سوى ذلك: نَتْج.

ومن هذا المعنى قالوا: الرّيح تنتج السّحاب؛ أي: تمريه حتّى يخرجَ قطره، وفي المثل: إنّ العجز والتّواني تزاوجا فانتجا الفقر[١٠٩].

ثم استعاروا من ذلك النّتيجة وهي العاقبة والثّمرة، والاستنتاج وهو استنباط النتيجة.

(ن د د) نَدّت الكلمة:

نَدَّت الكلمة: شَذّت عن القاعدة، ونَدَّت الفكرة عنّي: غابت عن ذاكرتي.

وهذه كلمة عريقة في ألفاظ الإبل، وهي من قولهم: نَدَّ البعير يَندُّ نُدُوداً، إذا شرد، ونَدَّت الإبل تَندُّ نَدّاً ونَديداً ونداداً ونُدُوداً، وتَنَادَّت: نفرت وذهَبت شروداً، فمضت على وجوهها، وناقة نَدود: شرود. وفي الأثر: «فندَّ بعير منها» أي: شرد وذهب على وجهه[١١٠].

ثم استعير ذلك للكلمة تشذُّ عن القاعدة، أو الفكرة تغيب عن صاحبها.

(ن ش د) نشدت بمعني سألت:

ناشدت فلاناً الأمر، وناشدته فيه مناشدة ونشاداً: طالبته، والنّاشد: الطّالب والسّائل عن أمر، وناشدته الّله، وبه: سألته به مقسماً عليه.

وتنشّد الأخبار: طلبها ليعلمها من حيث لايعلم النّاس.

وتقول العامّة في أيّامنا: نشدته عن الأمر؛ أي: سألته مستفهماً عنه، وهي عربيّة فصيحة.

واشتقاق هذه المعاني من قولهم: نَشَدت الضّالة من ناقة أو نحوها؛ إذا ناديتَ وسألت، أو طلبتها وعرّفتها، قال الشّاعر:

وَيَصِيخُ أَحْيَاناً كَما اسْتَمَعَ المُضلُّ لِصَوْتِ نَاشِدْ

والنّاشد الطّالب والمعرف جميعاً[111]. وَالنَّشَّادون - بصيغة المبالغة - من احترفوا نشدان الضّوالّ، واتخذوها مهنة، ثمّ نشأت فئة أخرى سمّوهم «النّاشدين» - وهم غير النّشّادين - اغتنموا مصائب النّاس في إبلهم، فاحترفوا طلب الضّوالّ منها تطوّعاً دون أن يكلّفهم أحد، ولكنّهم كانوا يحتجزونها لأنفسهم إذا وجدوها[112] وربّما ساوموا عليها.

ثمّ نشأ من معنى إنشاد الضّوالّ معنى أدبيّ مشهور وهو قولهم: أنشد القصيدة، بمعنى: ألقاها بصوت مسموع منغّم. ويقال: سمعت منهم نَشِيداً مَليحاً، وهو الشّعر المتناشد بين القوم، ينشده بعضهم.

(ن هـ ل) المَنْهَل:

النَّهْل أول الشُّرْب، والمَنْهَل: المورد والشُّرْب، واستعاروه للعلم؛ فقالوا: ينهل طلاّب العلم من مناهل العلم والمعرفة، ومناهل العلم هي المدارس والمعاهد والجامعات، وهي الكُتُب - أيضاً.

والمنهل في أصل اللّغة: المَوْرد، وهو عين ماء ترده الإبل في المرعى. والنّهل أوّل الشّرب، تقول: أنهلت الإبلَ؛ أي: سقيتها فيّ أوّل الورد فتردّ إلى العطن، ثمّ تسقي الثّانية وهي العلل فتُرَدُّ إلى المرعى.

قال الأصمعيّ: إذا أورد الراعي إبله الماء؛ فالسّقية الأولى النّهْل، والثّانية العَلَل[113].

ثم تَوَسَّعوا في معنى المنهل فسمّوا المنازل الّتي في المفاوز على طريق السُّفَّار : مناهل ؛ لأنّ فيها ماءً.

وقد شَقَّت هذه الكلمة البدويّة القديمة طريقها إلى التّطور، فتخلّصت رويداً رويداً من رائحة الإبل، فقالوا : أسل ناهل ونهال، وأنهلوا القنا، قال شاعرهم :

نَهِلْنَا مِن دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ
وأَنْهَلْنَا القَنَا حَتَّى رَوِينَا(١١٤)

ثم ارتقت الكلمة في سلّم العلم والأدب فغدت من الكلمات المفضّلة عند الأدباء والفصحاء، الرّفيعة المعنى لديهم، فقالوا : فلان ينهل من مناهل العلم والأدب.

(ن و ق) الأناقة:

هل تعرف النِّساء أنهن يلتقين في أناقتهن مع تلك البهيمة الصّحراويّة الغليظة «النّاقة» وأنّهن يَدنَّ لها بلفظ «الأناقة» تلك اللّفظة الجميلة الّتي غدت شغلهنّ الشّاغل، وإن كانَت أناقتهن تُكَبِّدُ الرِّجالَ ماتكبِّدُهُم من المال، إلا أنّها تعوّضهم ماتعوّضهم من لَذَّة وجمال(١١٥).

إن التنقيب في اللّغة والحفر في معجماتها يكشف عن العلاقة الوثيقة بين النّاقة والأناقة، فالنّاقة عند العرب ممايُتَحَسَّن به ويُزدان بملكه - كما يقول ابن جنّي(١١٦)، ولذلك اشتقّوا المذكّرها لفظة مناسبة مشتقّة من الجَمَال، فقالوا الجَمَل.

وقالت العرب للجَمل إذا ذُلِّل وأحسنَت رياضته : نَوَّقت البعير؛ أي : أذهبت شدّة ذكورته، وجعلته كالنّاقة الطّيّعة المُرَوَّضة المنقادة(١١٧).

وفي الحديث أنّ رجلاً سار معه - ﷺ - على جمل قد نوّقه(١١٨).

ودرجت العرب على هذا المعنى حيناً، ثمّ قالت قياساً على ترويض البعير وترقيق طبعه :

نَوَّقت الشَّيء، بمعنى رَوَّضته وأصلحته وصَفَّفته، والنَّوَّاق من الرِّجال الذي يروّض الأمور ويصلحها.

ثمّ توسّعوا في هذا المعنى فقالوا: تَنَوَّق فلان في ملبسه ومسكنه ومنطقه وأموره؛ إذا تجوّد وبالغ[١١٩].

وصاحب ذلك أن أحدثوا قلباً مكانيا في الكلمة، فقالوا: تَوَنَّقَ، على وزن (تَعَلَّف) ثمّ أبدلوا الواو همزة فقالوا: تَأَنَّقَ، ولهذا سوّى العلماء بين اللفظين «تَنَوَّق» وتَأَنَّقَ» وقالو: تَنَوَّق في أموره تجوّد وبالغ، مثل تأنق؛ قال ذو الرّمّة:

كَأَنَّ عليها سَحْقَ لِفْقٍ تَنَوَّقَتْ
به حَضْرَمِيَّاتُ الأَكُفِّ الحَوائك

قال ابن فارس: «وقولهم: تَنَوَّق في الأمر، إذا بالغ فيه، فعندنا أنه منه [أي من مادة نوق] وهم يُشَبِّهون الشَّيء بما يستحسنون، وكأنّ تَنَوَّق مقيس على اسم الناقة، وهي عندهم من أحسن أموالهم»[١٢٠].

وهكذا جاءت «الأناقة» من لفظة «تَأَنق» وهذه من لفظة: «تَنَوَّق» وأصولهما في «النّاقة».

على أنّه لايمكن القطع بهذا الاشتقاق؛ لاحتمال أن تكون (أ ن ق) مادة مستقلة في الأصل القديم وليست مقلوبة من (ن و ق) فيجوز - حينئذ - أن تكون «الأناقة» من تلك المادة وليست من مادة (ن و ق) فيكون في كلمة «الأناقة» تداخل أصول.

(هـ د ر) هَدَرَ فلانٌ:

يقولون: هَدَرَ فلان؛ إذا بالغ في الهدير، أي في الجَلَبة والصياح، وفي المثل: «كالمُهَدِّر في العُنَّة»[١٢١] يضرب لمن يصيح ويجلّب ولاينفّذ قوله ولافعله.

ولعلّ هذا - أيضاً - من ألفاظ الإبل التي تطورت بتوسيع دلالتها، وهو من أصواتها على وجه التحديد، وهو «الهدير» صوت البعير، وصوت الحمام - أيضاً.

قال الجوهري: «هَدَرَ البعير هديراً؛ أي: ردّد صوته في حنجرته، وإبل هوادر وكذلك هدّر تهديراً»(١٢٢).

ومن هذا الصوت اشتقوا معنى المثل عر طريق تعميم الدلالة، قال أبوهلال العسكري: «قولهم: (كالمهدّر في العُنّة) يضرب مثلاً للرجل يتهدّد ولايضرّ. وأصله البعير يُحبس عن ألآفه في العُنّة، فيأسف ويَهْدر، ولاينفعه ذلك شيئاً.

والعُنَّة حظيرة تعمل من الشجر يُحبس فيها البعيرَ، وقال الوليد بن عُقبة:

قَطَعْتَ الدَّهْرَ كالسَّدم المُعَنَّى

تُهَدِّرُ في دمشقَ ولاتَرِيمُ

والمُعَنَّى: يعني المحبوس قي العُنَّة، وأصله المُعَنَّن، فقال: المُعَنّى، كما قيل في المتظنِّن: المتظنّي»(١٢٣).

الخاتمة

هذه أربعون كلمة من ألفاظ الإبل أو الأساليب العربية، التي تطورت دلالتها، وارتقت معانيها في سلم الفكر والحضارة، فابتعدت كثيراً عن أصولها القديمة، التي تتصل بالإبل بسبب وثيق عن طريق اللفظ، كأسمائها، وأسماء أعضائها، وصفاتها، وسماتها، وأصواتها، ومأكلها، ومشربها، وأمراضها، وأدوائها، ونحو ذلك، درستها في هذا البحث المجمل دراسة لغوية معجمية دلالية بمنهج تاريخي، وأعدتها إلى أصولها الحيوانية القديمة، فثبت تطورها الدلالي عن طريق تعميم المعنى وتوسيعه.

وقد قدمت لها بتمهيد تطرقت فيه لما يخدم فكرة البحث ويكشف عن أغراضه، ومنهجه، وأشرت إلى أهمية الإبل في حياة العربي القديم وكثرة ألفاظها في العربية وتفرقها في معاجم اللغة وعناية اللغويين القدامى بتلك الألفاظ وإفرادهم إياها برسائل لغوية خاصة يهدفون فيها إلى جمع ألفاظ، وليس دراستها، وقد ضاع أكثر تلك الرسائل بعد أن فُرِّغ مافيها في بطون المعاجم الكبيرة.

وبقي شطر من ألفاظ الإبل محافظاً على دلالته القديمة، ولم يصبه شيء من التطور، وفي المقابل انتقلت - مع الأيام - دلالة كثير من تلك الألفاظ، وارتقت إلى دلالات معنوية أرحب، وتحررت من دلالاتها الحسية، فابتعدت عن أصلها الحيواني القديم.

ثم ذكرت مايطرأ على معاني الألفاظ من تغييرات كتغيير مجال الدلالة، أو تخصيصها، أو تعميمها، أو انحطاطها، أو تساميها، أو انتقالها إلى الضديّة.

وأشرت إلى أنّ هذا البحث خاصّ بالنوع الثالث من هذه التغييرات، وهو «تعميم الدلالة»

ونهت إلى بعض المصاعب التي قد تعترض من يبحث في مجال الدلالة في معاجم اللغة،

وأعقبت ذلك بذكر القاعدة التي يمكن للباحث أن يستند إليها في تأصيل المعاني مشيراً إلى أنه ينبغي التزام الحيطة والاعتدال في الربط بين الدلالات.

وقد خرجت من هذا البحث المجمل بنتائج منها:

١- أن ألفاظ الإبل كغيرها من الألفاظ العربية البدوية قابلة للتطور الدلالي، وصالحة للتعبير عن مدلولاتها الجديدة. وهي مصدر ثري من الممكن أن يستفاد منها في تنمية اللغة العربية وإثرائها في كلّ زمان ومكان.

٢- أنّ المعنى الوضعي للكلمة في العربية قابل للتغيير والتطور بتعميم دلالته أو تضييقها أو تغييرها، وأنّ ذلك مرهون بالحاجة وكثرة الاستعمال مع تقادم العهد أحياناً.

٣- أنّ تعميم الدلالة في بعض ألفاظ الإبل وانتقال كثير منها من المحسوسات إلى المعقولات يدلّ على سعة العربية وقدرتها على الرقي، ومواكبة التطور الفكري، الذي استجد بظهور الإسلام، وماصحبه من تطور حضاري كبير، بلغ ذروته في عصر الدولة العباسية، فقد استطاعت هذه الألفاظ الصحراوية

البدوية أن تؤدي مايريده المتكلم منها في عصور الحضارة، دون أن يعلم كثير من المتكلمين أن في كلامهم شيئاً غير قليل من بقايا الإبل.

وهكذا تغلغل هذا الحيوان الصحراوي عن طريق ألفاظه إلى وجدان العربي، فأصبح جزءاً من لفظه الراقي من غير أن يحسّ بشيء من ذلك.

٤ - أنّ التطور في هذه الكلمات أو الأساليب المتصلة بالإبل التي انتقلت دلالتها وعُمِّمت - فيما درسته في هذا البحث - يتّجه - في مجمله - من جهة المحسوسات إلى المعنويات، كالحنين والترويض والاقتحام والتقحم والمجد والمنحة والخضرمة وتصعير الخدّ وتسنّم ذرى المراتب، وغير ذلك، وهو تطور إيجابي واكب الرقي الفكري والحضاري لدى العربي الذي يزداد تطلعه إلى المعقولات والمجردات كلما توغّل في الحضارة.

٥ - أنّ لبعض هذه الكلمات - وغيرها قيمة أثريّة قد تساعد في الكشف عن أحوال العرب الغابرين، وتفهّم شؤون حياتهم المعيشية والاقتصادية والاجتماعية، وهي لاتقلّ في قيمتها العلمية عن القطع الأثرية التي يعني بها علماء الحفريات والآثار.

نعم؛ وأرجو - في الختام - أن يكون هذا الموضوع المجمل حلقة في دراسات دلالية متعددة يدرس فيها التطور اللغوي في ألفاظ باقي الحيوانات الصحراوية كالخيل والبغال والحمير والغنم وغيرها من عناصر حياة العربي في صحرائه كالحياض والآبار والدلاء والأسقية والجبال والحجارة والسلاح والرماح والدروع وبيوت الشعر والأوتاد والأثافي والأمراض والأعراض والشجر والنبات والأنواء والمطر والسحاب والرياح ونحو ذلك لنظفر في النهاية بدراسة متكاملة يستفيد منها صناع المعجم التاريخي للعربية الذي ينادي اللغويون - اليوم - بضرورة وضعه لحاجة أبناء العربية إليه.

***

الإحـــالات

١- ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ٢١١.
٢- ينظر: الإبل في الشعر الجاهلي ١/ ١٥.
٣- ينظر: دراسات في فقه اللغة ٢٩٣.
٤- ينظر: الإبل في الشعر الجاهلي ٢/ ١٠.
٥- العربية تاريخ وتطور ١٩٧.
٦- ينظر: في أصول الكلمات ٤٦, ٤٧، ودلالة الألفاظ ١٥٢-١٦٠، وعلم اللغة للسعران ٢٨٠-٢٨٨، ودور الكلمة في اللغة ١٦٢-١٦٣.
٧- الزاهر ٢/ ٢٦٥.
٨- ينظر: القاموس المحيط (بهم) ١٣٩٨، والتاج (بهم) ٨/ ٢٠٧.
٩- درة الغواص ١١٦.
١٠- ينظر: شرح درة الغواص للخفاجي ١١٦.
١١- ينظر: في أصول الكلمات ٤٦.
١٢- ينظر: الأضداد لأبي الطيب اللغوي ١١٦.
١٣- ينظر: دلالة الألفاظ ١٥٤.
١٤- ينظر: علم الدلالة ٣٤٣.
١٥- نفسه ٣٤٣.
١٦- ينظر: علم اللغة لوافي ٢٩٢, ٢٩٣.
١٧- ينظر: دلالة الألفاظ ١٦٤، واللغة والنحو ٧١، والفلسفة اللغوية ٩٧.
١٨- ينظر: دلالة الألفاظ ١٦٤.
١٩- ينظر: المقاييس ١/ ٢١١.
٢٠- دلالة الألفاظ ١٦٥.
٢١- المقاييس ١/ ١٢٠.
٢٢- النهاية ١/ ١٢٠.
٢٣- مجمع الأمثال ٢/ ٣٧٥.
٢٤- ينظر: اللسان (جرن) ٣/ ٨٦.
٢٥- ينظر: العين ٦/ ٥٠، ومختصر العين ٢/ ٦٣.
٢٦- المقاييس ١/ ٤٥٧.
٢٧- ينظر: اللسان (جسر) ١/ ١٣٦.

٢٨- ينظر: المقاييس ١/٤٥٨.
٢٩- اللسان (جلب) ١/٢٦٨.
٣٠- نفسه (حدا) ١٤/١٦٨.
٣١- المقاييس ٢/ ٣٥.
٣٢- الأساس (حدا) ٧٧.
٣٣- ينظر: المعجم الوسيط ١/ ١٧٧.
٣٤- ينظر: التهذيب ٥/ ١٣٧.
٣٥- صحيح البخاري (فضائل الصحابة) ج٥/ ص٢١.
٣٦- النهاية ١/ ٣٩٢.
٣٧- سورة مريم: الآية ١٣.
٣٨- اللسان (حنن) ١٣/ ١٢٩.
٣٩- التهذيب ٣/ ٤٤٥.
٤٠- المحكم ٢/ ٣٧٣.
٤١- التهذيب ٣/ ٤٤٥.
٤٢- المحكم ٢/ ٣٧٣.
٤٣- ينظر: اللسان (حوز) ٥/ ٣٤٠.
٤٤- ينظر: محيط المحيط (خجل) ٢١٨.
٤٥- ينظر: اللسان (خجل) ١١/ ٢٠٠.
٤٦- الاشتقاق ١٦٣.
٤٧- صحيح مسلم (كتاب الصلاة ٣٨) ج٢ ص٩.
٤٨- الأساس (خضرم) ١١٣.
٤٩- النهاية ٢/ ٤٢.
٥٠- اللسان (خضرم)١٢/ ١٨٥.
٥١- الأساس (رقل) ١٧٤.
٥٢- اللسان (رقل) ١١/ ٢٩٣.
٥٣- ديوان النابغة ٤٤.
٥٤- إصلاح المنطق ٤٠.
٥٥- ينظر: اللسان (ركب) ١/ ٤٢٩.
٥٦- النهاية ٢/ ٢٥٦.
٥٧- الصحاح (رمم) ٥/ ١٩٣٧.

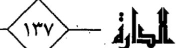
٥٨- ينظر : في أصول الكلمات ٢٦٢ .
٥٩- يتظر : المقاييس ٢/ ٤٥٩ .
٦٠- اللسان (روض) ٧/ ١٦٤ .
٦١- ينظر : التاج (روض) ٥/ ٣٩.
٦٢- اللسان (روي) ١٤/ ٣٤٦.
٦٣- ديوان أبي النجم العجلي ٢٠٦، ٢٠٧ .
٦٤- ديوان أبي طالب ٦٦ .
٦٥- اللسان (زعم) ١٢/ ٢٦٦ .
٦٦- التهذيب ٢/ ١٥٧ .
٦٧- الجمهرة ٢/ ٨٢٦.
٦٨- ينظر : التاج (زمل) ٧/ ٣٦٠.
٦٩- ينظر : الأساس (سنم) ٢٢١ .
٧٠- ينظر : اللسان (سنم) ١٢/ ٣٠٢.
٧١- ينظر : الأساس (سنم) ٢٢١.
٧٢- النهاية ٢/ ٤٢٤ .
٧٣- سنن الدارمي (فرائض ٤٦) ج٢ ص٣٩١.
٧٤- النهاية ٣/ ٤٣١ .
٧٥- ينظر : اللسان (سبب) ١/ ٤٧٨ .
٧٦- مجمع الأمثال ١/ ٤٣٢ .
٧٧- ينظر : اللسان (شور) ٤/ ٤٣٦ .
٧٨- سورة لقمان : الآية ١٨ .
٧٩- المقاييس ٣/ ٢٨٨.
٨٠- اللسان (صعر) ٤/ ٧.
٨١- ديوان زهير ٢٥ .
٨٢- اللسان (عشو) ١٥/ ٥٧ .
٨٣- ينظر : المقاييس ٤/ ٧١.
٨٤- جمهرة الأمثال ١/ ٣٨٢.
٨٥- ينظر : اللسان (غرب) ١/ ٦٤٤ .
٨٦- ينظر : الزاهر ٢/ ٢٤٥ .
٨٧- ينظر : اللسان (فصح) ٢/ ٥٤٤ .

٨٨- المفردات (فصح) ٦٣٧ .
٨٩- ينظر : الزاهر ٢/ ٢١١, ٢١٢ .
٩٠- ينظر : اللسان (قحم) ١٢/ ٤٦٣ .
٩١- ينظر : الأساس (قطر) ٣٧٠ .
٩٢- اللسان (قطر) ٥/ ١٠٨ .
٩٣- المقاييس ٥/ ١٠٨ .
٩٤- ديوان أبي النجم العجلي ١٥٩ .
٩٥- ينظر : اللسان (كوم) ١٢/ ٥٢٩ .
٩٦- ينظر : الأساس (مجد) ٤٢٠ .
٩٧- ينظر : اللسان (مجد) ٣/ ٣٩٦ .
٩٨-ينظر : المحيط ٧/ ٥٥ .
٩٩- الجمهرة ١/ ٤٥٠ .
١٠٠- الاشتقاق ٥٠٦ .
١٠١- ينظر : فصل المقال ٢٠٢ .
١٠٢- المصباح (منح) ٥٨٠ .
١٠٣- اللسان (منح) ٢/ ٦٠٧ .
١٠٤- النهاية ٤/ ٣٧٣ .
١٠٥- ينظر : إسفار الفصيح ١٣ .
١٠٦- ينظر : مغامرات لغوية ٤٢ .
١٠٧- ينظر : الأساس (نتج) ٤٤٥ .
١٠٨- ينظر : اللسان (نتج) ٢/ ٣٧٣ .
١٠٩- ينظر : الأساس (نتج) ٤٤٥ .
١١٠- ينظر : اللسان (ندد) ٣/ ٤١٩، ٤٢٠، والنهاية ٥/ ٣٥ .
١١١- ينظر : اللسان (نشد) ٣/ ٤٢١ .
١١٢- ينظر : مغامرات لغوية ٥٨ .
١١٣- ينظر : اللسان (نهل) ١١/ ٦٨٢ .
١١٤- ينظر : الأساس (نهل) ٤٧٥ .
١١٥- ينظر : مغامرات لغوية ٥٩ .
١١٦- ينظر : الخصائص ١/ ١٢٢ .
١١٧- ينظر : المحكم ٦/ ٣٥٣ .

١١٨- ينظر: الفائق في غريب الحديث ٤/ ٣٠، والنهاية ٥/ ١٢٩.
١١٩- اللسان (نوق) ١٠/ ٣٦٣.
١٢٠- المقاييس ٥/ ٣٧١.
١٢١- ينظر: المستقصى ٢/ ٢١٠.
١٢٢- الصحاح (هدر) ٢/ ٨٥٣.
١٢٣- جمهرة الأمثال ٢/ ١٦٧.

المصادر والمراجع

- الإبل في الشعر الجاهلي، دراسة في علم الميثولوجيا والنقد الحديث، للدكتور أنور عليان أبوسويلم، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، بتحقيق عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ.
- إسفار الفصيح، لأبي سهل الهروي، مصورة الدكتور أحمد سعيد قشاش عن نسخة خطية أصلية محفوظة في مكتبة مجلة المنهل بجدة بدون رقم.
- الاشتقاق، لابن السكيت، بتحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، بتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٤٩.
- الأضداد، لأبي الطيب اللغوي، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٧هـ.
- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، بتحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- الجمهرة لابن دريد، بتحقيق الدكتور رمزي منير بلعبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م.
- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.



- دلالة الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، الطبعة السادسة، ١٩٨٦م.
- ديوان زهير، صنعة الأعلم الشنتمري، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ديوان النابغة، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ديوان أبي النجم العجلي، صنعه وشرحه علا الدين آغا، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
- سنن الدارمي، بعناية محمد دهمان، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- شرح درة الغواص، للخفاجي، مطبعة الجوائب ١٢٩٩هـ.
- الصحاح، للجوهري، بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
- صحيح مسلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- العربية تاريخ وتطور، للدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ.
- علم اللغة، للدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، بتحقيق محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، للبكري، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وعبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، دار الفكر الطبعة السابعة، ١٤٠١هـ.
- الفلسفة اللغوية، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.
- في أصول الكلمات، للدكتور محمد يعقوب تركستاني، بيروت ١٤١٢هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ.
- اللغة والنحو، للدكتور حسن عون، مطبعة رويال، الإسكندرية، ١٩٥٢م.
- مجمع الأمثال، للميداني، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده، بتحقيق جماعة من العلماء، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، بتحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ.
- محيط المحيط، لبطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
- مختصر العين، للزبيدي، بتحقيق الدكتور نور حامد الشاذلي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي بتحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- المعجم الوسيط، للدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر، بيروت.
- المفردات (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني، بتحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.
- مغامرات لغوية، لعبدالحق فاضل، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.
- المقاييس (مقاييس اللغة) لابن فارس، بتحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العلمية، قم، إيران.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، بتحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت.

أبو تمام وأبعاد تمثل الفكر الإسلامي في الشعر

د. أحمد علي محمد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة البعث - حمص - سورية

ملخص البحث

هل بوسع الشِّعر أن يكون عقلياً؟ وبمعنى آخر هل نستطيع توسيع نظرتنا إلى الشعر متجاوزين بعض المفهومات التي تصفه بأنه لايصلح إلاّ لإذاعة العواطف والتغني بما يختلج في الوجدان من مشاعر، أو أنه إذا اتصل بالأفكار فإنّه لايحمل منها سوى المجمل والعام، لذا جُعل بمنأى عن الأفكار العميقة المحددة لملامح ثقافة ما؟

هل هناك زاوية تمكّن من النظر إلى الشعر والعقل معاً؟ إذا وجدت مثل هذه فإن المرء يجد مجالاً للقول: إن من الشعر ما هو جدير بتطويع الأفكار العميقة لصالح موضوعه الفني، وهو الطور الذي يتعدّى التأثر بمجموعة الأفكار السائدة، إنه التمثل الحقيقي الذي يبلغه الشعر فيدل على موقف فكري شامل، ويدل في الوقت ذاته على أنّ الشاعر قد قطع شوطاً في التفكير، وأوجد صلة بين الفكر

والشعر. وهذا الأمر هو ما نريد الوقوف عنده مع شاعر كأبي تمام، محاولين رصد أبعاد المؤثر الإسلامي في شعره.

المقدمة

لا شك أنّ تمثل الفكَر العميقة التي تميز ثقافة أمة من الأمم في الشعر، ضربٌ من التطور يبلغه الأدب إذا استَطاع تطويعها لخدمة موضوعه الفني، وإخضاعها لطبيعته الخاصة، وهي الحالُ التي تتعدى طور النقل العفوي للألفاظ والمصطلحات العلمية التي يكثر دورانها على ألسنة المفكرين والعلماء في عصر من العصور.

فالتمثل المراد هنا شبيه بالرؤية المتكاملة المستندة إلى مخزون فكري ثرٍّ يمكّن الشاعرَ من التبصر بحقائق الكون ونُظُم الحياة، ويجعل منه قوة مؤثرة تشارك في إنتاج الفكرة، لا أن يكون عمله محصوراً في ترديدها أو نقلها نقلاً آلياً، حينئذٍ يغدو الشعر وسيلة معرفية إضافةً لكونه وسيلةً إمتاعية.

فمن هذه الجهة غلب على الشعر الجاهلي ضعف الصلة بالأفكار العميقة والتأملات الدقيقة التي تكشف عن محاولات واسعة في التفكير، والأمثلة التي حملها لنا الشعر الجاهلي إزاء مَنْ تأمل أو تأله أو تعفف[1] في شعره لاتكفي للدلالة على طور مهم قطعتْهُ الأمة في التفكير، لذا جاءت معظم الأفكار والمعاني الجاهلية مطوقة بالحس، وهذا إنما يعود إلى ظروف حياة الجاهليين التي توزعت بين الحل والارتحال، وقامت على التصارع لامتلاك الماء والمرعى فافتقرت إلى الثباتَ والاستقرار، فلم يكن في ظل تلك الحياة المضطربة مايسعف على إيجاد مناخ ينمو فيه الفكر العميق. ولهذا دلت أغلب المعاني في الشعر الجاهلي أن أصحابها تناولوها على عجل، ولاتبعد أن تكون صدى لواقع محسوس نُقل بصورة عفوية.

أما في صدر الإسلام فكان من المتوقع أن يصيب الشعرُ حظاً من التطور من جهة الأفكار، في ضوء ماكشفه القرآن الكريم من عوالم كانت خافية لكن ماأعاقه عن بلوغ ذلك عدة أمور منها:

موقف الإسلام من الشعر

لقد ذم الإسلام الشعر والشعراء لمّا زعم المشركون في بدء الدعوة أن الرسول ﷺ شاعرٌ، ولهذا نفى القرآن عنه الشعر وجاء قوله تعالى: ﴿وماعلمناه الشّعر وماينبغي له إنْ هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾[٢]. غير أن حقيقة موقف الإسلام اتضحت في سورة الشعراء فقال تعالى: ﴿ والشعراء يتّبعهم الغاوون ألم ترَ أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا اللّه كثيراً وانتصروا من بعد ماظُلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٣].

وفي الآيات خلاصة رأي الإسلام في الشعر والشعراء إذْ إنه نهى عن الشعر الذي يجانب الحق والصواب ويشيع الباطل والشرك. واستثنى من الشعر مادعا فيه أصحابه إلى الخير والخلق، وليس ذلك فحسب وإنما اتخذ الإسلام بعد ذلك الشعر سلاحاً ضد المشركين، فقد شجع الرسول ﷺ حسان بن ثابت لينافح عن المسلمين ويهجو شعراء المشركين.

ومع وضوح موقف الإسلام من الشعر؛ إلاّ أن بعض الشعراء أمثال لبيد وهو من كبار الشعراء الجاهلية، قد آثر ترك الشعر بعد إسلامه، واستغنى عنه بما حفظ من القرآن.

وقد يكون السبب في ذلك إحساس لبيد وغيره من الشعراء الذين امتلكوا خصلة البيان أن الشعر داخل في فكرة النظم التي ارتكزت عليها قضية التحدي، يقول أحد الباحثين: "لقد ترك معظم الشعراء تلك الأعمال التي تجوّد الشعر وتنشّط القرائح لأنها تدخل في باب النظم، فأبطلت أهم الدوافع التي جعلت شعراء الجاهلية فحولا"[٤].

وهذا ربما كان من الأسباب الفاعلة في قصور الشعر في هذه المرحلة عن الاتصال المباشر بالقيم الجديدة وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية[٥].

ولم يكن من اليسير على من بقي ينظم الشعر من المسلمين أن يتخذ لنفسه أسلوباً جديداً وروحاً جديدة تستلهم تلك المبادئ التي جاء بها الدين الجديد.

الانصراف إلى العبادة والجهاد

لقد كان انشغال العرب المسلمين بأمور العبادة من عقيدة وتشريع ثم انصرافهم إلى الجهاد والغزو من الأسباب المهمة التي أعاقت الشعر الإسلامي عن تمثل القيم الجديدة التي جاء بها الإسلام على نحو أمثل، فقد أشار ابن سلاّم على لسان ابن سيرين أنه قال: " قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصَحَّ منه. فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته "(٦).

فالجهاد استغرق وقتاً طويلاً، وكانت الأحداث تمضي متسارعة لاتؤذن بهدوء واستقرار من شأنه أن يسعف على البحث والتفكير العميق، ولم تستطع حياة المسلمين أن تؤول إلى الهدوء إلاّ في العهد العباسي، حيث توقفت حروب الفتوح، واستقرت حياة العرب بالأمصار، يقول ابن سلام: "فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر "(٧). وقد نشط عقب ذلك البحث الذي تناول القرآن الكريم شرحاً وتفسيراً، وعلوم الحديث واللغة والشعر والأخبار، وقد أعان على ذلك اطّلاع العرب على ثقافات الأمم المترجمة كالمنطق والبرهان والجدل.

وقد أفاد الشعر في هذه المرحلة من كلّ ذلك، وكان من نتيجة إفادة الشعر من الحركة العلمية التي قامت في هذا العصر تراجع الأنموذج الفني الجاهلي، ليغدو القرآن الكريم وما جاء به من أساليب رفيعة ومعان دقيقة تفوق التصور مجالاً رحباً للمحاكاة.

وهذه تعد نقلة نحو الفكر العميق أبرزت الفوارق بين الشعر في العصر العباسي والشعر في العصرين السابقين، حيث كانت جوانب استفادة الشعر من الأفكار

محددة بالمعاني والأفكار التي انعكست في الشعر بصورة عفوية، بدءاً بشعراء صدر الإسلام الذين نافحوا عن الدعوة وفندوا أباطيل شعراء الشرك، وانتهاءً بالشعراء الأمويين الذين ترسموا خطوات الجاهليين في كثير من الأساليب والموضوعات. إضافة إلى ذلك فإن حركة الفكر نفسها في العهدين الإسلامي والأموي لم تكن قد تبلورت بوضوح بحيث يمكن أن تؤثّر بصورة فاعلة في ضروب النشاط الأدبي، ولهذا يمكن أن ترجع دوافع التمثل الفكري عند بعض الشعراء الإسلاميين والأمويين إلى إحساس ذاتي ووعي فردي في حين حدث في العصر العباسي وعي جماعي، نشأت على أثره حركات المتكلمين، وبرزت وجوه الصراع بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الأجنبية المترجمة والمتمثلة بالفلسفة اليونانية تحديداً. وكان الشعراء في ضوء ذلك الصراع منهم من تمسك بالثقافة الأصيلة، ومنهم من آثر الإقبال على الثقافات المترجمة، ومن هؤلاء مثلاً العتّابي، وقد سئل عن سبب إقباله على قراءة كتب العجم فقال: اللغة لنا والمعاني لهم(٨).

وعلى هذا النحو أثرت الاتجاهات الفكرية في الشعر العباسي عامةً، وأصبح من اليسير أن يحدد الباحث الصبغة الفكرية لكل شاعر عباسي، وهذا إنما يختلف عن ظاهرة التعصب أو التحزب التي عرفت في العصر الأموي، إذ الشاعر العباسي اختار موقفه إزاء الأفكار السائدة دون أن يناصر فئة أو يستعدي أخرى، لأنه لم يكن في حقيقة أمره ينتمي إلى تلك الحركات انتماءً عقائدياً أو من حيث النسب. لهذا صار بوسعه أن يختبر الأفكار، يختار أو يدع مايشاء منها دونما تحرج، وآية ذلك ماعُرف عن بشار بن برد مع المعتزلة، إذْ كان في بادئ أمره من أصحاب الكلام، يقول الأصفهاني: "كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد وواصل ابن عطاء وبشار الأعمى...)(٩) غير أن بشاراً لم يلبث أن استعدى واصل بن عطاء، وانخرط في مناظرة شعراء الاعتزال أمثال صفوان الأنصاري، وسليمان الأعمى أخي مسلم بن الوليد(١٠).

ونحا أبو نواس نحو بشار في موقفه من الاعتزال، فكان في البدء صديقاً للنّظّام، وقد تملّكه علم الكلام كما يقول ابن منظور فكان متكلّماً جدلاً ثابت الفهم في الكلام اللطيف[11] ثم انقلب على المعتزلة وعرّض بالنّظام ومذهبه.

أما أبو تمام فهو ممّن عقد الصّلة بين شعره والفكر على النحو الذي يبدو لنا كالآتي:

الميل إلى الفكر

عُرف عن أبي تمام أنّه يميل إلى تعميق معانيه الشعرية، ويغوص وراء الغامض منها، ويؤثر الصناعة العقلية وهذا يدل عليه قوله:[12]

ولو كان يَفْنَى الشِّعْرُ أفناه ماقرتْ
حياضُك منه في العُصور الذواهبِ

ولكنّه صوب العقول إذا انثنت
سحائبُ منها أُعقبت بسحائبِ

فهو كما ترى يصل الشعر بالعقل فيُفهم من قوله في البيت الثاني: أن الشعر إنما هو نتاج العقل، وهذا المعنى لم يكن عارضاً في ديوانه، وإنما هو اتجاه عام تردّد صداه في أغلب أشعاره، وقد أحصى الآمديّ نحو اثنين وثلاثين معنى تحدث فيها أبو تمام عن صلة قصائده بالفكر من مثل قوله:[13]

خذها ابنة الفكر المهذّب في الدُّجى
واللّيل أسودُ رقعة الجلباب

ويزيدها مرّ الليالي جدّةً
وتقادم الأيام حسن شباب

والحق أن شعر أبي تمام استوجب كداً وجهداً لإدراك معانيه، فهو كما قال صاحب الأغاني: غوّاص وراء المعاني الدّقاق(١٤). والنظر إلى بنية الفكر في شعره تؤيد أنه صاحب فكر إضافة لكونه شاعراً مبرزاً.

البنية الفكرية في شعره

إن الحديث عن البناء الفكري في شعر أبي تمام من جهة حسن تمثّله عناصر فكريّة إسلاميّة يستوجب الإشارة إلى موقف أبي تمّام من قضايا الثقافة الأجنبية المترجمة في عصره، ولاسيما أننا صورنا آنفاً أن صراعاً نشب في النفوس بين ماهو أصيل في الثقافة والفكر وماهو وافد.

موقف أبي تمام من المنطق

شهد عصر أبي تمام المتوفىّ سنة (٢٣١هـ)، أعني القرن الثالث الهجري نشاطاً عظيماً في الترجمة، ويدلّنا على ذلك كثرة المترجمين في هذا العصر، إذ أحصى النديم في الفهرست أربعة وأربعين مترجماً عن اليونانية، وستة عشر مترجماً عن الفارسية.

غير أن الإقبال على الترجمة لم يكن اتّجاهاً عاماً، إذ نجد من بين كبار الأدباء من يمتنع عن الأخذ بالمنطق مما تُرجم خاصة، وليس ذلك فحسب، وإنما نجد أديباً عالماً كابن قتيبة المتوفى (٢٧٦هـ) ينتقد ويسخر من أولئك الذين تمنطقوا وحفظوا أقوال الحكماء في مسائل الفلسفة والمنطق، يقول:

"بلغني أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسألة من حدّ المنطق حسنة ولطيفة، فقال لهم مامعنى قول الحكيم: أول الفكرة آخر العمل، وأول العمل آخر الفكرة، فسألوه التأويل فقال لهم: مثل هذا كمثل رجل قال إني صانع لنفسي كنّاً، فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر فعلم أن السقف لايقوم إلاّ على حائط، وأن الحائط لايقوم إلاّ على أس وأن الأس لايقوم إلاّ على

أصل، ثم ابتدأ العمل بالأصل ثم بالأس ثم بالحائط ثم بالسقف، فكان ابتداء تفكيره آخر عمله، وآخر عمله بدء تفكيره. قال: فأية منفعة في هذه المسألة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بمثل هذه الألفاظ الهائلة؟ وهكذا جميع مافي الكتاب، ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى سمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدَّ نفسه من البكم، أو يسمع كلام رسول الله # وصحابته لأيقن أن للعرب حكمة وفصل خطاب "(١٥).

ومثل هذا الموقف من مسائل المنطق يتردّد كثيراً في كتب الأقدمين، وينطوي عليه شعر فئة من الشعراء أيضاً، وقد صدر أبوتمام في بعض أقواله عن هذا الموقف من المنطق، مع أنه في عرف كثير من الباحثين من أصحاب المنطق، غير أن صلته بالمنطق لاتعدو كونها إفادة من منهجه وأسلوبه ليس أكثر. فهو انتهج في معالجته المعاني الشعرية أساليب الفلسفة والمنطق، ولم يكن يأخذ بروحهما أو يتعصّب لما جاء فيهما من مسائل، وليس في هذه القضية تناقض فاتّباع أسلوب الفلسفة أمر والأخذ بروح الفلسفة أو الإيمان بمسائلها أمر آخر، وآية ذلك في النحو ماثلة، فالنحاة البصريون خصوصاً تبعوا أساليب فلسفية في إرساء دعائم النحو معتمدين على البحث عن العلل والأسباب، واستنباط القواعد وشواذّها، فهذه كلها أساليب عقلية وهي قدر مشترك بين العلوم بما فيها الفلسفة، وليس النحو على أية حال فرعاً من فروع الفلسفة.

وأبو تمام كما أشرت اعتمد على مناهج الفلسفة في معالجة بعض معانيه مثل إيراد التّضادّ في شعره كقوله: (١٦)

مطرٌ يذوب الصحو منه وبعده
صحو يكاد من الغضارة يمطر

فهو يرى في الربيع اجتماع ضدّين: الصيف والشتاء، فالصيف يتراءى له في طقسه، والشتاء يتراءى له في زهره، بل إن المطر في الشتاء يحمل بين طياته الصحو

المشرق كما يحمل الصحو برطوبته غضارة المطر، وأما اعتماده على الاستدلال فيدل عليه قوله: (١٧)

لاتنكري عطل الكريم من الغنى

فالسيل حربٌ للمكان العالي

وفي البيت تمثيل أيضاً من حيث احتماله تشبيه انتفاء الغنى في شخص الكريم بتعذر جريان السيل في المرتفعات، غير أن تجريده من الغنى لايعني انعدام صفة الكرم فيه، وهذا تعليلٌ. ومن أمثلة الاستنتاج قوله: (١٨)

سَمُجَتْ ونبهنا على استسماجها

ما حولها من نضرةٍ وجمالِ

فهذا المعنى يحتمل الاستنتاج لأنه عرف ماكان عليه هذا المكان من قبح بما كان حوله وفيه جمال. ومن أمثلة القلب والعكس قوله (١٩)

رعته الفيافي بعدما كان حقبةً

رعاها وماء الروض ينهلّ ساكبه

فأسند الفعل للفيافي فقال رعته والهاء عائدة على البعير، والمألوف أن البعير هو الذي يرعى، فقلب المعنى.

وماسبق يدل على أن أباتمام عقلي الأسلوب، وهو من ثمَّ ليس منطقياً بمعنى أنه عرض في شعره لمسائل المنطق على النحو الذي نجده عند أبي نواس مثلاً(٢٠)، وقد يكون الطائي معرّضاً بالمنطق وبأصحابه أحياناً فلا يختلف موقفه عن مواقف الأدباء الذين استعدوا المناطقة، كابن قتيبة مثلاً، الذي أوردنا له شاهداً فيما تقدم.

خصوصاً أن القارئ يجد لأبي تمام شعراً ينزّه فيه ممدوحه عن أن تكون بلاغته موصولة بالمنطق، يقول: (٢١)

ثبت البيان إذا تحير قائل
أضحى شكالاً للسان المطلق
لم يتبع شَنِعَ اللغات ولا مشى
رسف المقيد في حدود المنطق
في هذه قسم الكلام وهذه
كالسور مضروباً له والخندق
أنف البلاغة لاكمن هو حائر
متلدد في المرتع المتعرّق

فأبو تمام خص بهذا المديح الحسن بن وهب، وقد أشار إلى أن بلاغته طبع وسجية فيه، ونفى عنه المنطق. قال التبريزي معلقاً على البيت الثاني: " ويروى في (حزون المنطق) المنسوب إلى أرسطاليس، وصفه بالفصاحة والمعرفة بمباني الكلام، كأنه في هذا البيت عرّض برجلٍ من الكُتّاب يتكلم في المنطق أي هو يأخذ نفسه بالكلام الفصيح السهل، لاكمن يجري كلامه على مايوجبه المنطق وحدوده "[٢٢].

وهذا إنما يدل على جانب من موقف أبي تمام من المنطق، لابل موقفه من الثقافة الأجنبية التي جاءت بها الترجمة آنذاك، ومايؤكد هذا المنحى في شعره كثرة العناصر الإسلامية عنده.

البعد الإسلامي في شعره

لاشك أن أباتمام واحد من كبار الشعراء الذين استلهموا عناصر الفكر الإسلامي حتى استحالت ركائز تدل على منحى فكري واضح في نتاجهم الشعري، وقد بدت في بعدين أساسيين الأول شكلي والآخر جوهري.

فأما الشكلي فإن الباحث بمقدوره أن يلاحظ أن أباتمام خرج على رسوم الفن الجاهلي الموروث، فهو من المحدثين الذين تجاوزوا فكرة عمود الشعر وهيكله الموروث، ومع أن هناك صعوبة في استقصاء ظواهر التجديد الشكلي جميعاً عند أبي تمام هنا، فإننا نكتفي بما يتصل بالعناصر الأسلوبية القرآنية التي أفاد منها في مطالع شعره وابتداءات قصائده، ليكون ذلك من الأمثلة الدالة على حسن تمثله الفكر الإسلامي على نطاق شكل الشعر.

فمن هذه الناحية يحسن بنا أن نعود إلى أهم النماذج الجاهلية في الشعر، أعني المعلقات لنرى أهم الصيغ الأسلوبية التي استخدمها الجاهليون في ابتداءات شعرهم، ومن ثم نشير ألى ابتداءات أبي تمام الجديدة.

وأرى من المناسب الاستعانة بجدول يحصي فواتح المعلقات السبع حسب رواية أبي بكر بن القاسم الأنباري(٢٣).

ومن خلال النظر إلى مطالع المعلقات السبع نلاحظ أنها بدأت بفعل أو حرف مما يدعو إلى القول إن الشعر الجاهلي أو أغلبه على أقل تقدير يحتذي هذه الصيغ في الافتتاح، في حين نجد أبا تمام يخرج في بعض شعره عن هذا الرسم اللغوي في الابتداء فنراه يبدأ جملة من شعره بصيغ اسمية، وذلك لاكساب مبادئ الشعر فخامة وقوة احتذاء بأساليب القرآن الكريم. فمن فواتحه الفخمة قوله: (٢٤)

الحسن جزءٌ من وجهك الحسن
يا قمراً موفياً على غُصن

وقوله: (٢٥)

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عَوارِ
فحذارِ من أسد العرين حذار

وقوله: (٢٦)

م	صاحب المعلقة	مطلع المعلقة وفاتحتها	الصيغة
١	امرؤ القيس	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	فعل أمر (قفا)
٢	طرفة بن العبد	لخولة أطلال ببرقة ثهمد ظللت بها أبكي إلى الغد	حرف جر (ل)
٣	زهير بن أبي سلمى	أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدّراج فالمتثلم	حرف استفهام (أ)
٤	عنترة العبسي	هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم	استفهام (هل)
٥	عمرو بن كلثوم	ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولاتبقي خمور الأندرينا	أداة استفتاح (ألا)
٦	لبيد بن ربيعة	عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها	فعل (عفت)
٧	الحارث بن حلزة	آذنتنا بينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يمل منه الثواء	فعل (آزنت)

الدار ناطقة وليست تنطق

بدثورها أنّ الجديد سيخلق

وقوله: (٢٧)

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

ويستطيع المرء أن يلاحظ مثل هذه الابتداءات في نحو أربعين قصيدة أو يزيد بدأها باسم صريح[٢٨]، وهذا كله - كما أشرت - إنما هو محاكاة لأساليب القرآن الكريم في افتتاح بعض الآيات الكريمة، انظر إلى فواتح السور:

الحاقّة، القارعة، الرحمن، تجد أن فواتحها كانت مثار احتذاء الشعراء وعلى رأسهم أبو تمام في العصر العباسي.

وأما من ناحية المعاني والعناصر التي تمثلها أبو تمام فإنها تتوزع على ثلاثة جوانب: الاقتباس والتأثر والتمثل.

أ- اقتباس المعاني

قد يكون مجرد اقتباس المعاني القرآنية في الشعر لايدل على شوط بالغ جازه الشاعر في تمثله جوهر الفكر الإسلامي، والإفادة منه على نحو يدل على اتجاه عام في تفكيره، غير أن الاقتباس مرحلة مهمة في طريق التأثر والتمثل، إذ الاقتباس يدل على دوران المعاني القرآنية في ذهن الشاعر، وهو الأمر الأساسي للتمثل، فمن جهة الاقتباس فقد نطقت أشعار كثيرة لأبي تمام بهذا البعد فمن ذلك قوله:[٢٩]

له خُلُق نهى القرآن عنه
وذاك عطاؤه السرف البدار

ويروى (السرف البذار) وهذا مقبوس من قوله تعالى:

﴿وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيراً﴾[٣٠] وقال أبو تمام أيضاً:[٣١]

للك في رسول الله أعظم أسوة
وأجلها في سنة وكتاب

أعطى المؤلفة القلوب رضاهم
كملاً ورد أخايذ الأحزاب

المؤلفة قلوبهم هم الذين ذكروا في آية الصدقات من سورة التوبة، منهم جماعة من قريش مثل أبي سفيان بن حرب، وأبي سفيان بن الحارث، والنضير بن الحارث، والأحزاب هؤلاء الذين تحزبوا على الإسلام في غزوة الخندق من المشركين واليهود، وقد أخذ أبو تمام معناه ولفظه من قوله تعالى:

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليمٌ حكيم﴾ (٣٢)

فهذه من اقتباسات أبي تمام وهي تغني عن الاستقصاء.

ب – التأثر

نعني بالتأثر هنا استلهام المعاني القرآنية وانعكاسها بصورة غير مقصودة في بعض مواقفه، إذْ لم يكن في ذهنه محاكاة أساليب القرآن أو الاقتباس من معانيه، وإنما قد يضطره المقام إلى الاتكاء على معاني القرآن للتمثيل على صدق معانيه الشعرية، وهناك أمثلة مختلفة تبرز هذا الجانب، نكتفي بذكر ما كان بينه وبين الكندي في مجلس أحمد بن المعتصم، فقد حدّث محمد بن يحيى عن أبيه قال: شهدتُ أبا تمام ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته التي مدحه بها:

ما في وقوفك ساعةً من باس
تقضي ذمام الأربُعِ الأدراس

فلعل عينك أن تعين بمائها
والدمع منه خاذلٌ ومواسي

أبليت هذا المجد أبعد غاية
فيه وأكرم شيمة ونحاس

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم احنف في ذكاء إياس

فانتقده الكندي فقال له: «الأمير فوق مَنْ وصفت»(٣٣) يريد أن أبا تمام لم يزد في مدحه أكثر مما يوصف به الأعراب الذين هم دون الأمير منزلة، فقال أبو تمام مستدركاً:

لاتنكروا ضـــــربي لـه مَـنْ دونـه

مـــثـــلاً شـــروداً في الندى والبـــاس

فـــاللّه قـــد ضـــرب الأقـل لنوره

مـــثـــلاً من المشكاة والنبـــراس

فهو هنا يحتذي أسلوب القرآن، لا بل يجعل من المعنى القرآني دليلاً وحجة لمعناه، أو هو إن شئت القول أنشأ معنى استوحاه من المعنى القرآني فكان معناه فرعاً وأصله في القرآن.

جـ - التمثل

تتضح جوانب التمثل الفكري عند أبي تمام في معالجته المواقف الفنية المتصلة بجانب التأمل خاصة. ويمكن النظر إلى هذه الجوانب من خلال الوقوف على فكرتين أساسيتين فكرة الموت وفكرة البطولة.

النظرة إلى الموت

لقد جرى الشعراء منذ الجاهلية على تصور وهمي للموت وقد شمل هذا التصور رؤى الشعراء بعد الإسلام، إذْ الموت طبقاً لهذا التصور يبرز على هيئة وحش مفترس لايواجه، فإذا ماأمسك بضحيته سلبها حياتها، وعندئذٍ لا تنتفع بحذرها أو بالرقي على نحو مايصوره أبو ذؤيب في قوله(٣٤):

وإذا المنيـــة أنشـــبت أظفـــارها

ألفـــيت كل تميـــمـــة لاتنفع

وكذلك صوره عنترة في قوله[٣٥]

ومن ذا يرد الموت أو يدفع القضا

وضربته محتومة ليس تعثر

في حين يصوره زهير على هيئة ناقة عمياء لاتعي هدفها وإنما تتخبط بمصائر الأحياء، يقول [٣٦]

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ولهذا ناصب الشعراء الدهر العداء لكونه قوة ترمز إلى القهر والظلم، وعلموا أن الحركة أو الزمن أو الدهر ما هي إلاّ رموز للموت، من هنا عبروا عن سخطهم وكرهم للدهر باعتباره دافعاً إلى الفناء والعدم، يقول أبونواس[٣٧]:

هو الدهر إما عابط ذا شبيبة

بإحدى المنايا أو مميت أخا هرم

فعبر بلفظ الدهر عن الموت، وكذلك رسم المتنبي للدهر (الموت) بعداً مبهماً في قوله[٣٨]:

وما الموت إلاّ سارق دق شخصه

يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

فالموت هنا لاهيئة له، وإنما جُسّد بشبح عُرف من أثره أو عمله الذي لايُردُّ، وهذا التجسيد فيه معنى يدل على القهر، لذا غدا ذم الدهر أو شتمه أمراً مألوفاً ليس عند شعراء الجاهلية فحسب، وإنما عند بعض شعراء العصر الإسلامي، وهذا المنحى فيه مجاوزة للتعاليم الدينية، وقلماالتفت شاعر إسلامي إلى هذه الناحية، وربما كان أبوتمام من أولئك القلة الذين تقيدوا في بعض أحاديثهم عن الدهر أو

الموت بالنظرة الإسلامية، فالموت عند أبي تمام قضاء عدل، وليس ذلك فحسب وإنما نراه يلوم مَنْ ذم الدهر فيقول[39]:

شـــــرقنا بذم الدهر ياسلم إنه

يسيء فـــمـــا يألو وليس بظالم

وأحيانا تراه يتحدث عن الدهر حديثاً ينجم عن تأمل وفكر، فيكون الدهر بموجب ذلك التأمل عادلاً أيضاً وإن برز في صورة ظالم يقول: [40]

مـــتى ترعَ هذا الموت عـــيناً بصـــيـــرة

تجـــد عـــادلاً منه شـــبـــيـــهـــاً بظالم

ففي هذا الشعر يغير أبوتمام زاوية النظر إلى فكرة الدهر فهو هنا يتقيد بالتعاليم الدينية، وكأنه يتعظ بقوله تعالى ﴿وقالوا ماهي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾[41].

وربما نظر أبوتمام في معانيه السابقة إلى قول النبي # خصوصاً قوله: "إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح"[42] فقال أبوتمام شعراً[43]:

إن كـــان ريب الدّهر أثكلنيـــهم

فـــالدهر أيضـــاً مـــيت مـــثكول

وفي قوله يعزي نوح بن عمر في ابنه إشارة إلى هذا المعنى من جهة انقضاء الدهر إذا خلا من الآفات أم ماحمل من غوائل وصروف[44]:

ســـيـــأكلنا ألدهر الذي غـــال من نرى

ولاتنقـــضي الأشـــيـــاء أو يؤكل الدّهر

وقد اتضحت نظرة أبي تمام إلى الدهر بعيداً عن موضوع الموت أيضاً، حيث يصور الدهر رقيقاً تتموج ظواهره ليناً ونعمة. إنها حقاً صورة نادرة تلك التي يرسمها أبوتمام للزمان وهو في غاية الجمال، يقول[٤٥]:

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر
وغدا الثرى في حليه يتكسر
سكن الزمان فلايد مذمومة
للحادثات ولاسوام يذعر

انظر إلى حواشي الدهر وهي تموج ناعمة لينة، وإلى الزمان وهو ساكن مسالم، ثم لابد إنك تجد في قوله الآتي مايبعد الدهر عن الوحشية والجبروت والظلم، إنه هنا مؤدب كما أن العقل مرشد، يقول[٤٦]:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي
أم استمت تأدبي فدهري مؤدبي

والدهر عند أبي تمام ليس شراً كلّه، وليس كريهاً أو مرعباً، فخلف أهواله تكمن الرغائب، وتتحقق الأماني[٤٧]:

ذريني وأهوال الزمان أُفانها
فأهواله العظمى تليها رغائبه

فهذه من الصور التي أشاعها أبوتمام في ديوانه، وهي بلاشك تثبت صلته بمجالات الفكر الإسلامي.

وأما فكرة البطولة التي اعتمد فيها على المنحى الإسلامي فتظهر في مدائحه الحربية عامة. إذْ رسم فيها أبو تمام صوراً رائعة للقادة الأبطال الذين أرسوا دعائم دولة الإسلام وألحقوا الهزائم بالروم أو بمن أراد التخلص من الحكم الإسلامي في

العصر العباسي. ولابد من الإشارة إلى أن المعتصم بالّله كان من النماذج الخالدة للبطولة الإسلامية، فأبوتمام في مثل هذه القصائد لم يحفل بإبراز الصفات التي درج الشعراء على استخدامها في موضوع المدح كالقوة والشجاعة وغير ذلك، وإنما برزت لديه صفات البطل الذي تتجسد فيه طموحات الأمة، وتتمثل فيه مبادئ الإسلام، وتنطوي شخصيته على تاريخ الصراع بين الإسلام والشرك، وثبوت البطل في ساحات الوغى ماهو إلاّ مؤشر على ثبوت العقيدة في نفوس المسلمين، في حين تتزعزع عقائد المنهزمين من الروم على النحو الذي يبرزه أبوتمام في قصيدة عمورية التي سجل فيها المعتصم نصراً للتوحيد، حيث جعل عمورية التي ظفر فيها المسلمون صورة أخرى لموقعة بدر، يقول مخاطباً المعتصم(٤٨):

أبقيْتَ جَدّ بني الإسلامِ في صَعَدِ
والمشركين ودار الشِّرك في صَبَبِ

وحسن منقلب تبقى عواقبه
جاءت بشاشته من سوء منقلب

تدبير معتصم بالّله منتقم
لّله مرتقب في الّله مرتغب

لم يرمِ قوماً ولم ينهدْ إلى بلد
إلاّ تقدّمه جيش من الرعب

انظر كيف يجعل من المعتصم رمزاً يصعد به الإسلام، وتنخسف الأرض في الوقت نفسه بالشرك والمشركين. إن المعتصم هنا صورة مشرقة تختزل ثقافة الأمة وعقيدتها، وعمورية التي ظفر فيها المسلمون هي صورة أخرى لموقعة بدر. يقول:

إن كان بين مرور الدهر من رحم
موصولة وذمامٍ غير مقتضب

فــبين أيامك اللائي نصـــرت بهـــا

وبـين أيـام بـدرٍ أقـــــرب الـنـسـب

ومثل هذه الصورة البطولية المقترنة بالعقيدة والإيمان نجدها في قصيدة أخرى تحدث فيها عن المعتصم الذي سحقت جيوشه بابك الخرمي حيث يقول[٤٩] :

آلـت أمـــور الشـــرك شـــرّ مـــآل

وأقـــرّ بعــد تخــمط وصـيــال

غـضب الخليـفـة للخـلافـة غـضـبـة

رخـصت لهـا المهـجـات وهي غـوال

فـــاسلم أمـيــر المؤمنين لأمـــةٍ

أبدلتــهـــا الإمـــرع بالإمـــجـــال

أمـــسى بك الإســـلام بدراً بعـــدمـا

مـحـقت بشــاشتــه مـحــاق هلال

أكـــملت منه بعـــد نقص كل مـــا

نقـصـتـه أيدي الكفـر بعـد كـمـال

ففي مثل هذا الشعر العميق دلالة على انحياز أبي تمام إلى الفكر الإسلامي، وحسن تمثله جوهر الثقافة الإسلامية، وتحسن الإشارة إلى أن هذا النمط من المدائح عند أبي تمام وعند من تبعه من الشعراء كالمتنبي في وصف بطولات سيف الدولة في معركة الحدث خاصة، مختلف عن المدائح العامة المعروفة في شعرنا، وقد يكمن هذا الاختلاف في الشكل والمضمون معاً، فأما الشكل فقد استغنى الشعراء في مثل هذه القصائد عن ظاهرة المقدمات التقليدية من طلل أو نسيب، واختاروا مقدمات تناسب الحدث الذي تناولوه في الموضوع، فاتصلت قصائدهم بالحكمة، غير أنها

حكمة ليست مقصودة بذاتها، وإنما غرضها تهيئة ذهن السامع لتقبل الحدث في موضوع بالغ كوصف المعارك.

وأما من ناحية المضمون فقد تميزت هذه القصائد بأنها ذات نفس ملحمي، فقد عني فيها أبو تمام خاصة بتصوير مشاعر الجماعة، ورسم فيها طموحات الأمة المتجسدة في صور أبطالها، ورفع من قيمة الانتصار الذي هو انتصار للعقيدة قبل كل شئ.

الخاتمة

رأينا فيما تقدم أن أبا تمام واحد ممن اعتمدوا على كثير من المعاني الإسلامية في شعره، وهذه المعاني تدل على حضور الثقافة الإسلامية في ذهنه، غير أن تلك المعاني لم تكن على كثرتها في حال من الأحوال قد ذهبت ببشاشة شعره، فقد بدا الفكر في هذه الأمثلة يلوح وراء وشاح الفن، فيكسب الشعر عمقاً ويضعه بجانب الأصالة التي من شأنها أن تتمسك بثقافة الأم وتلتزم بعقيدتها، وفي الأمثلة التي عرضناها في هذا البحث مايدل على تأكيد هذه الحقيقة.

الهوامش

١ - ابن سلام، محمد (طبقات فحول الشعراء)، تح: محمود شاكر ص: ٢١.
٢- سورة يس: ٦٩.
٣ - سورة الشعراء: ٢٢٤-٣٣٧.
٤ - ترحيني، فايز (الرسلام والشعر) ط دار الفكر بيروت ١٩٩٠م ص: ٩١.
٥ - ترحيني، فايز، المرجع السابق ص: ٩٤.
٦ - ابن سلام، محمد (طبقات فحول الشعراء) ص: ٢٧.
٧ - ابن سلام، محمد، المصدر السابق ص: ٢٩.
٨ - ابن أبي طاهر، أحمد (كتاب بغداد) ط القاهرة ١٩٤٩م ص: ٨٧.
٩ - الأصفهاني، أبوالفرج (الأغاني) ط مصورة عن ط دار الكتب: ١٠/ ٨٢.
١٠ - الأصفهاني، أبوالفرج، المصدر السابق.

١١ – ابن منظور، محمد (أخبار أبي نواس) ملحق كتاب الأغاني ط دار الفكر ص: ٢١.
١٢ – أبوتمام (شرح ديوانه للخطيب التبريزي) تح: محمد عبده عزام ط دار المعارف: ١/ ٢١٤.
١٣ – أبوتمام (ديوانه): ١/ ١٠٥.
١٤ – ابن قتيبة (أدب الكاتب) ص: ٨.
١٥ – أبوتمام (ديوانه): ٢/ ١٩١.
١٦ – أبوتمام (ديوانه): ٣/ ٨٧.
١٧ – أبوتمام (ديوانه): ٢/ ١٣٢.
١٨ – أبوتمام (ديوانه): ١/ ٧٨.
١٩ – انظر: ترجمة أبي نواس في الشعر والشعراء لابن قتيبة، وقد أحصى معانيه الفلسفية: ٢/ ١١٤.
٢٠ – أبوتمام (ديوانه): ٢/ ٤٠٦.
٢١ – أبوتمام (ديوانه): ٢/ ٤٠٧.
٢٢ – الأنباري، أبوبكر محمد بن القاسم (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) تحقيق عبدالسلام هارون ط٢.
٢٣ – أبوتمام (ديوانه): ٤/ ٢٨١.
٢٤ – أبوتمام (ديوانه): ٢/ ١٩٨.
٢٥ – أبوتمام (ديوانه): ٤/ ٢٦٩.
٢٦ – أبوتمام (ديوانه): ١/ ٤٠.
٢٧ – انظر: ديوان أبي تمام: ١/ ٤٥-١١٣-٢٨٧-٢٩٦-٤١٠-٢/ ١٣٦-١٩٨-٢١٤-٢٧٦-٣٠٣٩٤/ ١٥٠-٤/ ٧ ٢٦-٢٥٤-٢٧٤-٢٩٥-٢٥٣-٢٦٨-٣٨٤-٤٤٦-٤٩٢٤٢٥-٥١٨...
٢٨ – أبوتمام (ديوانه)٢/ ٦٢٥.
٢٩ – سورة الإسراء: ٢٦.
٣٠ – أبو تمام (ديوانه): ١/ ٧٥.
٣١ – سورة التوبة: ٦٠.
٣٢ – الصولي (أخبار أبي تمام) تح: محمد عبده عزام ط دار الآفاق بيروت ص: ٢٣٠.
٣٣ – شرح أشعار الهذليين: ٦٤.
٣٤ – عنترة (ديوانه): ١١٧.
٣٥ – ابن أبي سُلمى، زهير (ديوانه): ٣٤.
٣٦ – أبونواس (ديوانه) تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي ط بيروت ص: ٣٦٢.

٣٧ – المتنبي (ديوانه) بشرح البرقوقي : ٣/ ١٧٥ .
٣٨ – أبو تمام (ديوانه) : ٤/ ١٣٠ .
٣٩ – أبو تمام (ديوانه) : ٤/ ١٣٥ .
٤٠ – سورة الجاثية : ٣٤ .
٤١ – ابن حنبل أحمد (مسنده) : ٢/ ٣٩٥ .
٤٢ – رواه البخاري في تفسيره سورة مريم : ٨/ ٣٢٥، وفي صحيح مسلم : ٢٨٤٩ .
٤٣ – أبو تمام (ديوانه) : ٤/ ١٨٧ .
٤٤ – أبو تمام (ديوانه) : ٤/ ٨٦ .
٤٥ – أبو تمام (ديوانه) : ٢/ ١٩١ .
٤٦ – أبو تمام (ديوانه) : ٤/ ١٥٠ .
٤٧ – أبو تمام (ديوانه) : ١/ ٢١٩ .
٤٨ – أبو تمام (ديوانه) : ١/ ٤٠ .
٤٩ – أبو تمام (ديوانه) : ٣/ ٨٤ .

نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي

أ. خالد بن عبدالكريم البكر
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

الملخص

تطمح هذه الدراسة إلى رصد نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي ومناقشة مدلولاته، وانعكاساته على واقع الصراع الإسلامي - الوثني وقتذاك.

لقد دعا الإسلام إلى الحق، ولكن لاحق بغير قوة، بغير مجاهدين صادقين، يرون أنفسهم في الحرب منتصرين على كل حال، فإنما هي إحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة، تلك هي نظرتهم للجهاد، وذلك هو سر العبقرية العسكرية الإسلامية التي أذهلت المؤرخين والكاتبين والقارئين حتى يومناهذا.

لم يكن التفوق العددي هو السلاح النافذ الذي انتصر بواسطته المسلمون على أعدائهم، كلا؛ وإنما كان النصر بتطبيق تعاليم الإسلام الحنيف نصاً وروحاً، وكان النصر بإعداد المجاهد الصادق الذي لايلتفت إلى المديح أو المغنم وإنما يرنو إلى الثناء في الملأ الأعلى وإلى الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله.

ومن أجل إعداد المجاهدين الصادقين؛ نلاحظ أن الرسول ﷺ قد وضع قواعد لتنظيم الجيش الإسلامي، وهو لايزال بعد في طور التكوين، فألغى جميع الاعتبارات القبلية والاجتماعية والمادية التي قد تدعو غير المسلمين إلى مباشرة القتال مع صفوف المسلمين، لكنه أبقى الباب مفتوحاً أمامهم بشرط واحد؛ هو اعتناق الإسلام.

وأعتقد أننا في غنى عن إيضاح مدى الحاجة الماسة لتكثير سواد المسلمين، وخصوصاً في الفترة المبكرة التي أعقبت استقرارهم بالمدينة، لقداستغرق إعداد الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية وقتاً طويلاً واستنزف جهداً كبيراً، فكان الرسول ﷺ يعمل على جبهات متعددة من أجل تحقيق هذه الغاية، فهو يبدأ أولاً بالمسلمين؛ فيحثهم على الصبر والثبات عند اللقاء بغض النظر عن كثرة جموع المشركين وقلة أعداد المسلمين، ثم يعمل - عليه السلام - جاهداً في تبليغ رسالة ربه، فيدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكلما دخل في الإسلام فرد أو جماعة انعكس ذلك إيجابًا وعلى قوة الجيش الإسلامي.

وأمرٌ ثالث اعتنى به الرسول ﷺ وهو إيجاد صيغة للتفاهم مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة بغرض استمالتها إلى جانب المسلمين أو تحييدها على أقل تقدير، فعقد سلسلة من (الموادعات) مع بعض هذه القبائل ولم يكتف الرسول الأعظم عليه السلام بذلك؛ بل نجده يولي عناية كبيرة بالناحية المعنوية لدى أفراد الجيش الإسلامي، فكان يتخذ في كل مناسبة عسكرية مايلائمها من الإجراءات الهادفة إلى دعم ثقة المسلمين بالله وثقتهم بأنفسهم، وفي المقابل حرص النبي ﷺ على التأثير في معنويات الخصوم وتفريق جموعهم، متى وجد المسلمون إلى ذلك سبيلاً.

بعد سنوات طويلة من الأذى والمشقة التي لقيها المسلمون من أئمة الكفر بمكة؛ شاء الله تعالى أن يفتح لعباده المؤمنين من أبواب رحمته وأن يمكن لهم في الأرض، فجاءت بيعة العقبة الثانية في موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة [1] - يونيو

٦٢٢-، بمثابة نصر عظيم للمسلمين ومنعطف هام في طريق الدعوة الإسلامية، وعندئذ أمر النبي ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، قائلاً: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»[٢].

لقد كانت الهجرة إلى المدينة تعني من الناحية العسكرية؛ حشد المجاهدين في قاعدة أمينة، تمهيداً للنهوض بأعباء الجهاد[٣].

هاجر السابقون الأولون، وركبوا الذلول والصعب في سبيل الله، ولم تكن أعدادهم، فيما يبدو، تتجاوز المائة رجل - دون النساء-، فقد تتبع (ابن إسحاق)[٤] منازل المهاجرين على إخوانهم من الأنصار في المدينة، وَسمَّي واحداً وستين رجلاً من المهاجرين، ثم أشار - دون أن يصرح بالاسم - إلى (رجال من المهاجرين)[٥] نزلوا على سعد بن خيثمة[٦]، وكان رجلاً عزباً، ولذا فقد خصص داره لاستقبال الأعزاب من المهاجرين[٧].

أما الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، فيبلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً[٨]، لكنهم لايمثلون جميع المسلمين من أهل المدينة، وآية ذلك أن قسماً من الأنصار لم يستطع التعرف على رسول الله ﷺ حال وصوله المدينة، ولا أن يميز بينه وبين أبي بكر #، فقال قائلهم في هذا: «وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك»[٩]. ويؤيد ذلك أيضاً مارواه (الطبري)[١٠] من أن الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة إنما هم من النقباء رؤوس الذين أسلموا بالمدينة.

ليس في مقدورنا أن نعطي رقماً محدداً لأعداد المسلمين في المدينة من المهاجرين والأنصار عقب حادثة الهجرة مباشرة، غير أنه من المرجح أن أعدادهم كانت تربو على المائتي رجل، وربما ارتفع هذا الرقم خلال الأشهر التالية لعملية الهجرة، إذا أخذنا في الاعتبار استمرار تفق المهاجرين على المدينة من مختلف النواحي وخصوصاً من مكة، فهناك بعض المسلمين بمكة لم يتيسر لهم الخروج إلى

المدينة، فتخلفوا عن الهجرة لعدة أشهر، وتأخرت هجرة بعضهم لعدة سنوات، ولم يكن أمامهم إلا مصانعة زعماء قريش وإظهار عزوفهم عن الإسلام، لكنهم ظلوا خلال هذه المدة التي أمضوها بمكة يرقبون الفرص الملائمة للخروج، فكانوا يخرجون مع القوافل التجارية والحملات العسكرية التى تجردها قريش، حتى إذا صارت قريباً من سرية إسلامية أو معسكر إسلامي؛ تسللوا من معسكر قريش ولحقوا بإخوانهم المسلمين، فقد ذكر (ابن إسحاق)[١١] أن عبيدة بن الحارث[١٢] خرج على رأس سرية إسلامية في شوال سنة ١هـ، ولقي جمعاً من قريش إلا أنه لم يكن بينهم قتال، وأشار إلى أبرز الأحداث التي جرت في هذه السرية ومنها فرار المقداد بن عمرو[١٣] وعتبة بن غزوان[١٤] من المشركين إلى المسلمين «وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار».

ولعل هذا الأسلوب الجديد في الهجرة الذي استعمله المقداد وعتبة قد شجع بعض المسلمين بمكة على الهجرة بهذه الطريقة، فهذا عبدالله بن سهيل بن عمرو[١٥] يخرج مع قريش إلى بدر، وقد أظهر للمشركين أنه رجع عن دينه، فلما التقى الجمعان فرّ عبدالله إلى معسكر المسلمين وشهد بدراً معهم[١٦].

أما بالنسبة للإنصار فقد كان موقفهم من الإسلام، عقب حادثة الهجرة، موقفاً متبايناً، نستطيع أن نوجزه فيما يلي: -

١- السواد الأعظم من الأنصار اعتنق الإسلام برضا نفس وهدوء بال.

٢- قسم منهم: وجدوا أنفسهم في وضع حرج بعد إسلام قومهم، فهم إما أن يبقوا على كفرهم فتلفظهم مجتمعاتهم وأقوامهم، وربما يتعرضون للعقاب لاحقاً، وإما أن ينتموا للدين الجديد، وهو لم يجدوا في أنفسهم انفتاحاً على تعاليم الإسلام ومبادئه، فرأوا أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو إعلان إسلامهم ظاهراً والاحتفاظ باعتقاداتهم وممارساتهم الجاهلية باطناً، وهؤلاء هم (المنافقون)[١٧].

٣- قسم ضئيل منهم: تمسك بكفره ولم يدخل في الإسلام إلا بعد مدة مضت من الهجرة المباركة، ومن هؤلاء (بنو خطمَة)[١٨]، فقد كان القسم الأعظم منهم

على الكفر، إذ روى (الواقدي)[١٩] أن رجالاً من بني خطمة كانوا يستخفون بالإسلام فرقاً من قومهم، كما أشار (ابن حزم)[٢٠] إلى ذلك بقوله " (وتأخر إسلام جمهور بني خطمة». ومما يؤيد ذلك أنه لم يشارك في غزوة بدر الكبرى أحد من بني خطمة[٢١] إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فقد بذل الأنصار جهوداً مستمرة لإقناع قومهم من المنافقين (المعروفين بنفاقهم) والكافرين، في تصحيح عقائدهم، والإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول ﷺ.

كما كان للمسلمين عموماً جهود واضحة في دعوة اليهود للإسلام، ولقد أتت هذه الجهود بنتائج مثمرة انعكست إيجاباً على نمو القوة العسكرية الإسلامية، خاصة وأن المسلمين كانوا معنيين في هذه الفترة المبكرة من تاريخهم بإبراز كيانهم السياسي في المدينة وتأكيد وجودهم العسكري فيها. ولذا فقد اتخذ الرسول ﷺ جملة من التدابير لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، وتذليل العقبات التي قد تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من خلال بناء قوة عسكرية رادعه.

والواقع أن الرسول ﷺ قد أنفق جُل وقته منذ هجرته إلى وفاته، في تكوين الجيش الإسلامي وإعداده، وذلك لتحقيق الأهداف العليا لرسالة الإسلام الخالدة.

ونسطتيع القول بأن تكوين الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية قد مرَّ بثلاث مراحل زمنية مختلفة، وهي:-

المرحلة الأولى: من الهجرة إلى الخندق،

المرحلة الثانية: من الخندق إلى فتح مكة.

المرحلة الثالثة: من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ.

فما مدى نمو الجيش الإسلامي في كل مرحلة منها، ومادلائل هذا النمو في الواقع التاريخي؟

المرحلة الأولى: (من الهجرة إلى الخندق) ١-٥هـ

في السنوات الأولى من هذه الفترة؛ لم تكن أعداد المسلمين القادرين على حمل السلاح تصل إلى الألف مقاتل - فيما يبدو -، وعلاوة على ذلك فإنه يجدر بنا أن نتنبه إلى أن المقاتلين المسلمين لم يشاركوا جميعاً في المعارك الكبرى خلال هذه الفترة، وخاصة (بدراً وأحداً)، فالقوه الإسلامية التي خاضت هاتين المعركتين لاتمثل حقيقة القوة العسكرية الإسلامية وقتئذ، ففي غزوة بدر الكبرى كانت أعداد المسلمين تقدر بـ(٣١٣) مقاتل، تقريباً، غير أن قسماً من المسلمين قد تخلّف عن هذه الغزوة، لأنه لم يكن في حسبانهم أن يلقى المسلمون حرباً في وجههم هذا. أضف إلى ذلك أن الصرورة الاجتماعية اقتضت عدم خروج كل الرجال في الأسرة الواحدة إلى ساحة القتال، خاصة إذا كانت الأسرة تتألف من عدد كبير من النساء، فيقترع الأب وابنه ليخرج أحدهما مع النفير ويبقى الآخر عند نسائه، وقد حدث مثل ذلك في بدر مع سعد بن خثيمة ووالده، إذ كان الوالد يقول لابنه: (آثرني وقر مع نسائك)، فيجيبه الابن: «إنه لو كان غير الجنةآثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا»، فاستهما فخرج سهم سعد وقتل شهيداً في المعركة[٢٢].

وعلى الرغم من قلة أعداد المسلمين يوم بدر وحاجتهم إلى المقاتلة، إلا أن الرسول ﷺ لم يأذن لغير المسلمين في المشاركة في القتال، فقد خرج خبيب بن يساف[٢٣] وقيس بن مُحرِّث[٢٤] - وكانا مشركين - في أثر الجيش الإسلامي عندما توجه إلى بدر، فأدركا المسلمين ببعض الطريق، وأبديا رغبتهما في المشاركة في القتال لأسباب قبلية ومادية، لكن النبي ﷺ اشترط عليهما الإسلام قائلاً: «لايخرجنَّ معنا رجل ليس على ديننا»فأسلم خبيب وشهد بدراً، وعاد زميله قيس بن محرِّث إلى المدينة فلم يشهد بدراً، لكنه أسلم فيما بين بدر وأحد[٢٥].

أما في أحد فقد ارتفعت أعداد المسلمين حتى وصلت إلى (٧٠٠) مقاتل شاركوا في هذه الغزوة- بعد انسحاب ثلث الجيش مع عبدالله بن أبي[٢٦]-، وهذه الزيادة الملحوظة في أعداد الجيش الإسلامي في أحد مردُّها إلى أن المسلمين كانوا

على بيّنة تامة من لقاء العدو بخلاف ماحدث في غزوة بدر، وبالتالي فقد أوعبوا واستعدوا جميعاً للقتال، ومع هذا فقد روعيت الظروف الخاصة لبعض البيوتات المسلمة التي تكثر فيها نسبة النساء، إذ روى (ابن إسحاق)[٢٧] أن عبدالّله بن عمرو بن حرام[٢٨] خلّف ابنه جابر[٢٩] على أخواته السبع، فلم يشارك مع المسلمين في أحد.

لقد كانت قريش تتطلع إلى الانتقام من المسلمين والثأر لقتلاها يوم بدر، ولذا حرصت على تأمين فرص النجاح للمنازلة الحربية القادمة مع المسلمين، فأرسلت مندوبيها إلى القبائل العربية في الحجاز وتهامة تدعوهم لمشاركتها في حرب المسلمين[٣٠]، فجمعت قوة تقدر بثلاثة آلاف مقاتل[٣١]، وحينما لاحظ المسلمون أن قريشاً استعانت هذه المرة بأحابيشها وحلفائها، اقترح بعض الأنصار على رسول الّله ﷺ أن يأذن لهم في الاستعانة بحلفائهم من اليهود، ولكن الرسول ﷺ يؤكد موقفه الصريح في هذه المسألة: «لاحاجة لنا فيهم»[٣٢].

لقد تجلت حكمته ﷺ وبعد نظره في عدم الاستعانة بغير المسلمين في العمليات الجهادية، فلئن كانت قريش قد سعت إلى زيادة عدد جيشها عن طريق الاستعانة بحلفائها وبغيرهم من (المرتزقة)؛ فلا يعني ذلك أن يقوم المسلمون بعمل مماثل لزياة أعداد جيشهم عن طريق تجديد حلف عرب المدينة مع يهودها، صحيحٌ أن نمو القوة البشرية في الجيش الإسلامي كان يقابلها باستمرار نمو واضح في القوة البشرية لجيوش أعدائهم، إلا أن هناك اختلافا واضحاً بين مدلول النمو البشري في جيش المسلمين ونظيره في جيش المشركين، ففي الجانب الإسلامي يدل هذا النمو على نجاح المسلمين في كسب المزيد من المقاتلين إلى جانبهم، وليس ذلك إلى أجل مسمى أو إلى مدة زمنية معلومة أو لقاء أجر مادي يتقاضاه هؤلاء المشاركون في غزوات المسلمين ثم ينتهي كل شيء بنهاية المعركة وبعدها يعودون من حيث أتوا؛ وإنما هو الإيمان العميق برسالة الإسلام الخالدة، والعمل على أن تكون كلمة الّله

هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والثقة بموعود الله تعالى وما أعده للمجاهدين في سبيله من الأجر وحسن الثواب.

وأما مدلول النمو البشري في جيش المشركين فعلى النقيض تماماً مما عرضناه آنفاً.

فقد اشتبكت قريش مع قوات المسلمين في ثلاث مواجهات حاسمة خلال هذه المرحلة كان التفوق العددي لصالح المشركين في كل مرة، ففي بدر بلغ عدد المشركين (١٠٠٠) مقاتل، بينما كان عدد المسلمين (٣١٣) مقاتل، وفي أحد جمعت قريش (٣٠٠٠) مقاتل، بينما بلغت أعداد المسلمين (٧٠٠) مقاتل، وفي الخندق شكلت قريش حلفاً وثنياً بقيادتها فوصلت أعدادهم إلى (١٠٠٠٠) مقاتل، بينما قُدِّرت أعداد المسلمين بنحو (٣٠٠٠) مقاتل، فماذا كانت النتيجة؟

انتصر المسلمون نصراً حاسماً في بدر، وكادوا يُنصرون في أحد لكنهم خسروا المعركة لصالح قريش التي قنعت بهذا الانتصار (البارد)، ثم حقق المسلمون نصراً استراتيجياً مهماً في الخندق.

هذه هي النتائج القريبة أو المباشرة الدالة على حكمة الرسول ﷺ في منع غير المسلمين من المشاركة في الغزوات الإسلامية، أما النتائج البعيدة أو (غير المباشرة) فتتمثل في اختلاف تركيبة الجيش الإسلامي عن تركيبة جيش المشركين، ففي الأول ينتظم الجنود جميعاً تحت إمرة رجل واحد، ويقاتلون صفاً واحداً لتحقيق أهداف واحدة، وذلك أدعى أن يكون النصر قريباً منهم. أما جيش المشركين فيتألف من عدد من الأحلاف والراغبين في المغنم، يقاتلون تحت قيادات مختلفة ولغايات متضاربة ومآرب متنوعة، فلاعجب إذن أن تفشل قريش ومن سار في ركابها في حربهم ضد الإسلام، حتى وإن كان التفوق العددي لمصلحة جيوشهم، ولهذا لم يسمح الرسول ﷺ للمشركين واليهود بالمشاركة في الأعمال العسكرية الإسلامية، رغم افتقار الجيش الإسلامي للموارد البشرية اللازمة لتكوين قوة رادعة، إذ أن فكرة الاستعانة بغير المسلمين في هذا الميدان عبارة

عن حلول (ترقيعية) من شأنها أن تجعل حاجة المسلمين إلى غيرهم شبه مستديمة، وبالتالي فإن نشاط المسلمين في الدعوة إلى الإسلام قد يعتريه الكسل وربما الشلل. ثم إن مثل هذه الحلول لاتتناسب إطلاقاً مع المطلب الرباني العظيم الذي كان رسول الله ﷺ يعمل جاهداً لإتمامه.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا التساؤل: إذا كانت القيادة الإسلامية قد استبعدت فكرة الاستعانة بغير المسلمين في أعمالها العسكرية؛ فهل يعني ذلك أن المسلمين قد أخذوا دور المتفرج على قريش وهي تحشد الجموع وتؤلب القبائل العربية الحرب الإسلام؟

والجواب عن ذلك هو النفي. فالمسلمون قد أخذوا زمام المبادرة، في الواقع، منذ وقت مبكر من استقرارهم بالمدينة(٣٣)، فقاموا ببث السرايا إلي النواحي القريبة منهم، ولعلهم كانوا يتوجسون من قيام قريش بإغراء هذه القبائل لمهاجمة المدينة أوالانضمام إلى معسكر قريش في حرب الإسلام، فقرروا - أي المسلمون - أن يحتاطوا لأنفسهم بواسطة السرايا والبعوث الإسلامية، ولم تكن الدعوة إلى الإسلام في أولوية الأهداف التي جُردت السرايا من أجلها، وإنما كان لهذه الرحلات العسكرية أغراض أخرى تتمثل في عرقلة النشاط الاقتصادي لمكة من خلال اعتراض قوافلها التجارية، والتلويح بالقوة العسكرية للأعراب المقيمين حول المدينة، ثم كسب ود القبائل العربية القاطنة قرب المدينة وعلى طريق مكة، وبعض القبائل المقيمة على امتداد ساحل البحر، فإن لم يكن ذلك ممكناً فلا أقل من موادعتها وتحييدها.

والحق أن القيادة الإسلامية كانت من الحكمة والحصافة بحيث لم تشتط في دعوة هذه القبائل إلى الإسلام خلال هذه المرحلة، ولذا فقد أصاب المسلمون من جرَّاء هذه السريا والبعوث خيراً عظيماً، نلمسه في هذا النص الذي أورده (الواقدي)(٣٤) في حديثه عن سرية القرَدَة في جمادى الآخرة، سنة ٣هـ، إذ روى عن صفوان بن أمية(٣٥) قوله:

(إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه).

وهنا يتضح أن موادعة القبائل العربية كانت خياراً استراتيجياً جيداً، أكثر نفعاً وأعظم غناءً من فكرة الاستعانة بغير المسلمين في المجال العسكري.

أشرنا من قبل إلى ارتفاع نسبة الجيش الإسلامي في غزوة الخندق إلى (٣٠٠٠) مقاتل، إلا أنه يلزمنا استعمال الحيطة والحذر في تحليل هذه الزيادة في الجيش الإسلامي، فهي لاتعني بالضرورة سرعة انتشار الإسلام ومن ثم مشاركة المسلمين الجدد في هذه الغزاة؛ بقدر ماتعني اختلاف طبيعة غزوة الخندق عن سابقتيها (بدر وأحد)، ففي الغزوتين الأوليين كان الجيش الإسلامي يقاتل خارج المدينة، وبالتالي فقد كان يخرج القسم الأعظم من الناس ويبقى قسم ضئيل منهم لحراسة المدينة ومن فيها من النساء والذرية والأمتعة ونحوها، ويستعمل عليهم رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه.

أما في الخندق فقد قاتل المسلمون داخل حدود مدينتهم، ولذا فقد اشتركوا فيها جميعاً ولم يبقى أحد منهم في البيوت، ويؤيد ذلك أن صفية بنت عبدالمطلب[٣٦] - $ -حينما قتلت رجلاً من اليهود كان يطوف حول حصنهم؛ قالت: «وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا»[٣٧].

ولهذا حرص النبي ﷺ على إرسال فرق عسكرية لحراسة المدينة - مناوبة-، وذلك لتخويف اليهود بعد أن نقضوا عهدهم، وإشعارهم بقوة المسلمين، فتارة يخرج سلمة بن أسلم الأشهلي[٣٨] في (٢٠٠) رجل، وتارة أخرى يخرج زيد بن حارثة[٣٩] في (٣٠٠) رجل، فيظهرون التكبير في أرجاء المدينة حتى الصباح[٤٠].

لقد أدرك النبي ﷺ قلة أعداد الجيش الإسلامي بالنسبة للمشركين، خلال هذه المرحلة، فكان عليه أن يواجه هذه المشكلة بجملة من التدابير لعل من أهمها: الدعاء[٤١] والتضرع إلى الله جل جلاله بنصر عباده المؤمنين، ففي يوم بدر دعا ربه قائلاً: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد»[٤٢].

ثم نزلت الآيات القرآنية تهوّن على المسلمين من شأن كثرة جموع أعدائهم وتحثهم على الصبر والثبات، فقال تعالى ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾. الأنفال – الأية(٦٥)

وقال تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، وإلى الله ترجع الأمور﴾الأنفال الآية (٤٤).

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب؛ بل اجتهد المسلمون في الكتابة إلى إخوانهم المقيمين بمكة يحرضونهم على المسارعة في الهجرة إلى المدينة(٤٣)، وذلك لتكثير سواد المسلمين من جهة؛ وحتى يتعلموا شرائع الدين من جهة ثانية(٤٤).

ثم ركز النبي ﷺ على رفع الروح المعنوية للمسلمين وعلى إظهار قوتهم وشدة بأسهم أمام العدو، فبعد هزيمتهم في أحد قال النبي ﷺ لأصحابه: «لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن»(٤٥)، وذلك ليزرع الأمل في نفوس أصحابه بأن الأيام القادمة ستحمل في طياتها بشائر النصر للمسلمين. ثم تتبع جيش المشركين إلى حمراء الأسد(٤٦) وأمر بإيقاد النيران فيها لإشعار العدو بأن الجيش الإسلامي لايزال قادراً على المنازلة.

ويأتي تذليل العقبات التي تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من جملة التدابير التي اتخذتها القيادة الإسلامية لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للمسلمين، وقد بادر المسلمون بتنفيذ هذه السياسة بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة، فعملوا على التخلص ممن يحرض ضد المسلمين ويؤلب عليهم الجموع من الزعماء والشعراء(٤٧)، ودعماً لهذا الاتجاه نلاحظ أن السرايا والحملات العسكرية لم تعد تقنع بمجرد عقد (الموادعة) مع التكتلات القبلية، بل أخذت تنص صراحة على ضرورة التزام زعماء القبيلة بعدم المظاهرة على المسلمين وتكثير جموع أعداء الإسلام(٤٨).

المرحلة الثانية (من الخندق إلى فتح مكة) ٥-٨هـ

أعلن النبي ﷺ في بدء هذه المرحلة بأن النشاط المستقبلي للمسلمين سيتخذ طابع الهجوم، وأن المسلمين قد تخلصوا من ضعفهم القديم، وذلك في قوله ﷺ «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم»(٤٩)، وذلك عقب فشل الأحزاب في اقتحام المدينة، رغم الحشود التي استطاعت قريش أن تسوقها نحو توجيه ضربة قاصمة للمسلمين.

والواقع أن قريشاً كانت تسعى من وراء تحزيب الأحزاب إلي خلق خصومات ومنازعات ثأرية بين المسلمين وبين القبائل العربية الأخرى، فيكتسب المسلمون خصوماً جدداً ويقاتلون على جبهات متعددة، وعلاوة على هذا فإن قريشاً سوف تلقي عن كاهلها عبء قتال المسلمين، فلا يقع هذا الأمر عليها وحدها، بل يشاركها فيه قوم آخرون، فتتفرغ قليلاً لاستئناف نشاطها التجاري بدرجة قوية.

وأمام هذه الحشود الضخمة التي تقدر بعشرة آلاف مقاتل(٥٠)؛ حاول المسلمون إيجاد ثغرات في معسكر المشركين، مستهدفين كسر هذا التحالف الوثني - اليهودي، فعرض النبي ﷺ على زعماء غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل الانسحاب، وكاد يتم الاتفاق لولا معارضة الأنصار، بعد أن شاورهم النبي ﷺ في الأمر(٥١).

وتظل فكرة كسر هذا التحالف وتفكيك هذه الجموع قائمة في ذهن رسول اللّه ﷺ، الذي استثمر فرصة إسلام نعيم بن مسعود(٥٢) استثماراً جيداً، واستفاد منه في التخذيل بين الأحزاب(٥٣).

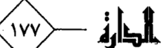
ثم يأتي تطهير المدينة من يهود بني قريظة، الذين نكثوا عهودهم مع المسلمين، كخطوة أولى في رسم السياسة الإسلامية الجديدة والتي ستأخذ بزمام المبادرة في نشاطاتها ضد المشتركين، إذ ستخرج الحملات العسكرية من المدينة بثقة واطمئنان، فلايدع المسلمون وراءهم من يخافون شره على مدينتهم ومن فيها.

وتأتي الخطوة الثانية عندما بعث النبي ﷺ طائفة من سبي بني قريظة مع نفر من أصحابه إلى الشام وإلى نجد لبيعهم وشراء سلاح وخيل(٥٤)، وذلك لاستيعاب المجاهدين الجدد ولتلبية الحاجات المتزايدة للجيش الإسلامي ولتنفيذ النزعة الهجومية في العمليات العسكرية القادمة للمسلمين.

لقد كان النبي ﷺ يتلقى أخبار مسير المشركين - وخاصة قريشاً - إلى قتاله، إما بواسطة مسلمي مكة، وإما بواسطة زعماء قبيلة خزاعة - وكانت عيبة نصح الرسول ﷺ -، وقد حدث هذا في أحد والخندق(٥٥)، وأما فيما بعد؛ فقد حرص المسلمون على مباغتة أعدائهم كلما سمعوا بجمع للمشركين يُعد ويهيأ للغارة على المدينة، ولذا فقد جُردت السرايا بعد الخندق واتخذت طابع السرعة والمفاجأة، حتى لايتكرر تخزيب الأحزاب ضد المسلمين مرة ثانية.

وتأكيداً على هذا الدور الهجومي يخرج النبي ﷺ إلى مكة معتمراً في ذي القعدة سنة ٦هـ، وذلك للمرة الأولى منذ هجرته عليه السلام، وكان عدد المسلمين يتراوح من ١٤٠٠ - ١٧٠٠(٥٦)، وهو لايمثل - بالطبع - حقيقة أعداد الجيش الإسلامي في هذه الفترة؛ لأن النبي ﷺ خرج في هذه الوجه معتمراً لايريد حرباً، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ أن عناصر إسلامية جديدة التحقت بالجيش الإسلامي في هذه المناسبة، فقد شاركت قبيلة أسلم بمائة مقاتل(٥٧)، أي بنسبة ٧٪ تقريباً من المجموع العام للجيش الإسلامي، كما نلاحظ أيضاً أن النبي ﷺ استنفر قبائل عربية أخرى وحثها على الخروج معه، مثل بني بكر من كنانة، ومزينة، وجُهينة(٥٨)، ونخرج من ذلك بمؤشرات قوية تدل على بدء التغيير في مواقف القبائل العربية تجاه الإسلام، وسيكون لهذا الأمر أثرٌ عظيمٌ في تبدل ميزان القوى في الصراع الإسلامي - الوثني، ولصالح المسلمين بطبيعة الحال.

ولئن كانت قريش ترى بأنها أحرزت نجاحاً في صد الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين عن العمرة سنة ٦هـ، ثم في توقيع اتفاقية الحديبية مع المسلمين، والتي



كانت شروطها في صالح قريش حسبما يبدو من ظاهر نصوص المعاهدة؛ فإن هذه الاتفاقية قدحملت في طياتها بوادر انهيار الوثنية، وكانت تمهيداً لفتح مكة، ذلك أن المسلمين اجتهدوا في نشر الإسلام أثناء الهدنة، في حين تفرغت قريش لتجارتها وتنمية أموالها. وقد علّق (الزهري)[٥٩] على معاهدة الحديبية قائلاً: «فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر» لقد شجعت هذه المعاهدة المسلمين على نقل نشاطاتهم وتركيزها صوب الشمال بعد أن أمنوا على حدودهم الجنوبية، فتوجهوا نحو خيبر حيث لايزال اليهود فيها على عدائهم الشديد للدعوة الإسلامية، وقد خرج إليهم النبي ﷺ في (١٥٠٠) من أصحابه، وذلك في صفر سنة ٧هـ[٦٠]، وحث المسلمين من الأعراب على الخروج للجهاد في سبيل الله لا في سبيل الغنائم! قائلاً لهم: «لايخرجن معنا إلا راغب في الجهاد»[٦١].

وهذا يعني أن الجيش الإسلامي في هذه المرحلة قد استغنى عن مشاركة من لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، بخلاف ماكان عليه الحال في أحد، حيث ألح المسلمون على المنافقين بملازمة الجيش الإسلامي، ولو لتكثير سواد المسلمين، ويؤيد ذلك ماجاء في الآية الكريمة ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾؛ آل عمران آية(١٦٧)

فقد قال جماعة من المفسرين[٦٢]: إن معنى قوله تعالى ﴿أو ادفعوا﴾ أي كثروا سواد المسلمين[٦٣]، ومن المعلوم أن هذه الآية الكريمة تصف مشهداً من، مشاهد غزوة أحد.

لقد كان انتشار الإسلام سريعاً في سنوات هذه المرحلة، إلى درجة جعلت المسلمين يحتاطون قبل البدء في شن الغارة على العدو، فينتظرون إلى الصباح فإن

سمعوا أذاناً أمسكوا وإن لم يسمعوا أذاناً أغاروا، وقد فعل النبي ﷺ ذلك في خيبر(٦٤).

ولقد أحست قريش إحساساً قوياً بتفوق الجانب الإسلامي خلال هذه المرحلة، فأخذت تتعامل مع هذه الحقيقة بما يليق بها، ونلاحظ ذلك في أمارات الشعور بالإحباط والوهن في منطق قريش ونظرتها إلى الأحداث الجارية. انظر مثلاً إلى قولهم عندما سمعوا بخروج النبي ﷺ إلى عمرة القضاء في ذي القعدة سنة ٧هـ، وقد أخرج المسلمون معهم سلاحاً كثيراً، عندئذ قال زعماء قريش: «والله ماأحدثناحدثاً ونحن على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه»(٦٥).

ثم نلاحظ هذا الضعف والفتور في الجانب المكي عندما سعى أبوسفيان بن حرب(٦٦) إلى تجديد معاهدة الحديبية، وبذل جهوداً مستميتة لتحقيق هذه الغاية دون جدوى، وكان القرشيون من خلفه يتلهفون إلى نجاح أبي سفيان في محاولته تلك.

المرحلة الثالثة

من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه ٨-١١هـ

شاء الله تعالى أن يقطف المسلمون في سنوات هذه المرحلة ثمار جهودهم في السنوات الماضية، إذ وصلت أعداد الجيش الإسلامي إلى عشرة آلاف مقاتل، سار بهم الرسول ﷺ نحو مكة، ففتحها الله عليه.

ولقد حرص النبي الكريم على عدم سفك الدماء في البلد الحرام- باستثناء عدد قليل من الرجال والنساء، أهدر النبي - ﷺ - دماءهم -، فمنذ أن عقد النبي ﷺ النية، على المسير إلي مكة، نجده يستعمل جانب الحيطة والحذر في كتمان أمر خروجه، حتى لاتفكر قريش في المقاومة، ثم نجده أيضاً يأمر بحبس أبي سفيان بن حرب عند خطم الجبل ليرى بعينه قوة الجيش الإسلامي، فيذهب إلى مكة ويحث أهلها على التسليم(٦٧).

وبعد الفتح العظيم ارتفعت أعداد الجيش الإسلامي إلى (١٢٠٠٠) مقاتل في غزوة حنين ٨هـ، وذلك نظراً لكثرة الداخلين في الإسلام، فقد أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش التي تعد في نظرهم زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول الله ﷺ، فلما افتتحت مكة عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته[٦٨]، وقد جاء في صحيح البخاري[٦٩]: «وكانت العرب تلوّمُ بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق. فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم».

وعلى الرغم من أن الجيش الإسلامي قد أصبح قوة ضاربة خلال هذه المرحلة، تخشى بأسها القبائل العربية؛ إلا أننا نلاحظ أن النبي ﷺ استعمل الرفق واللين في تعامله مع زعماء القبائل ومع غيرهم من عامة الناس الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد، ويتجلى ذلك في رفع الحصار عن الطائف ودعائه لهم: ﷺ«اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم»[٧٠]، ثم في إعطاء المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين[٧١]، ليسلم الكافر وليثبت على الإسلام من دخل فيه حديثاً، ثم في رد السبي على هوزان رجاء إسلامهم[٧٢]، ثم في استمالة مالك بن عوف[٧٣] زعيم هوزان، ورد أهله وماله عليه وإعطائه مائة من الإبل[٧٤].

ويلاحظ أن السرايا الإسلامية لم تنقطع خلال هذه المرحلة، بل استمر النبي ﷺ في بعثها إلى جهات مختلفة، وهنا تحتل قضية الدعوة إلى الإسلام المرتبة الأولى من بين الأهداف التي جُردت السرايا من أجلها، فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام سرية بقيادة خالد بن الوليد[٧٥] ومعه (٣٥٠) من المهاجرين والأنصار وبني سليم، إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، وذلك عقب فتح مكة[٧٦] كما بعث سرية إلى اليمن في رمضان سنة ١٠هـ بقيادة علي بن أبي طالب[٧٧] ومعه (٣٠٠) فارس، وقد أوصاه الرسول الكريم بقوله «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا

تقاتلهم، تلوّمهم أناة، ثم تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا: لاإله إلا الّله؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم إلى أن تصلوا؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تُخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؛ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك. والّله لأن يهدي الّله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت!»(٧٨).

ويستشف من هذه التوجيهات النبوية حرص المسلمين في استعمال الأناة والصبر ونشر الإسلام بالتي هي أحسن، والتدرج في توضيح تعاليم الإسلام الحنيف.

وإذا كان الرسول ﷺ قد رفق بالعرب في هذه المرحلة؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قد رأى استعمال الحزم وإظهار القوة فيما يتعلق بالروم ومن ضوى إليهم من العرب المتنصرة. ويبدو أن سياسية الحزم وإظهار القوة التي أبداها المسلمون تجاه الروم وحلفائهم، كانت عبارة عن تكتيك عسكري كان الغرض منه إشعار البيزنطيين وأتباعهم من العرب بصلابة القوة العسكرية الإسلامية، حتى لايفكروا في اختراق الحجاز، بعد أن شعروا بنمو الدولة الإسلامية ونجاحها في السيطرة على مكة معقل الوثنية العربية، ومن ثم محو رسوم الوثنية وطمس معالمها في بلاد العرب.

ولذا أبدى المسلمون مرونة كبيرة تجاه البقية الباقية من مشركي العرب، وذلك لتشجيعهم على اعتناق الإسلام، تمهيداً لنقل العمليات الجهادية الإسلامية إلى ميدان الروم، وقد حققت هذه السياسة الإسلامية نجاحاً كبيراً، إذ استطاع المسلمون أن يحشدوا (٣٠٠,٠٠٠) مقاتل، في عزوة تبوك سنة ٩هـ(٨٢)، ثم استقبلت المدينة أكثر من سبعين وفداً من مختلف قبائل العرب(٨٣) جاءوا إليها لإعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ، فكان ذلك مظهراً من مظاهر التفوق السياسي والعسكري للدولة الإسلامية في شبه جزيرة العرب، وإيذاناً بدخول طور جديد من أطوار الصراع مع القوى المعادية للإسلام.

الحواشي

١- ابن هشام، أبومحمد عبدالملك، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ج٢، ص٨٣؛ الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار التراث، د.ت)، ج٢، ص٣٦٥.
٢- ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١١١.
٣- محمود شيت خطاب، *تاريخ جيش النبي* ﷺ، (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت) ص٨.
٤- ابن هشام المصدر السابق، ج٢، ص١١٢-١٢٣.
٥- المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٣.
٦- سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأنصاري الأوسي. عقبي، بدري، نقيب. استشهد يوم بدر #. ابن الأثير، على بن محمد، *أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة*، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٢، ص١٩٤؛ ابن حجر، أحمد بن علي، *الإصابة في تمييز الصحابة*، (بيروت: دار الكتاب العربي، د، ت)، ج٢، ص٢٣-٢٤.
٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣.
٨- المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.
٩- المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٧.
١٠- الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٦.
١١- ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٢.
١٢- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي، أسلم قبل دخول الرسول › دار الأرقم. استشهد ببدر #، ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله، *الاستيعاب في أسماء الأصحاب*، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، موجود بهامش الإصابة لابن حجر، ج٢، ص٣٤٦ - ٣٤٧.
١٣- المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي، وقيل الكندي. حالف الأسود بن عبديغوث الزهري فتبناه الأسود فصار يعرف بالمقداد بن الأسود. هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فيما بعد، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة سنة ٣٣هـ #. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٥-٤٧٨؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٣-٤٣٤.
١٤- عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني. حليف بني نوفل بن عبدمناف، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ومابعدها. توفي في الربذة سنة ١٥هـ وقيل ١٧هـ، # ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج٣، ص١١٤-١١٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦١-٤٦٢.

١٥- عبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس القرشي العامري. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع إلى مكة فأوثقه أبوه عنده وفتنه في دينه فأظهر الرجوع في الإسلام وقلبه مطمئن به. استشهد في يوم اليمامة سنة ١٢هـ، *. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧.

١٦- ابن سعد، محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج٣، ص٣١٠.

١٧- عماد الدين خليل، *دراسة في السيرة*، ط١٣ (بيروت: ؤسسة الرسالة ودار النفائس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٣٦٦.

١٨- بنو خطمة: بطن من بني جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، سكناهم في عوالي المدينة. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ط٥، تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص٣٤٣.

١٩- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دت)، ج١، ص١٧٤.

٢٠- ابن حزم، المصدر السابق، ص٣٤٥.

٢١- انظر القوائم التي أعدها (ابن اسحاق) بأسماء من حضر بدراً من الأنصار؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٢-٣٦٤.

٢٢- ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٧.

٢٣- خبيب بن يساف ويقال أساف بن عقبة بن عمرو بن خديج الأنصاري الخزرجي. شهد بدراً وأحداً والخندق، ومات في خلافة عثمان، *. ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٤-٤٣٥؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٤١٧-٤١٨.

٢٤- قيس بن محرِّث الأنصاري كان ممن ثبت يوم أحد، قاتل المشركين في طائفة من الأنصار فكان أول قتيل منهم، *. ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٨.

٢٥- الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧. وعند (ابن سعد) أن خبيب بن يساف وصاحبه قالا للرسول ﷺ: «إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لانشهده معهم»، فقال لهم النبي ﷺ: «وأسلمتما»؟، فقالا: لا، فقال عليه السلام: «فإنا لانستعين بالمشركين على المشركين». قال خبيب: «فأسلمنا وشهدنا معه». ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص٤٠٤. وفي (صحيح مسلم): أن الرسول ﷺ قال: «ارجع، فلن أستعين بمشرك» وكررها عليه ثلاث مرات حتى أسلم في الثالثة. انظر: ملسم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، *صحيح مسلم*، شرح النووي، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ج١٢، ص١٩٨.

٢٦- عبدالله بن أبي بن سلول، من بني عوف بن الخزرج. كان رأس المنافقين وزعيمهم، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وفي قوله هذا نزلت سورة المنافقين بأسرها. ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٣.
٢٧- المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٧.
٢٨- عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي. يكنى أباجابر، كان عبدالله عقبيًا بدرياً نقيباً، شهد بدراً وأحداً واستشهد في أحد، فدفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد، ٪.
ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص٢٤٢-٢٤٤.
٢٩- جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي، يكني أباعبدالله، وهو أحد المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. توفى بالمدينة سنة ٧٤هـ وقيل ٧٨هـ، #. ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٢١٤.
٣٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٦٥.
٣١- المصدر نفسه، ج٣، ص٧٠.
٣٢- المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨.
٣٣- خرجت أول سرية إسلامية من المدينة، في رمضان من السنة الأولى للهجرة بقيادة حمزة بن عبدالمطلب. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٣.
٣٤- الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧.
٣٥- صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا وهب. هرب يوم فتح مكة فأحضر له ابن عمه عمير بن وهب أماناً من النبي ﷺ، فعاد إلى مكة ثم أسلم وحسن إسلامه وأقام بمكة ومات بعدها في أواخر خلافة عثمان بن عفان، #. ابن عبداللبر، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٦-١٨٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص١٨١-١٨٢.
٣٦- صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ ووالدة الزبير بن العوام، وشقيقة حمزة بن عبدالمطلب، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ، ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع، $، ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٦-٣٣٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٩-٣٤٠.
٣٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٩.
٣٨- سلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري الأوسي. شهد بدراً ومابعدها واستشهد في معركة الجسر في خلافة عمر بن الخطاب، ٪. ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص٦١.

٣٩- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ. وكان يقال له: حبُّ رسول الله ﷺ. شهد بدراً ومابعدها. واستشهد في مؤتة سنة ٨هـ، #. ابن عَبد البر، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٥-٥٣٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٥-٥٤٦.

٤٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٥١-٥٢.

٤١- علّق (السهيلي) على شدة اجتهاد النبي ﷺ في الدعاء يوم بدر فقال: «والجهاد على ضربين: جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء، ومن سنّة الإمام أن يكون من وراء الجند لايقاتل معهم، فكان الكل في اجتهاد وجد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين، وأنصار الله وملائكته يجتهدون.»؛ السهيلي، أبوالقاسم عبدالرحمن ابن عبدالله، *الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام*، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ومؤسسة مختار، د. ت)، ج٣، ص٤٧.

٤٢-ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٩.

٤٣- كان عبدالرحمن بن عوف يكتب إلى مسلمي مكة يخبرهم بما أنزل الله فيهم من القرآن الكريم، ويحث القادرين على الخروج من مكة بسرعة للهجرة إلى الله ورسوله والانضمام إلى إخوانهم في المدينة؛ الواحدي، علي بن أحمد، *أسباب النزول*، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، (جدة -بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٨٠٨. وكان عمر بن الخطاب يكتب أيضاً لمسلمي مكة بما نزل فيهم من الآيات القرآنية ويدعوهم للهجرة إلى المدينة؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

٤٤- مهدي رزق الله أحمد، *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية*، ط١، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢)، ص٢٨٩.

٤٥- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤.

٤٦- حَمْراءُ الأسد: وهي جبل أحمر يقع على بعد (٢٠) كيلاً جنوب المدينة، في الضفة اليسرى لعقيق الحسا على الطريق من المدينة إلى الفُرُع؛ انظر: ياقوت، شهاب الدين أبوعبدالله الحموي، معجم *البلدان*، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٢، ص٣٠١؛ البلادي، عاتق ابن غيث، *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية* ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، ص١٠٥.

٤٧- ففي ٢٥ رمضان سنة ٢هـ؛ قتلت عصماء بنت مروان، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتحرض على المسلمين؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠-٢١. وفي شوال سنة ٢هـ قُتل أبوعفك، من بني عمرو بن عوف، وكان ممن يحرض على عداوة المسلمين؛ المصدر نفسه،

ج٢، ص٣٩. وفي ربيع الأول سنة ٣هـ قتل كعب بن الأشرف، من يهود بني النضير، وكان قد خرج إلى مكة وجعل يحرض قريشاً على المسلمين وينشد الأشعار في رثاء قتلى بدر؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٥٥. وفي شوال سنة ٣هـ، قتل أبوعزة الجمحي بعد أن وقع أسيراً في قبضة المسلمين يوم أحد، وكان الرسول ﷺ قد أسره يوم بدر ثم منّ عليه، لكنه عاد وأخذ يحرض العرب على حرب المسلمين قبيل أحد، وينشد الأشعار في ذلك؛ المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥-١١٠. وفي ذي الحجة سنة ٤هـ قتل أبو رافع بن الحقيق، من يهود خيبر، وكان يغري غطفان وغيرها من مشركي العرب بحرب المسلمين ويعدهم بالمكافأة نظير ذلك. الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٤. وعند ابن سعد أن مقتل أبي رافع بن الحقيق كان في رمضان سنة ٦هـ؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢.

٤٨- ففي غزوة ذي أمَرٍّ؛ تعهد دعثور بن الحارث - الذي شكل قوة من بني ثعلبة وبني محارب من غطفان لمهاجمة المدينة - بعدم المشاركة مستقبلاً في جيوش المشركين أو الدعوة لحرب المسلمين، وذلك في قوله للنبي ﷺ: «والله، لاأكثر عليك جمعاً أبداً»؛ الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٥؛ وعند (الحاكم) أن الرجل واسمه (غورث بن الحارث) قال للرسول صلى الله عليه وسل: «أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك»، انظر: - الحاكم النيسابوري، أبوعبدالله، *المستدرك على الصحيحين*، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج٣، ص٢٩.

٤٩- ابن حجر، أحمد بن علي، *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٣، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ) ج٧، ص٤٦٧.

٥٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٠-٢٣١،

٥١- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٤.

٥٢- نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف الأشجعي، أبو سلمة، أسلم ليالي الخندق، وأوقع الخلاف بين قريظة وغطفان فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن المدينة، توفى في خلافة عثمان وقيل في أول خلافة على بن أبي طالب، #؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٥٣٩.

٥٣- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٠.

٥٤- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٣؛ البيهيقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥)، ج٤، ص٢٤.

٥٥- المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥؛ ج٢، ص٤٤٤.

٥٦- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٢؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٥٠٤.

٥٧- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٤.
٥٨- المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧٤.
٥٩- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٦.
٦٠- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٣٤. وعند (ابن سعد) أن عددهم (١٤٠٠)؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٨٢.
٦١- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٨١.
٦٢- وهؤلاء المفسرون هم: عبدالله بن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري، والسدي. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)، ج١، ص٤٢٥.
٦٣- المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٥.
٦٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٣؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٧ ص٥٣٥.
٦٥- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٤؛ البيهقي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٢١.
٦٦- صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي. أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف. كان من المؤلفة قلوبهم. مات في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، #؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٧٢-١٧٣.
٦٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص٤٦.
٦٨- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص٥٧.
٦٩- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٦١٦.
٧٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١.
٧١- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٥-١٣٦.
٧٢- المصدر نفسه، ج٤، ص١٣١-١٣٢.
٧٣- مالك بن عوف بن سعد بن يربوع، من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوزان. كان زعيم المشركين يوم حنين، ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل ثقيفاً فلايخرج لهم سرح إلا أغارعليه حتى يصيبه؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٣١-٣٣٢.
٧٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٤.
٧٥- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أبوسليمان كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم في سنة ٧هـ، وأرسله النبي ﷺ إلى أكيدر دومة فأسره. وعهد إليه أبو بكر بقتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاءً عظيماً، ثم ولاه حرب

فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً وفتح دمشق. توفي بحمص وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ
#، ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٤١٢-٤١٥.

٧٦- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٦٥٤.

٧٧- علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن.
ولد قبل البعثة بعشر سنين، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا
غزوة تبوك. بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان #، ودامت خلافته خمس سنوات، إذ
استشهد في رمضان سنة ٤٠هـ، #؛ ابن حجر الإصابة، ج٢، ص٥٠١-٥٠٣.

٧٨- الواقدي، المصدر السابق- ج٣، ص١٠٧٩.

٧٩- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، يكنى أبا محمد ويقال أبا زيد. أمه أم أيمن
مولاة النبي ﷺ. كان عمر يجله ويكرمه، وفضله في العطاء على ابنه عبدالله بن عمر.
اعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان #، إلى أن مات سنة ٥٤هـ في أواخر خلافة معاوية،
#؛ ابن عبدالبر، المصدر السابق ج١، ص٣٤-٣٦.

٨٠- أُبْنَى: موضع بالشام من جهة البلقاء، وقيل قرية بمؤتة؛ ياقوت، المصدر السابق، ج١،
٧٩.

٨١- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٧٥٩.

٨٢- المصدر نفسه، ج٧، ص٧٢١.

٨٣- ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٢-٢٦٩.

الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية

تأليف الدكتور محمد بن أحمد الرويثي

دراسة : **د. محمد عبدالعزيز القباني**
قسم الجغرافيا/ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص الكتاب

حصل في المملكة العربية السعودية خلال الثلاثة عقود الماضية تحولات كبيرة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية صاحبت الزيادة السريعة والكبيرة في مدخولات الدولة وإنفاقاتها من خلال برامج خطط التنمية الخمسية ومشروعاتها وبالتحديد منذ ١٣٩٥هـ. وتتصف المملكة العربية السعودية بسمات جغرافية تتمثل في موقعها الجغرافي المميز، واحتضان أراضيها للأماكن الإسلامية المقدسة، وكبر مساحتها النسبي، وسيادة ظروف المناخ الصحراوي وصغر حجم السكان النسبي، وغناها بالثروات النفطية وارتفاع مستويات الدخل والمعيشة للسكان. كل هذه المتغيرات أكسبت المملكة شخصيتها الجغرافية المميزة بين دول العالم.

ويأتي كتاب الدكتور الرويثي «الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية» " لإبراز هذه السمات ورصد التحولات والتغيرات من منظور جغرافي. يتكون الكتاب من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً تضمنت ٤٥ جدولاً إحصائياً و٢٢ خريطة وشكلاً بيانياً بالإضافة إلى ملحق إحصائي احتوى على ١٣ جدولاً.

الفصل الأول: –وعنوانه الموقع الجغرافي واستراتجية المكان – يقع في تسع صفحات – تطرق فيه الكاتب – بإيجاز – إلى مراحل تكوين المملكة من الناحية التاريخية: مرحلة الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ – ١٢٣٣هـ، ومرحلة الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦–١٣٠٩هـ. ثم تناول بعد ذلك مراحل تكوين المملكة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز (١٣١٩هـ – ١٣٥١هـ). بعد ذلك أشار إلى موقع المملكة الجغرافي المتوسط بالنسبة لدول العالم وأهميته خاصة بالنسبة لحركة النقل والتجارة الدولية.

الفصل الثاني: –وعنوانه البناء الجيولوجي – ويتكون من ثماني صفحات تناول فيه الكاتب التطور الجيولوجي لأراضي المملكة خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة وماتعرضت له من حركات أرضية نتج عنها «انكسارات والتواءات وثورات بركانية» وعمليات تعرية خلال العصور المطيرة أعطت الصورة الحالية لأراضي المملكة بجبالها وأوديتها وشواطئها ورمالها. ثم ذكر القسمين الجيولوجيين الرئيسين لأراضي المملكة: الغربي أو منطقة الدرع العربي والذي يغطي نحو ٢٨٪ من المساحة وتوجد به أقدم التكوينات الجيولوجية وصخوره نارية ومتحولة، والقسم الشرقي أو الرف العربي ويشغل ٧٢٪ من مساحة المملكة وتكويناته رسوبية حديثة.
الفصل الثالث: –وعنوانه التضاريس – ويتكون من ٢٤ صفحة اختص بتضاريس المملكة الرئيسة وقسمها إلى: السهول الساحلية (الغربية والشرقية)، الجبال الغربية (الساحلية والداخلية)، الهضاب الغربية: الحسمى، الحجاز، الحرات، سهل ركبة

الصخري، عسير؛ الهضبة الوسطى «نجد»؛ العروق الرملية: الربع الخالي، الدهناء، النفود، وأخيراً الهضاب الشرقية: الدبدبة، الصمان والجافورة.

الفصل الرابع: —**وعنوانه المناخ** – ويتكون من إحدى وعشرين صفحة تطرق فيه الكاتب إلى العوامل المؤثرة في مناخ المملكة: دوائر العرض، الموقع بالنسبة لليابس والماء، المساحة وتنوع التضاريس، ثم حلل بعد ذلك عناصر المناخ في المملكة: الحرارة، الضغط الجوي والرياح، الرطوبة النسبية، الأمطار، التبخر، الأشعاع الشمسي.

الفصل الخامس: – **وعنوانه الموارد المائية** – ويتكون من خمس عشرة صفحة استعرض فيه المؤلف موارد المياه في المملكة: المياه السطحية أو مياه الأمطار والسيول التي تجرى في الأودية وذكر أهم السدود المقامة على الأودية الرئيسية. ثم تطرق لتقسيمات المياه الجوفية في المملكة: المياه الجوفية السطحية أو مياه الآبار التي تجمعت نتيجة تسرب مياه الأمطار عبر الطبقات الرسوبية غير بعيدة عن السطح؛ والمياه الجوفية العميقة التي تجمعت مياهها خلال العصور المطيرة واختزنت في أحواض جوفية ضخمة تحت سطح الأرض.

الفصل السادس: – **وعنوانه التربة والنبات الطبيعي** – ويتكون من اثنتي عشرة صفحة صنف الكاتب فيه الترب في المملكة إلى ست أنواع: تربة الأودية، التربة الرملية، تربة اللافا أو الحرات، التربة الجبلية، التربة الصحراوية وأوضح خصائص كل منه. وفي الجزء الأخير من هذا الفصل أشار باختصار إلى أنواع النباتات الطبيعية في المملكة: الغابات في جبال عسير وجنوب الحجاز والحشائش والشجيرات في المناطق الأخرى.

الفصل السابع: – وعنوانه السكان – ويقع في اثنتين وثلاثين صفحة تطرق الكاتب فيه إلى نمو السكان في المملكة والعوامل المؤثرة في ذلك (الزيادة الطبيعية والعمالة الوافدة)، وبين توزيع السكان وكثافتهم حسب الإمارات بين عامي ١٣٩٤ و ١٤٠٥هـ. ثم تناول التوزيع النسبي للسكان حسب نمط الحياة «حضر، ريف، رحل» على المناطق الإدارية الثلاثة عشرة وشرح أسباب نمو المدن في المملكة وتناقص سكان القرى والبادية. بعد ذلك تطرق إلى ظاهرة التركز الواضح للسكان في المدن الرئيسية والزيادة في حجمها: الرياض وجدة والدمام ومكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة. وفي نهاية الفصل أشار إلى التركيب العمري للسكان في المملكة حسب فئات السن وقارن ذلك بالمتوسطات العالمية وفي الدول المتقدمة. ثم تطرق إلى تصنيف العاملين وفقاً للنشاطات الاقتصادية وتوزيعهم الاقليمي في المملكة حسب المناطق الإدارية «الزراعة والصيد، الصناعة، التجارة، الخدمات».

الفصل الثامن:– وعنوانه مياه التحلية – يتكون من ثلاث عشرة أفرده المؤلف لمياه التحلية في المملكة من حيث تطور الطاقة الإنتاجية للمياه المحلاة وعدد محطات التحلية التي أنشئت والتوزيع الجغرافي لها، وكذلك استهلاك المدن من مياه هذا المصدر، وأشار كذلك إلى إنتاج محطات التحلية بالمملكة من الطاقة الكهربائية.

الفصل التاسع: – وعنوانه النشاط الزراعي – يقع في ثلاث صفحات. تناول فيه الكاتب مقومات الزراعة في المملكة وتوزيع العاملين في هذا القطاع حسب المناطق الإدارية وكذلك المساحة المزروعة وتطورها والعوامل التي أسهمت في تطور القطاع الزراعي وبالتحديد الدعم الحوكمي: بناء السدود، القروض، منح الأراضي الزراعية وشراء القمح. واستعرض بعد ذلك إنتاج مجموعة المحاصيل: الحبوب، الخضراوات، الفواكه والتمور، وبين التطور الذي طرأ على إنتاج هذه المحاصيل خلال العقدين الماضيين وخاصة محصول القمح سواء من حيث زيادة المساحة أو

كمية الإنتاج. الجزء الأخير من هذا الفصل خصصه المؤلف للثروة الحيوانية إذ أشار باختصار إلى نموها وترزيعها على المناطق الادارية.

الفصل العاشر: - وعنوانه البترول والمعادن - يتكون من ست عشرة صفحة، اقتصر على موضوع الموارد المعدنية في المملكة أشار فيه باختصار إلى تاريخ انتاج النفط في المملكة، وإلى حقول النفط الرئيسة، ثم استعرض بعد ذلك تطور إنتاج النفط في المملكة واحتياطيها من هذا المعدن، وذكر الأسواق العالمية المستهلكة لنفط المملكة، ثم ذكر أهم المعادن الأخرى المتوافرة بكميات اقتصادية في المملكة «الذهب والفضة، النحاس، الحديد والفوسفات».

الفصل الحادي عشر: - وعنوانه الصناعة - ويتكون من أربع وعشرين صفحة تطرق المؤلف فيه إلى البدايات الأولى للصناعة في المملكة حين كان عدد المؤسسات الصناعية في المملكة لايتجاوزه مؤسسات بعد ذلك ألقى الضوء على السياسة الصناعية في المملكة وأشار إلى الحوافز التي تقدمها الدولة للمستثمرين: القروض، الحماية الجمركية، الإعفاءات، المدن الصناعية، ثم بين تطور عدد المؤسسات والعاملين في الصناعة وتوزيعها الجغرافي على مناطق المملكة حسب نوعها: الصناعات الغذائية، المنسوجات، الجلدية، الخشية والكيماوية ومواد البناء والصناعات المعدنية.

الفصل الثاني عشر: - وعنوانه النقل والمواصلات - ويتكون من أربع وعشرين صفحة تناول الكاتب فيه أهمية تطوير وسائل النقل والمواصلات في المملكة بسبب كبر مساحتها ثم ذكر محاور الحركة الرئيسة في المملكة «محور البحر الأحمر من حقل حتى جيزان، محور الداخل من ظهران الجنوب حتى حالة عمار، والمحور الأوسط من جدة إلى الدمام». بعد ذلك استعرض تطور أطوال الطرق البرية المعبدة

في المملكة وكذلك النمو في عدد السيارات بها، وإلى وسائل النقل الأخرى في المملكة: خط السكك الحديدية بين الرياض والدمام، الموانئ والنقل البحري وأشار إلى تطوير الموانئ من حيث إمكاناتها وطاقها وألمح في خاتمة هذا الفصل إلى النقل الجوي وتطور عدد المطارات في المملكة والنمو في عدد الركاب (المغادرون والقادمون) في المطارات الدولية في المملكة (الملك عبدالعزيز بجدة، والملك خالد بالرياض والظهران).

الفصل الثالث عشر والأخير: - وعنوانه التجارة الخارجية - ويتكون من أربع عشرة صفحة تناول المؤلف فيه تجارة الصادرات والواردات للمملكة من حيث كمياتها وأنواعها ومصادرها ووجهاتها، وعرض للميزان التجاري للمملكة لعدة سنوات، ثم شرح العوامل التي أثرت في تطور تجارة المملكة الخارجية (الزيادة في السكان وقدراتهم الشرائية، النهضة العمرانية والاقتصادية) وأشار إلى تجارة المملكة مع مجموعات الدول (الأمريكتين، غرب أوربا، شرق أوربا، العالم العربي، أفريقيا، آسيا، الأقيانوسيا).

الكتاب وإن كان يحمل مسمى الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية دراسة في الجغرافيا الإقليمية فمحتوياته وتسلسل فصوله وموضوعاته تكاد لاتختلف عما صدر من كتب سابقة تناولت جغرافية المملكة والتي قام بإعدادها أساتذة عرب قاموا بالتدريس في الجامعات السعودية.

ملاحظات على الكتاب: من الملاحظات على الكتاب قدم المراجع التي اعتمد عليها بصفة عامة وبالتالي قدم بعض البيانات التي اعتمد عليها الكاتب، فمع أن الكتاب صدر في عام ١٤١٦هـ إلا أن تاريخ أحدث المراجع العربية يعود إلى عام ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)، في حين يعود تاريخ أحدث المراجع الأجنبية إلى عام ١٩٧٣م. أما التقارير والنشرات الإحصائية فيرجع تاريخها إلى عام ١٤٠٩هـ.

كما خلا الكتاب من موضوعات مهمة خاصة مايتعلق بالسكان كالعمالة الوافدة وسكان القرى (الريف)، وسياسات التنمية الريفية والحضرية والإقليمية ومشروعاتها. من الملاحظات أيضاً أن فصول الكتاب احتوت على كم كبير من الأرقام وربما يعود ذلك إلى رغبة الكاتب في إبراز التغير الذي طرأ على الجغرافيا البشرية للمملكة خلال الثلاثة عقود الماضية خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

أما من النواحي المعلوماتية فقد وضع المؤلف في الفصل الثالث الخاص بالتضاريس الجافورة ضمن الهضاب الشرقية وهي في الواقع رمال تعد امتداداً لصحراء الربع الخالي، وفي الفصل الخامس - عند تناوله لموضوع المياه الجوفية العميقة - وضع ماأسماه "حوض وسط الحجاز" ضمن التكوينات الحاوية للمياه الجوفية العميقة في حين أن هذا الجزء يقع ضمن منطقة الدرع العربي التي تخلو من وجود هذا النوع من مصادر المياه بسبب طبيعة تكوينها الجيولوجي وتركيبها الصخري.

وعلى غير المعتاد تم وضع ملحق إحصائي في بداية الكتاب بعد فهارس الكتاب مباشرة وقبل المقدمة.

يعد الكتاب بصفة عامة إسهامًا جيداً يستحق المؤلف عليه الشكر والتقدير إذ قام بضغط كم كبير من الموضوعات في عدد قليل من الصفحات في كتاب من الحجم الصغير وهو بذلك يعد مناسباً لغير المتخصصين ممن يودون التعرف على ملامح جغرافية المملكة العربية السعودية.

مؤلفات ومقالات

صناعة الغذاء في المملكة من الاستيراد إلى التصدير
مجلة إقرأ في ٢٧/ ٣/ ١٤١٨هـ

الأسطورة الشعبية وراء اكتشاف أهم المواقع الأثرية اليمنية
محمد محمد مجمل
مجلة إقرا في ٤/ ٤/ ١٤١٨هـ

بداية تاريخ المطابع والنشر في المملكة
إبراهيم عويض العتيبي
مجلة الفيصل محرم ١٤١٨هـ

استصلاح الأراضي المتأثرة بالاملاح في المملكة العربية السعودية
عبدالله موسى - محمد سعيد الشاطر
مجلة الخفجي شوال ١٤١٧هـ

اقدم ساعي بريد يفتح طرود ذكرياته (سالم الدوسري)
حمدي عبد الصادق
مجلة الشرق ٦ شعبان ١٤١٦هـ

فتح الرياض .. وإشـــراق المجد
عبدالله الصالح الرشيد
المجلة العربية جمادى الآخره ١٤١٨هـ

حوليات سوق حباشه
د . عبدالله محمد آبوداهش
دراسة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر
المجلة العربية - ربيع الأول ١٤١٨هـ

مياه مكة المكرمة منذ عهد إسماعيل عليه السلام ًإلى عهد خادم الحرمين الشريفين
هاني ماجد فيروزي
مجلة العاصمة المقدسة العدد الرابع ١٤١٧هـ

مسيرة التعليم في مكة المكرمة
مجلة العاصمة المقدسة العدد الرابع
١٤١٧هـ

الخدمات الصحية بمكة المكرمة
هاني ماجد فيروزي
مجلة العاصمة المقدسة العدد الخامس
١٤١٨هـ

أسرار المعجزة الأنمائية والحضارية في المملكة العربية السعودية
ناصر فرج سليمان
عرض / أحمد أبو زيد
المجلة العربية - جمادى الآخرة
١٤١٨هـ

توزيع المنتوجات النفطية في المملكة
نجيب محمد القضيب
مجلة القافلة ربيع الآخر ١٤١٨هـ

بعثة إلى نجد
١٣٣٦ - ١٣٣٧هـ
تأليف / سانت جون فيلبي
ترجمة / د . عبدالله العثيمين

مواقف بطولية سجلها التاريخ
إعداد - إبراهيم الشثري
دار الصميمي للنشر والتوزيع - الرياض

إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي
د . علي إبراهيم النملة

الملك عبدالعزيز ومراسلاته
د . عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
كتيب المجلة العربية - العدد السادس - جمادى الآخرة ١٤١٨هـ

الأدب المقارن في منظور الأدب العربي
د . عبدالحميد إبراهيم
نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام

وقفة في حياة الرواد
فهد عبدالله المبدل

تقويم مدي موضوعية أسس وأساليب الترقية في الخدمة المدنية بالمملكة العربية السعودية

إبراهيم العبود – منصور المعشوق

معهد الإدارة العامـة

الادعاء العام والمحاكمة الجنائية وتطبيقها في المملكة العربية السعودية

د . عماد عبدالحميد النجار

معهد الإدارة العامـة

الاستيطان والآثار الإسلامية فى منطقة القصيم

عبدالعزيز بن جار الله الجارالله

مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض

اطلالة على التراث

المجلد الخامس عشر

د .عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

لسراة الليل هتف الصباح الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية

عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجـري

الناشر: دار رياض الريس – لندن

١٤١٨هـ

صدر حديثا





المملكة العربية السعودية
دارة الملك عبدالعزيز

بحوث

ندوة الوثائق التاريخية

في المملكة العربية السعودية

الرياض، الفترة من ١٣-١٥ رجب ١٤١٧هـ
الموافق ٢٤-٢٦ نوفمبر ١٩٩٦م





إصدارات دارة الملك عبدالعزيز







مجلة فصلية محكمة تصدر عن

دارة الملك عبدالعزيز



ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٨

فاكس: ٤٤١٧٠٢٠

● قسيمة اشتراك ●

أرفق شيكا مصدقا ....

باسم دارة الملك عبدالعزيز بالرياض/ عن قيمة اشتراك لمدة سنة

واحدة على أن ترسل إلى العنوان الآتي:

الاسم: ....

العنوان: ....

الفاكس: ....

الهاتف: ....

الاشتراك السنوي: **٢٠** ريالاً داخل المملكة العربية السعودية

البلاد العربية ما يعادل **٢٠** ريالاً سعودياً

٦ دولارات خارج البلاد العربية.



Address: ADDARAH

King Abdulaziz Research Center

P.O.Box 2945 Riyadh 11461

Kingdom of Saudi Arabia

Tel.: 4412316 – 4412318

Fax: 4417020

● Subscription Card ●

Please enter my subscription for ADDARAH

Check enclosed $ ....

Name ....

Address ....

City .... Country ....

Tel.: .... Fax: ....

Annual subscriptions

Saudi Arabia: **20** Riyals

Arab Countries: **20** Riyals

Abroad: **6** U.S. Dollars

ALL CORRESPONDENCE SHOULD BE DIRECTED TO EDITOR-IN-CHIEF

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia Tel. 441 2316 – 441 2318 Fax. 441 7020

PRICE PER ISSUE

Saudi Arabia: 5 Riyals - U.A.E.: 7 Dirhams - Qatar: 7 Riyals - Egypt: 70 Piasters
Morrocco: 8 Dirhams - Tunisia: 700 Millimes - Non-Arab Countries: 1 U.S. $

ANNUAL SUBSCRIPTIONS

Saudi Arabia: 20 Riyals - Arab Countries: The Equivalent of S.R. 20
Non-Arab Countries: 6 U.S. $

SUBSCRIPTIONS SHOULD BE MADE BY CERTIFIED CHEQUE DIRECTED TO KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia

DISTRIBUTIONS

Saudi Arabia: Al Wataniah Co. For Distribution Advertising	Tel. 4782000
U.A.E.: Dar Al Hikma P.O.Box 3778 Dubai	Tel. 665394
Qatar: Dar Al Thaqafa: P.O.Box 323 Doha	Tel. 413180
Bahrain: Al Hilal Distributing Est. P.O.Box 224, Manama	Tel. 262026
Egypt: Al Ahram Distributing Est. Al Gala'a St., Cairo	Tel. 5786100
Morocco: Al Sharifia Distributing Co. P.O.Box 683, Casablanca 05	Tel. 400223

ADDARAH

An Academic Quarterly Issued By King Abdul Aziz
Research Centre - Riyadh
Addarah No. (1) Has Been Issued in Rabie (1) 1395
March 1975

ISSUE NO. 1 YEAR 23 MAY/JUNE 1997



النشر العلمي والمطابع ١٤١٨هـ



الملك عبدالعزيز عند وصوله لميناء الإسكندرية عند زيارته لمصر في صفر عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

ADDARAH

An Academic Quarterly Issued By King Abdul Aziz
Research Centre - Riyadh
Addarah No. (1) Has Been Issued in Rabie (1) 1395
March 1975

ISSUE NO. 1 YEAR 23 MAY/JUNE 1997



الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الثاني - ١٤١٨هـ - السنة الثالثة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد
[٦٥٤]

من عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل الى جناب المكرم الابن مشاري ابن جلوي سلمه الله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم من خصوص الشيخ عبدالله بن حسن والشيخ محمد
بن تركي حالاً توجهوا اليكم وقد عمدناهم بأن ينظرون في المحكمة الشرعية وهيئة الامر با
لمعروف والنهي عن المنكر وجميع مايقررونه تنفذونه بدون تردد وتجرون مايلزم لهم من المسا
عدة عند الاقتضاء يكون معلوم هذا مالزم بيانه والسلام

١٣٤٦ ربيع

٢٩٠

رسالة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى الأمير مشاري بن جلوي بشأن النظر في الأمور الشرعية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدل هذه الرسالة على عنايته - رحمه الله - بالنواحي الدينية واهتمامه بها وتطبيقه لشرع الله تعالى وهي مؤرخة في ربيع أول ١٣٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز - الرياض
العدد الثاني - ١٤١٨هـ - السنة الثالثة والعشرون

محتويات العدد

رقم الإيداع ١٤/٠٠٨٢ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ

ردمد ٠١٤٨ - ١٣١٩

البحوث ترسل باسم رئيس التحرير

العنوان: ص. ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٤١٢٣١٦ – ٤٤١٢٣١٨ فاكس ٤٤١٧٠٢٠

السعـــر

السعودية: ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة: ٧ دراهم، قطر: ٧ ريالات، مصر: ٧٠ قرشا،
المغرب: ٨ دراهم، تونس: ٧٠٠ مليم، خارج البلاد العربية: ١ دولار أمريكي

الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية
البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً
خارج البلاد العربية ٦ دولارات أمريكية

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم دارة الملك عبدالعزيز
على العنوان التالي: ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع	ص.ب٦١٤٦٦	الرياض ١١٥٦٥	هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة	ص.ب٣٧٧٨	دبي	هاتف: ٦٦٥٣٩٤
قطر: دار الثقافة	ص.ب٣٢٣	الدوحة	هاتف: ٤١٣١٨٠
البحرين: دار الهلال للتوزيع	ص.ب٢٢٤	المنامة	هاتف: ٢٦٢٠٢٦
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع	ص.ب٦٨٣	الدار البيضاء 05	هاتف: ٤٠٠٢٢٣
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع	شارع الجلاء -	القاهرة	هاتف: ٥٧٨٦١٠٠

شـــروط النشــر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة .

أولاً يشترط في البحث المقدم للمجلة ما يأتي :

١ – أن يتسم بالأصالة والمنهجية العلمية .

٢ – أن يكون صحيح اللغة ، سليم الأسلوب .

٣ – ألا يكون قد سبق نشره ، أو قدم إلى جهة أخرى للنشر .

٤ – أن توضع حواشيه مرقمة بالتسلسل في آخر البحث .

٥ – أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية .

٦ – أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية مع لغتها .

٧ – أن يكون البحث مطبوعا أو مكتوبا بخط واضح .

٨ – أن يرفق ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠ كلمة) .

ثانياً لا يُعاد البحث إلى صاحبة سواء نشر أم لم ينشر .

ثالثاً يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه ، وخمس نسخ من العدد .

رابعاً تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكيم .

خامساً لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة .

حركة اللغة في قصِّ السباعي

د. عالي سرحان القرشي
كلية المعلمين بالطائف

أحمد السباعي رائد من رواد الفكر والأدب في هذه البلاد، فقد قدم كثيراً من الأعمال القصصية والمقالات، وكان يرفع صوته عاليا بالارتقاء على الجهل والعادات الخاطئة . . . وإذا عُدَّت القصة في بداياتها كان له حضوره في ذلك الأمر، لما قدم من الأعمال التي عُرفت، واستحقت البحث والدرس.

وقد قام هذا البحث باستجلاء وظيفة اللغة في قصٍّ السباعي وأظهر علاقاتها بالحدث، وما تؤديه في بناء القصة؛ حيث نظر في أنواع استخدامه لها، وقام بتفسير ذلك بتحليل نماذج من قصصه، حيث خرج البحث بنتائج مختلفة عن تلك التي رصدها الباحثون عن صنيع الرواد في القصة، بسبب من اتجاهه إلى دراسة اللغة في النص القصصي، والنظر إلى خدمة اللغة لذلك البناء، حيث ناقش الآراء السابقة، في ضوء ما انتهى له تحليله، فقدم تفسيراته لاستخدام اللغة الشاعرية أحياناً، والتقرير أحياناً أخرى، كما وقف على اعتماد السباعي على سرد المتكلم، كما

يظهر في قصته «خالتي كدرجان» وعلل ذلك، كما وقف على استخدام السباعي للهجة العامية في حوار بعض شخصيات قصصه، وهدفه من ذلك، وأبان أن ذلك ليس عدولاً عن الفصحى وإنما هو لغاية فنيّة.

حين تعمد هذه الدراسة إلى عنصر «اللغة» لتبحث وظيفته في قص أحمد السباعي(١) - رحمه الله - فإنها تعي ذلك التلازم الوثيق بين الحدث واللغة في فن القص، ولكنها تحاول أن تلاحق ذلك العنصر الذي يحرك الحدث ويتحرك به؛ ذلك أن اللغة تتخلق في رحم حكاية الحدث الإنساني، ورؤيته لما يتم بين الأشياء من علاقة، ذلك لأن اللغة موئل اكتناز الرؤية الإنسانية لموقفها من العالم حولها حيث بقيت تلك الرؤى حاضرة في تلك الحكايات التي آلت إلى رموز وأمثال واستعارات كثيفة. ففي تعبيرات مثل «يد الشمال» و «حوض المنية» و «تبسم الفجر» حضور إنساني يجسد في حركة العوالم التي يلتقطها هذا المجاز صبغة إنسانية، ورابطة يختارها الإنسان تجمع بين حركة الريح الشمالية وسباق الكريم لها لانتشال الناس من براثنها، وبين الماء قطب الحياة والموت فيصبح الماء موتا ويصبح الموت حوضا يرده الإنسان راغما وهو يقاوم إطباق الموت، وتشير إلى ما يستوحيه الإنسان بين النور والظلام، والليل والنهار، من مواجهة تئول إلى بشر وبسمة لتباشير الصباح وإعلان يوم جديد.

ثم إن هذه الدراسة تريد أيضا أن تستبين وظيفة للغة في قص السباعي، تلففت في ظلال الأحكام العامة على قص جيل الرواد. حيث تريد التأمل في عالم الفن القصصي لدى السباعي عن طريق استنطاق طبيعة تركيب اللغة، فقد تتبنى رؤية أخرى لتفسير بعض تلك الأحكام العامة، ونقض بعضها الآخر، وقد تجد فيها دلالات على نزوع يدفع الإنسان إلى الاستمساك باللغة، وهو يستعيد حركتها ورؤيتها من براثن الجهل والهجران.

لقد درج بعض الباحثين ممن أدلوا بآرائهم في القصة السعودية إلى الانسياق خلف مقولة تطور مفترضة لهذا الفن، رأوا فيها أن قص السباعي يحمل عثرات

البداية على النحو الذي يراه الدكتور بكري شيخ أمين بعد أن عرض لبعض قصص الرواد، ومنهم السباعي، حيث رأى أن خطوط الإصلاح الاجتماعي في هذا القصص سطحية، ميالة إلى الاتجاه الخطابي والوعظي أكثر من عكوفها على دراسة الأسس الفكرية والاقتصادية للنواحي التي عالجتها، وأما الغرض الفني الذي يتطلبه هذا الفن فيرى أنها بعيدة عنه «وأن هذه القصص لم تكن تسيل فيها آلاء الحياة وانفعالات الإنسان، بل لم تكن ذات حجم وامتداد في الزمان». ويرى أنها تجنح إلى الإغراق والمبالغة والتهويل.»(٢)

ثم يتحدث بصفة عامة عن الأسلوب الذي صبغت به قصص هذا العهد، فيرى أنه يمتاز بالانسياب والرشاقة، لكأنا نقرأ لكتاب العرب الكبار كالجاحظ أو التوحيدي، أو كأننا نتلو صحفا من رصف المنفلوطي أو نسيج العقاد، أو جزالة الرافعي. (٣)

ومن الطبعي أن يكون السعي لإدخال طبيعة كتابة القصة لدى السباعي تحت ما يظن أنه استقر عليه الأمر في معايير فن القصة في غير صالح هذا القصص، فالدكتور منصور الحازمي يقول: «إن السباعي لم يكتب قصة قصيرة بالمعنى الفني لهذه الكلمة ولكنه كتب مع ذلك القصة بمعناها العام، وواقعيته لا يبحث عنها في حدود قصة بعينها - لها عالمها الخاص وصدقها الفني - بل يبحث عنها مبثوثة في قصص متفرقة لا يجمعها سوى روح الكاتب الأصيل الذي ينبع فنه من الحارة، ويستلهمه من زخم الحياة، ونماذجها الفقيرة الجاهلة القانعة»(٤)

وقد حاول الدكتور الشنطي تبرير ما يراه من شكل الحكي والوصف في القصة لدى الرواد، فرأى أن ذلك بسبب أن المتغيرات التي ظهرت في البنية الاجتماعية لم تسفر عن قسمات محددة تستطيع صياغة علاقات لها تحققها المتفاعل في إطار هذه البنية، فكان شأن القصة القصيرة في هذه المرحلة أنها - على حد قوله - «لم تستطع أن تنعتق من دائرة الحكي والوصف بالإضافة إلى أن مفهوم هذا الفن كنوع أدبي متميز له تقاليده لم يتبلور لدى جيل الرواد . . . . . »(٥)

ولكن الدكتور الشنطي عاد بعد ذلك، ليبرز أثر التفاعلات العميقة في البناء القصصي حيث يقول: «وليس أدل على ارتباط هذا الفن بالحساسية الجديدة التي بدأت تشيع نتيجة للتفاعلات العميقة في بنية المجتمع من الاهتمام بتصوير مشكلات المرأة منذ المحاولات المبكرة في هذا الفن كما تتضح لدى محمد حسن عواد، ومحمد سعيد العمودي، وعبدالله عبدالجبار، وأحمد السباعي، كذلك التركيز على تدفق الحياة بزخمها الجديد، والعناية برسم تفاصيلها، والتقاط المشاهد التي تختلج بأكثر النبضات المحلية أصالة وخصوصا عند السباعي»(٦)

وإذا كان الباحث لا يختلف مع هؤلاء فيما يظهر في هذا القصص من: اهتمام بصياغة اللغة، وعناية بتلوين الموصوف بالصور البيانية واستيحاء صياغة الأسلوب التراثي، وما ذاع من الأساليب الأدبية في العصر الحديث كأسلوب جبران، والرافعي، وطه حسين، فإنه يطمح إلى أن يجد تفسيرا لذلك، ينبع من السياق الثقافي، ومن فاعلية الصنيع اللغوي لدى السباعي الذي يتمثل في:

- الاعتماد على التصوير الشاعري.
- المزاوجة بين التصوير الشاعري وبين التقرير.
- الاعتماد على سرد المتكلم.
- اتخاذ اللغة العامية سبيلا لنقل مشاهد الحوار في بعض القصص. (٧)

الاعتماد على التصوير الشاعري:

نجد في قصص السباعي حضورا وانصرافا إلى هذا التصوير حتى إن التعبير ليرتقي مع بناء اللغة، فيفارق طبيعة الشخصية التي تتحدث، وإذا كان ذلك من مآخذ بعض الباحثين على السباعي وأمثاله(٨)، فإننا نجد للأمر سبيلا آخر كان يتفق مع مهمة المسؤولية الثقافية التي يؤسس لبناتها السباعي، ويتفق مع صنيع الثقافة العربية في انتشال اللغة من ركودها في المعاجم، وبين المتأدبين إلى فعل حيوي تعبيري، يشد القارئ إليه، ويصل ما بين الفعل الإنساني واللغة في تلك الأحداث

والصور الخيالية التي ينبئنا عنها السباعي، فيصوغ من تفكير إنسان القصة صورة واعية تتكئ على التاريخ، وتدنو إلى عواطفه وأشواقه، فتتحرك اللغة من سكون الموقف إلى نبض اللغة ومن برود الإحساس الإنساني نحو الأشياء إلى الدخول في وهجها وحيويتها.

ففي قصة السباعي «بين قرى الطائف(٩)» نراه يعتمد على اللغة الشاعرية في وصف المكان والإنسان دون اهتمام بالحدث وبنمو الشخصية.

يقول السباعي في بداية هذه القصة «قال هذا . . . وهو يشعر أنه تخاذل في نفسه بصورة مرهقة. ونظر إليها فإذا هي ترنو إليه بلحظ ساهم ونظرات حائرة . . . كانت قد مالت بعنقها على كتفها فبانت سحنتها أشبه ماتكون بسحنة المريض في وجه ضامر كأنما داهمه دهيم مفاجئ فانكفأ لونه، وانطبقت آثار الجهامة على جبينها العالي، وبان الذبول في زوايا شفتيها الدقيقتين وانطفأ بريق خدها الأسجح الجميل.»

لقد كانت اللغة في اعتمادها على الصورة البيانية، تحكي حدث التحول من موقف إلى موقف، فلئن غاب الحدث فقد حضرت حكايته بهذه اللغة التي تستحضر مآل العافية في المرض، ومآل الرشاقة والجمال في الذبول والانطفاء، لقد كان السباعي يستوحي حدثا للحظة حين يقول: «كأنما دهمه دهيم مفاجئ فانكفأ لونه . . .» حيث أصبحنا مع حركة اللغة في هذا الفاعل المفاجئ الذي ينبت من الفعل دهم، وفي هذا البدء الذي تطغى عليه الحسرة والتفجيع، يشد الكاتب القارئ بهذا الإحساس الإنساني، ليبث فيه طاقة حيوية تستقبل هذا النمط من العلائق الذي تقيمه هذه القصة.

وتمضي القصة لتنقل لنا حديث الفتاة إلى الفتى «كنت أحسبني أصافح فيك الرجل لا لتتغزل اليوم في فتنتي وغدا أنت مأسور لفتنة غيري. كنت أحسبني أناجي فيك الرفيق الذي يصحبني إلى مراتع الجمال الأخاذ، نتسنم طراوة الوادي الأريج، تتكسر أضواء القمر على حواشيه، نقف على شطآن الغدير نلتقط ما ترك القرويون

من ثمار الخوخ على جوانبها نقضمه ونتقاذف نواه، أو نرجم به الضفادع في قاع الغدير، فيثير نقيقها أو نجلس تحت شجرة البستان التي غرستها عمتك في صباها الغابر نتأمل أوراقها الزرقاء تلمع كأنها قطع قدت من أديم السماء وقت صفائها».

وعند هذا الحديث نجد القارئ أمام صورة متفائلة، لكنه التفاؤل المنغلق بمقولة الظن «أحسبني». صورة لا تبخل على رسم مساحة لشعور النفس بالرضا وهي تلاحظ امتزاج فرح الطبيعة بفرح ذلك الفتى والفتاة، لكن ذلك عالم مأمول، تقف دونه العوائق مما يجعل الفتى حين يسمع قولها يكون كما وصفه السباعي «قالت هذا فتركته شارد اللب تركبه الهموم طبقا عن طبق».

ثم تمضي القصة وهي تنمو بالخيط النفسي الذي يحكم تحولات النص، فيأتي الوصف المكاني، وعلاقات الأشياء نابعة من تصور الذات الشاعر بالإحباط.

يقول السباعي: «كان الريح يهب عليلا فاترا، فيعبث بأشجار التين على أكتاب المروج فيسمع لحفيف أوراقه نغما شجيا رخيما، وكانت الشمس ضاحية تنقل خطاها بين أكتاف الجبال ورؤوس التلال، وتترك بعض النجود الصغير غرقى في وهجها ...».

إذن كانت مثل هذه القصة ترتسم بناء فنيا تشي به تحولات الصورة اللغوية، وتتعمد إثارة القارئ بما في هذه الصورة من تفاعل بين الرؤية والشعور النفسي، فلم تكن هذه الصور ترهلا إنشائيا، ولم تكن بعيدة عن مجرى الحدث الذي تصوره.

المزاوجة بين التصوير البياني وبين التقرير:

تعنى قصة لأحمد السباعي بعنوان «متى يستقيم الظل»(١٠) بتحليل موقف الشخصية الرئيسية ومن تلتقي به، ورؤاها، في لغة تقترب من لغة التقرير في غالب بنائها، ولم تستخدم أساليب الصنعة البيانية في الاحتفال بالصورة من استعارة وتشبيه، ووصف شاعري للمكان والأشياء إلا في مواقف محددة، مما يجعل ذلك الأمر وظيفيا يستخدمه الكاتب عند الحاجة إليه، حسب بنائه للقصة.

وكانت هذه القصة تتحدث عن موقف تعرضت له فتاة حجازية كانت تريد أن تدرس في كلية الآداب في بلد مجاور، عبر الكاتب به عن المفارقة بين هذا المجتمع وذاك، وأثر الجذور الأخلاقية التي تحملها الفتاة من موقفها من حركة الحياة في ذلك المجتمع، ومن موقفها إزاء الحدث الذي تعرضت له، حيث كادت أن تقع في حبائل الغرام مع شاب رأت منه تصرفا غريبا مع غيرها، فاستجمعت كل المؤثرات لتتخذ قرارها بالعودة إلى بلدها.

وهذا الأمر يبرز لنا تلك الرؤية النقدية التي تعي محاذير الانفتاح والاختلاط بالمجتمعات الأخرى.

ولقد كان الحديث من الفتاة عن هذه المفارقة حديثا انتقاديا يأتي في صورة تقرير خطابي، يترجم موقف الكاتب على نحو ما نلحظ في قوله على لسان الفتاة «رأيتني أعيش على ضوء ما أرى في بيئة أشهد أنها كانت منحلة بصورة مقيتة، لا تتفق مع ما شاع في سمعتها المحترمة في بيئات المحافظين، وكنت آوي إلى غرفتي في المنزل الذي اختير لي بين عائلة اشتهرت بتدينها، ولا حديث لنفسي إلا هذه المفارقة العجيبة التي يحتقرها كل من يعتز أمثالي بتربيته العالية. وكنت أهمس لنفسي بأن كل ما أشاهده من المستهترات لم ينشأن في بيوتهن النشأة الفاضلة التي نشأتها في بيتي طاهرة الذيل، بعيدة عن فجور الحياة، ومباذلها الحقيرة».

وقد جاء قول الفتاة بضمير المتكلم مجسدا العزلة، والانكفاء على الذات مما جعلهاتكرر الفعل المضارع للمتكلم «أعيش . . . أرى . . . أشهد . . .».

وهذا بطبيعة الحال يجعل رؤيتها رؤية من وجهة نظر واحدة، استسلمت لما يمليه عليها تفكيرها مما جعل الحديث يؤول إلى بوح جهير للذات «ولا حديث لنفسي . . .» ولعلها حينا وجدت في حدة التعارض بينها وبين الآخر ما يجعل تفكيرها هذا همسا للنفس «وكنت أهمس لنفسي . . .».

ومما يتصل بهذا الانكفاء بسط الحديث حين تتحدث عن تنشئتها، إلى الحد الذي تستدعي فيه تكرار كلمة النشأة، وتأكيدها بالوصف وذلك لالتجائها إلى هذا

الأصل الذي يملي عليها تصرفها، فقد حملت هذه العبارة «. . . . لم ينشأن في بيوتهن النشأة الفاضلة التي نشأتها . . . . » مفارقة نشأتهن لنشأتها، والإلحاح على تميز نشأتها التي كان حديثها يشعر بالاعتزاز بها إلى حد النرجسية، واستدعاء الموروث التراثي في الكناية عن الطهر والنقاء «طاهرة الذيل».

لقد قدمت لنا في هذه الفقرة رؤية محدودة، تسير على ضوئها تصرفاتها في بقية القصة.

كانت اللغة في هذه القصة في مجملها تسير على نمط تقريري يعتمد على الإخبار بالحدث، ووصف وقوعه، إلا أنك لا تعدم فيها تصويرا لغويا ينمو من الحدث، وعلاقة الفتاة بالموقف فيكون الغرض حينئذ من اللغة، وضع القارئ على استبانة الرأي ووجهة النظر فيما تتعرض له في حياتها اليومية التي تضعها في وضع مخالف لما ألفت في بيتها تقول الفتاة في هذه القصة: «كنت ألاحظ أن بعض زملائي يستجمع قواه في إصرار ليبادرني تحية الصباح، ولكن مع هذا تأبى ألفاظه إلا أن تلتاث وتضطرب، فلا أزيد على أن أحرك شفتي بصورة لا تكاد ترى، كأني أرد تحيته وأنا أنظر نظرة عجلى إلى عضلات وجهه، وهي ترتجف لأتحول بوجهي إلى كرسي في يدي أو إلى زميلة تمد يدها لأصافحها بكبرياء وعجرفة لأني أعرف أنها ستزهو بين زميلاتها بأنها لمست يدي»!!

لقد جاءت هذه الفقرة نموا لذلك الانكفاء على الذات والاعتزاز بها في الفقرة السابقة، فقد هيأ ذلك لها أن تضع الذات في موقف متعال، وأن تفسر الحدث المعتاد في تلك البيئة لطالبة من طالبات الجامعة، بأنه حرص على التودد إليها والظفر بها، إلى الحد الذي تجعل فيه مصافحة زميلتها زهوا لها بين الأخريات، ولعل ذلك كان هروبا إلى الرضا النفسي بقناعاتها وبذاتها، حيث كانت ترى يدها طاهرة نقية؛ فكان مدها لإحدى زميلاتها تفضلا وكرما.

وجاءت اللغة هنا سائرة في رسم تلك المسافة البعيدة بينها وبين الزملاء، مصورة الجهد الذي يبذله أحدهم في بلوغ هذه المسافة «يستجمع قواه في إصرار

. . . . . تأبى ألفاظه إلا أن تلتاث وتضطرب . . وأنا انظر نظرة عجلى إلى عضلات وجهه وهي ترتجف . . . »

وفي لحظات من أحداث القصة تجدك في دوامة التشكيل التصويري الذي يتكئ على شاعرية اللغة، حيث ترسم اللغة للحدث أبعادا تدخل القارئ في تصور عالمها، وكانت هذه اللحظات هي لحظات الرصد لحالات تستجمع التصور الإنساني للوقوف على عوالمها النفسية في حالات الإبانة عن لواعج النفس الإنسانية، ووقوفها في حالتي التردد والإقدام، ووقوعها في أسر السيطرة النفسية للآخر، وذلك في مثل قول الكاتب على لسان بطلة القصة: «وإني لفي وقفتي، وإذا بقامته الهيفاء تخطر من بعيد متجهة نحوي . . فاستمسكت رغم الرعشة التي انتابت مفاصلي وهزت كياني . . . استمسكت بكل ما أملك من قوى خشية أن تنم حركاتي إذا واجهني عن مشاعر لا أرضاها لنفسي».

وفي مثل قولها: «اشتد الألم بي في وقفتي، وكنت على عزم الدخول لأدرك بعض ما فاتني من حصص الدراسة، فانقبض صدري دون ذلك، وتخيلت الكلية بما فيها ومن فيها وحشا كاسرا فغر فاه ليلتهمني، فأوليتها ظهري، ورحت أعدو بعيدا عنها». كما تجلى ذلك في حالات من الإحساس الإنساني نحو الطبيعة، في حالة الحاجة الإنسانية إلى شذا الطبيعة وجمالها، انصرافا عن الناس وذلك في مثل قولها: «وقادتني قدماي إلى الحديقة على أمل أن يطفئ شذاها الرطب ما اشتعل بين جوانحي . . . ».

ولقد عبر الكاتب عن مثل هذه الحاجة عند احتدام اللواعج النفسية، وتزاحم ضغوطها، في وقفة الفتاة أمام اللوحة، حيث تفصح عن ذلك في قولها: «ولكن هاتفا في أعماقي كان يهتف بي ألا أجمد فمتعة النظر إلى اللوحة الجميلة تقشع صدأ النفس، وتفتح مغاليقها على معاني الحياة، فتطرد السأم وتبدد أكثر ما تعاني من ملل العيش الرتيب».

إذن نحن في هذه القصة أمام نمطين من اللغة، نمط يسير على نحو تقريري في

وصف الحدث، في لغة لا تحفل بالتصوير الشاعري، ونمط آخر يحفل بذلك التصوير فيجعل اللغة تطل بقناع كثيف على سير الحدث مما يجعلنا نسلم بأن طريقة البناء اللغوي بأي من هذين النمطين تقوم بدور وظيفي له قيمته التي تتضح من خلال الانتقال بين هذين الطريقين.

ولم يكن بناء القصة متيحا لتعدد قائلي الخطاب، أو مفاعلا بين أقوالهم حيث سيطر على بناء هذه القصة السرد بضمير المتكلم، فلم يكن لدينا شخصيات متعددة تتناوب الكلام، وينمو بينها الحوار، إضافة إلى تعاقب الزمن على نحو تتابعي، مما يجعلنا أمام نمط بنائي طوعت أحداثه للتوافق مع هدف الفكرة التي أراد الكاتب أن يعبر عنها، مما حدا باللغة في مواقف كثيرة من هذه القصة أن تسهب في إيضاح الرأي، ومناقشة الموقف، وترجمة خواطر النفس نحو القرار الذي تريد أن تتخذه، الأمر الذي يمكن أن نقول معه، إن اللغة كانت تأتي من خارج الحدث وإن صهر الأحداث لم يكن ليظهر في حركة اللغة بسبب من ذلك التناوب المبسط بين حركة الأحداث والأفكار التي يريد الكاتب الإفصاح عنها. ولربما دعانا تأمل العلاقة بين الحدث وحركة اللغة في هذه القصة إلى أن نقدم لذلك مغزى فنيا يتكئ على حالة الانفصال التي عاشتها بطلة القصة في الحياة الاجتماعية التي تحملها بالامتزاج معها والتعايش مع شخصياتها، فكانت إزاء كل ما ترى منكفئة على نفسها، ولم تكن الظروف مهيأة لتوافق ينتشلها من دوامة الأفكار التي سيطرت عليها وعلى رؤيتها للأحداث، فجاءت لغتها مترجمة لحالها. ومن هنا كانت التقريرية والخطابية التي تحملها القصة مستجيبة لحركة الحدث الذي أراد الكاتب تصويره.

وقد كان ذلك منسجماً مع جنس شخصية القصة (السارد) فهي أنثى تحمل الحياء والحرج، والتردد في قبول المغامرة.

ثم إن لغة القصة وعدم إدخالها العامية فيها، كما هو شأن السباعي في بعض قصصه الأخرى يتفق أيضا مع هذه الشخصية بمستواها الدراسي، ويتسق أيضا مع حالة الانكفاء إذ من شأن الإفصاح عن حوار عامي الإنباء عبر توغل في الحياة

الاجتماعية في تلك البيئة وهذا ما لم يحدث من هذه الفتاة.

الاعتماد على سرد المتكلم:

استمدت القصة لدى الرواد من المقال عناصرها بما تلبسته من أفكار إصلاحية، وبما جاء فيها من لغة تتخذ سبيل الإقناع من تأكيد وتكرار واستشهاد، وإيغال في التصوير في دوائر التجميل أو التنفير، لكن الأمر كما يرى سعيد السريحي ينبغي أن ينصب على تفكيك عناصر هذا البناء والبحث عن الهوية الخاصة لأسلوبية القصة التي تميزها عن المقال(١١). ولما كان نظرنا في هذه الدراسة يتجه إلى حركة اللغة، فإني أزعم أن تأمل ذلك يفضي إلى إعادة النظر في بعض المسلمات السائرة في ذلك وتمييز بعض القصص عن بعض، فإذا كنا في تحليل قصة السباعي السابقة قد وقفنا على نمطين من اللغة، نمط يسير على نحو تقريري في وصف الحدث، في لغة لا تحفل بالتصوير اللغوي، ونمط آخر يجعل اللغة تطل بقناع كثيف على سير الحدث، وتبينا من خلال ذلك بأن اللغة تقوم بدور وظيفي في بناء القصة في تحولها من نمط إلى آخر. وأن طبيعة الحديث الانتقادي من الفتاة لطبيعة ما تراه من نمط للحياة في ذلك المجتمع الذي هاجرت إليه كون من ذلك الحديث إنابة عما يريد السباعي على لسانها. إذا كان الأمر كذلك في القصة السابقة، فإن الأمر يختلف عند النظر إلى بناء قصة أحمد السباعي الذائعة الصيت «خالتي كدرجان»(١٢)، تلك القصة التي لم يكن بناؤها الفني خاضعا لأدبيات المقال، ذلك لأن إعلان الموقف من حال هذه العانس التي صاغها البناء القصصي لم يكن ليظهر إلا في كلمات يسيرة على لسان بعض الشخصيات بخلاف ما رأيناه في القصة السابقة.

ففي «خالتي كدرجان» نجد حضورا لفاعلية الراوي في نسيج هذه الأحداث، حيث قسم ذلك الحضور القصة إلى قسمين، القسم الأول: ظواهر تصرف هذه المرأة، ورصد الراوي عن قرب لذلك الأمر، وإظهار المفارقة بين رأيه في ذلك ورأي الآخرين. والقسم الثاني: الوقوف على تفسير لرأي الآخرين في ظواهر

سلوكها بحكاية قصتها وتوثيق ذلك من العجوز التي كانت من جارات أمه وتأكيد ذلك بأن استحلفها في تفسير تلك المفارقة.

وقد اعتمد الكاتب فيها على الراوي، الذي صاغ على لسانه الحكاية، وجعلنا منذ البدء أمامه وهو يروي الحدث الملتصق به، إذ جعل من هذه المرأة خالة له، فجعل عنوانها «خالتي كدرجان»، وجعل من وصفه لحالها شيئا مرتبطا بذاته، ومقترنا بأيام طفولته، وجعل نظرته لهذه المرأة تتحول بين الاندهاش أيام الطفولة، وبين التفسير والتبرير لما كان يرى حين شب عن الطوق.

ولعل هذا الأمر قد أضفى على اللغة في هذه القصة شيئا من الحيوية الفاعلة، إذ توغل الأحداث في زمن الطفولة المليء ليتغلغل ذلك الأمر في تفكيره حين يستعيد تفسير ما كان يرويه على ضوء رواية العجوز، فيحمل شيئا من الشفقة والعطف عليها، وقد لحظ الدكتور منصور الحازمي مسألة ارتباط قصص السباعي بأيام الطفولة وأعاد ذلك إلى تعلق السباعي بفترة أثرت في طفولته تأثيرا بالغا، وهي فترة أواخر العهد العثماني في الحجاز وأوائل العهد الهاشمي . . .(١٣)

يقول الحازمي: «إن الكاتب في أكثر كتبه وقصصه يحاول استعادة تلك الحقبة التاريخية العتيقة وانتشالها من براثن الإهمال والنسيان لا حبا فيها بل إنقاذا لذكريات الطفولة مهما كانت مرارتها في فمه وقلبه ولسانه»(١٤)

وعن الطفل السباعي في هذه القصة يقول الحازمي: «لذلك فإننا لا نستغرب إذا وجدنا أن الطفل هو البطل الحقيقي في قصة السباعي، يقوم بدور الراوي الذي يلاحظ ويرصد ويتدسس في كثير من الخبث والذكاء كما في قصة السباعي «خالتي كدرجان»(١٥)، وكان من البدهي تبعا لهذا التفسير أن يقول الحازمي بعد ذلك: «إن هذا التعلق العاطفي الشديد بالماضي» وبالطفولة وأيامها وأحداثها، قد جعل قصص السباعي أشبه بالمذكرات الشخصية التي تتحدث عن وقائع حقيقية شاهدها بنفسه أو رويت له، فهو يعيد روايتها بطريقته الخاصة . . . .»(١٦). ولكن ذلك لا ينبغي أن يؤدي إلى التقليل من فاعلية بناء قصص السباعي، وتقدير الدور الحيوي

للطفولة في بنائها، بجعل ذلك شيئا وظيفيا في بنائها وليس مجرد استعادة للذكريات، والفيصل في ذلك هو البحث عن حركة اللغة في مثل هذه القصة.

نستطيع أن نوجز مسيرة الحدث العام لهذه القصة - التي نؤكد على أن إيجازها هنا لا يغني عن بنائها الكامل - في ذلك العرض لحالة كدرجان وهي في سن الخمسين ولا ترغب الإفصاح عن عمرها، ثم في حال ذلك الطفل الذي يلتجئ إلى بيتها يختبئ عن أقرانه في حركة اللعب، ويرصد حركاتها التي تغالب الزمن بلباس أنيق، وترتيب مستمر لأثاث بيتها، وقيام بملء فراغها بالحركة في نصبة الشاي وتنظيف الأواني وتلميعها، وملاحظة الطفل للنعومة التي تتناول بها الأشياء... ثم في التوجع الذي يلاحظه على أمه وجاراته كلما مر بينهن ذكرها، ثم طلبه لمعرفة حقيقة خبرها من عجوز تخبرها بأن والدها الذي جاور بأسرته وتوفيت زوجه لم يزوجها خوفا من انتقال المال ليد أجنبية، ثم وقعت تحت وصاية ابن عمها الذي رفضت الزواج منه وبادلها العناد بعناد حيث رفض تزويجها، وعيشها بعد ذلك تترقب زوجا، إذ جاء من أقاربها من يحمل لها رسالة وأراد أن يتزوجها بعد عودته من بلده، ومضت السنون وهي تتصرف بوحي الأمل في ذلك الانتظار.

لقد كان لتلبس الراوي بمرحلة الطفولة أثره في التركيز على أمور أعطتها عينا الطفل شيئا من الدهشة على ما نلحظ في مثل قوله «وكنت كثيرا ما أشاهدها تجلس إلى (نصبة) الشاي وقد فرغت منه فتزيح (التبسي) و (الفناجين) وتركز في مكانهم فوق كرسي (النصبة) مرآة ثم تأخذ بيدها مقصا تمر به على شعر رأسها فتلتقط به شعرة من هنا وأخرى من هناك بيضاء ناصعة .....» ثم إن النظر الطفولي في الفرق بين معاملة وأخرى هو الذي أعطى لمعاملتها شيئا من التميز، ذلك الأمر الذي قد لا يحسه من شب عن الطوق، إذ أن ملاحظة الطفل للتغير والاختلاف تعطي ذلك الاختلاف معنى مغايرا لنظرة الكبير، وذلك لما في الأطفال من اندهاش في تلقي الأشياء، وقد التصقت الطفولة بحنو العانس على الطفل وارتياح الطفل للدخول إليها والجلوس عندها والاستماع إليها، فكان ذلك يجعل قوله «كانت

تخدم بيتها وهي في أحلى زينتها تلبس (الكرتة) من قماش رقيق شفاف، وتعقد شعرها بمشط تلمع فيه الفصوص، أما (الشبشب) الذي تتهادى به في خيلاء فكأنه لم يلبس في رجلها من يومه، وكنت ألاحظها وهي مغمورة في خدمتها رشيقة أكثر مما تعودت في بيتنا وفي جميع بيوت الجيران من حولنا . . . . . ».

مساوقا للصورة التي أراد أن يرسمها السباعي لهذه الشخصية، فكانت مثار تساؤل منذ الطفولة، وظل السؤال يكبر معه حتى عرف عنها ما سرده لنا.

ولقد كان وقوف الكاتب على سرد هذه الحيرة محيلا على حديث اللغة حين أطل على ذلك الموقف من بعد زمني وعقلي يجعله يتأمل ويزرع في لغة التذكر فن السرد، على نحو يفصح عنه وكأنه من بناء القصة في مثل قوله «ولا أذكر في ذلك السن الغرير - أنه كان يعنيني من أمر خالتي كدرجان شيء كما ينبغي أن أوفق بين هذه الحياة الناعمة الرشيقة التي كانت تحياها «خالتي كدرجان» وتتألق في عيني كطفل وبين هذا التوجع الذي ألاحظه على أمي وجاراتها كلما مر بينهن ذكراها . . . . » ذلك أن اللغة في هذه القصة كانت تقيم الحدث، حدث الخالة وتصرفها وعلاقة الطفل به، وتقيم التعليق عليه في التفسير والتحليل، ولكن ذلك التعليق جاء مخالفا لتعليقات كثيرة كانت تتخلل القصص في تلك الفترة، إذ جاء هذا التعليق متسقا مع طبيعة السرد، وكأنه مما يستذكره الفتى ويسترجعه من أحداث الطفولة، وذلك لأن البناء في القصة جعل ذلك التعليق وظيفيا، إذ كان لتفسير تساؤل قام في ذهن طفل يرى مفارقة بين تصرف العانس وحديث الناس عنها. (١٧)

ولعل تأملنا لمثل هذه القصة، وسابقتها التي عالجناها فيما مضى ينفي عن قصص هذه الفترة بعض الأحكام التي تسلخه عن الفن من مثل قول الدكتور بكري شيخ أمين: «تلك هي سمات المرحلة القصصية الأولى: أسلوب أدبي رائع، ورصف للصور الفنية والأخيلة المجنحة، واختيار متقن للألفاظ تعجب هواة الأساليب العربية الرفيعة، فيهتزون لقراءتها، ويطربون. ويقرأها هواة القصة الفنية

فلا تثير فيهم الحماسة ولا الانفعال بل لا تشدهم إلى ملاحقة حوادثها. . . »(١٨)
إذ حاولنا أن نقدم ما نراه سببا لاتخاذ اللغة هذا الأسلوب مما يجعل ذلك عملا فنيا أصيلا.

اتخاذ العامية سببا لنقل مشاهد الحوار في بعض القصص:

عني السباعي بأسلوبه اللغوي التصويري - كما سبقت الإشارة - واتخذ أحيانا لتلك العناية وجها آخر، يتمثل في المطابقة بين الشخصية في بساطتها، وحياتها اليومية، وما تنطق به، فيجعل الحوار بالعامية، وقد كان يؤكد على هدفه من هذا الأمر في مثل قوله:

« . . لم لا نترك أبطالنا في القصص إذا كانوا شعبيين يتحدثون إلينا بلهجاتهم الصادقة، وبأسلوبهم الشعبي الخاص، إن ذلك أوقع في النفس من أن تتكلف للبطل الشعبي في قصتك ألفاظا لا ينطقها، وأسلوبا لا يألفه ولا يتفق مع مستواه، إنها الواقعية تلزمنا صدق اللهجة - وتمتعنا بما في الحياة من أساليب خاصة وألحان عذبة»(١٩). ويتبين من حديث السباعي هذا أنه يرى ذلك الأمر سبيلا لإصلاح القص؛ حيث يحبذ الاتجاه إليه بطريقة الاستفهام الإنكاري، وكأنه يريد أن يخلي الطريق لذلك الأمر حين يقول: « . . لم لا نترك أبطالنا . . يتحدثون . . بلهجاتهم الصادقة وبأسلوبهم الشعبي الخاص». ثم يؤكد على ميزة ذلك واختلافه عما لو كان نطقهم بالفصحى. ويبين هذا أن السباعي واحد من أولئك الذين يعون قيمة فنهم، وقيمة ما يختارون من أسلوب، مما يجعله يدعو إليه، وهذا يخالف ما يراه الدكتور العطوي من أن الأدباء الأوائل لم يدعو إلى ممارسة الفن القصصي، ولم يكشفوا عن تنظيره. (٢٠)

ومن الأمثلة على إجراء الحوار بالعامية لدى السباعي، ما جاء في قصته «بعد أن طاب السفرجل» على لسان أهل الحارة و (أبو سعدية)(٢١):

« - عند الله ثم عندك يا أبو سعدية . . . إحنا ما تسينا إنك شلت الزينة على

رأسك. فتحت كيسك وبيتك . . الحارة ما تنسى لك جميلك. . إحنا ترى عندنا خرجة عازمين أهل النقا في الشهدا . . . إحنا بس نبغي الطليان منك والباقي على الله . . عندنا أبو صادق والشريم والبالع برضهم أهل فزعة ما هم متأخرين بس أنت سيد الكل . . رأس القايمة.

- يا مرحبا . . حيا الله نباكم . . بس ألحق صلاة العصر مع الجماعة وأرسلوا لي النقيب واللي تقولوه علي ماشي».

لقد جاء السباعي بهذا الحوار ليغرس شخصية «أبو سعدية» من خلال ما يرسمه من مكانة اجتماعية، وما فيه من سماحة نفس وحب للخير، وليظهر ذلك في موقف حي.

وقد كان هذا الأمر لدى السباعي متسقا مع اهتمامه بالمسرح، حيث كان يريد أن يظهر أبطاله في «صميم الحياة» - على حد تعبيره - ولينقل للقارئ ما تحمله العامية من سخرية وسخط وتعجب في المواقف التي يحكي مشاهدها ويصورها، وكان السباعي يقصر العامية على الحوار، وعلى حديث الذات إلى نفسها، ويجعل سرد قصصه بالفصحى لأنه يعي مكانتها، وضرورة الالتزام بها، وإرثها الثقافي والقومي، فحين نقف على هذا المشهد من نقله لحديث المرأة مع زوجها حين جاءها بالطفل في قصة «اليتيم المعذب»(٢٢) - بالله ما قصر أعطاك هيا؟ الله يجزيك بالخير !! يا دكتور!! أنت بالله راجل هادا طولك! وهادا عرضك ينضحك عليك. يعني إحنا ناقصين غلب . . رايح تجب لي غلب فوق غلبي صدقوا أهل المثل لما يقولوا: ما كفاني أبويه راح أبويه جاب أبوه»

نجده يقول بعد ذلك ساردا بالفصحى «قالت هذا وهي تضرب بيدها على صدرها في أسف واستياء. ثم ولته أكتافها وهي تواصل تقريعها في ألفاظ جافية، وعبارات قاسية»

ولكي ينقل لنا جفاء العبارات وقسوتها في هذه اللحظة، استحضر شيئا مما قالته بالعامية فقولها قوله «قال أعطي له هيا الدكتور ما قصر . . الله يقصر عمرك

أنت والدكتور اللي اعطاك هيا» حيث تراها في هذه اللحظة يمتلئ عليها الوجود بمسألة إعطاء الدكتور الطفل فأخذت تردد ذلك ساخرة وساخطة.

فهو يوظف العامية لحيويتها حين يلتصق القول بالشخصية وهي تحاور أو تجادل نفسها، ويعتمد على السرد بالفصحى، فلا يكون إذن مازجا بين العامية المحلية والعربية الفصحى في أسلوبه القصصي كما يرى الدكتور الفوزان(٢٣) وإنما أسلوبه القصصي فصيح يتخذ العامية سبيلا أحيانا لنقل الحوار، وحديث الشخصيات إلى ذواتها.

*****

الهوامش:

(١) ولد أحمد محمد السباعي بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ، وتوفي عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. له جهوده الواضحة في الميدان الصحفي تحريرا وإصدارا وإدارة، فقد رأس تحرير صحيفة صوت الحجاز، وأصدر جريدة الندوة، وأسس مجلة و(مطبعة) قريش الأسبوعية.
وشهر بعنايته بالمسرح، وأصدر عددا من الأعمال الأدبية والقصصية، ولمزيد من التفاصيل راجع ترجمته في: معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية: رقم ٣١٧ ص٧١، ٧٢، الدائرة للإعلام المحدودة، الرياض، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) د. بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية: ٤٧، دار صادر بيروت سنة ١٣٩٢هـ.

(٣) المصدر السابق: ٤٧٢

(٤) د. منصور الحازمي: فن القصة في الأدب السعودي الحديث: ١١٥ دار العلوم، الرياض سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٥) د. محمد صالح الشنطي: القصة القصيرة المعاصرة في المملكة السعودية ١٩، دار المريخ للنشر، الرياض سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٦) المصدر السابق: ٢٠
(٧) وهذا يخالف ما أشار إليه الدكتور طلعت صبح السيد حين قال «وعلى هذا فإن السباعي يهجر في أعماله القصصية طريقة الشعر وأسلوبه» انظر كتابه: العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية: ٤٦ نادي القصيم الأدبي ببريدة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(٨) انظر د. بكري شيخ أمين: كتابه السابق: ٤٧٠ وسعيد مصلح السريحي: تقليب الحطب على النار.. في لغة السرد: ٢٢ النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ. و د. مسعد بن عيد العطوي: الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية: ٢٦ نادي القصيم الأدبي ببريدة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.
(٩) أحمد السباعي: أوراق مطوية: ٣٠٣ - ٣٠٧ نادي الطائف الأدبي. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، والاقتباسات التالية من القصة أخذت منه.
(١٠) أحمد السباعي: السابق: ٣١٣ - ٣٢٠ والاقتباسات التالية من القصة أخذت منه.
(١١) سعيد مصلح السريحي: كتابه السابق: ١٥
(١٢) أحمد السباعي: خالتي كدرجان وقصص أخرى: ١١ - ١٩، مكة المكرمة، مطابع قريش ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، والاقتباسات التالية من القصة أخذت منه.
(١٣) د. منصور الحازمي: كتابه السابق: ١١٣
(١٤) السابق: ١١٣ - ١١٤
(١٥) السابق ١١٤
(١٦) السابق ١١٤
(١٧) ويختلف ذلك أيضا عن تعليق السباعي في بعض قصصه مثل قصة «اليتيم

المعذب» التي يفضل فيها التعليق عن مسار السرد، حيث يتجه إلى خطاب القارئ فيقول مثلا «ولو استطاع القارئ أن يهتك الأسرار عن حقيقة اللص لأدرك أنه صاحبنا علوة . . » انظر : أحمد السباعي : كتابه السابق : ٦٢ .

(١٨) د. بكري شيخ أمين : كتابه السابق : ٤٧٣

(١٩) جريدة حراء العدد ٥٢، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، نقلا عن : د. إبراهيم فوزان الفوزان : الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد : ٢/ ٧٤٦ الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢٠) د. مسعد عيد العطوي : كتابه السابق : ١٦، ومن الدلائل على وعي السباعي بما يتجه إليه في فنه القصصي قوله في بدء مجموعته «خالتي كدرجان» : «أردتها أقاصيص من صميم الحياة . . أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش! ! وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بداوتنا الخاطئة! !»

(٢١) أحمد السباعي : كتابه السابق : ١٠١

(٢٢) السابق : ٣٦ والاقتباسان التاليان من الصفحة نفسها.

(٢٣) د. إبراهيم فوزان الفوزان : كتابه السابق : ٢/ ٧٤٦.

******

التنافس السعودي البوسعيدي
في جنوب غرب الخليج العربي
١٢١٢ - ١٢٢٠ / ١٧٩٧ - ١٨٠٥م

د. عويضه بن متيريك الجهني
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

تمهيـد :

في بداية القرن الثالث عشر الهجري / أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، برزت على طول الساحل الشرقي لجزيرة العرب أربع قوى سياسية منها اثنتان رئيستان هما : الدولة السعودية وحكومة مسقط البوسعيدية ، واثنتان فرعيتان هما : الاتحاد القاسمي ومشيخات العتوب ، وقد أبدت القوتان الرئيستان رغبة شديدة في التوسع وأخذتا في التنافس على النفوذ على القوتين الفرعيتين وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

ستحاول هذه الدراسة الإسهام في معرفة الظروف التي دفعت كلاً من الدولة السعودية وحكومة مسقط إلى التنافس على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج ، من ناحية ، والدوافع التي أسهمت في توجيه مواقف تلك القبائل من كلا الدولتين من

ناحية أخرى . كما ستحاول الدراسة تحليل أثر مقتل السيد سلطان بن أحمد ، حاكم مسقط ، على مسار ذلك التنافس وعلى مواقف القواسم والعتوب وأهل الظاهرة منه . ولأن جذور هذا التنافس لها علاقة وثيقة بالظروف التي صاحبت نشأة القوى المشار إليها ، فقد تطلبت هذه الدراسة الحديث عن نشأة تلك القوى للتعرف على الجذور الأولى لذلك التنافس . ويعود اقتصار هذه الدراسة على الفترة المحددة أعلاه لكون بدايتها تمثل بداية التنافس والاحتكاك بين الدولة السعودية وحكومة مسقط ، بينما تمثل نهايتها مقتل السيد سلطان بن أحمد وما ترتب على مقتله من نتائج كان لها أثر بعيد على ميزان ذلك التنافس .

أ - ظهور البوسعيديين وحكومة مسقط :

في أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ضعف نفوذ اليعاربة - حكام عمان - وأخذ زعماؤهم يتنازعون الإمامة ، وقد أدى ذلك إلى انقسام القبائل العمانية (١) إلى فئات دينية - سياسية ، واستعانة بعض الزعماء المتنافسين بالفرس ضد خصومهم مما نتج عنه احتلال الحاميات الفارسية لبعض الموانئ والمدن العمانية عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م (٢) .

كان من أبرز عمال اليعاربة في أواخر أيامهم ، أحمد بن سعيد البوسعيدي ، حاكم بلدة صحار . وقد استغل هذا الحاكم ضعف أسرة اليعاربة وتنافسهم على الحكم ووفاة اثنين من الأئمة اليعاربة المتنافسين في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م ونفور العمانيين من النفوذ الفارسي في بلادهم ، فأخذ في تقوية مركزه في صحار وحمل على عاتقه مهمة طرد الفرس من البلاد . وبعد أن نجح في إخراج القوات الفارسية من عمان ، اختاره العمانيون إماماً في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م . وبذلك وضع أساس أسرة حاكمة جديدة في عمان هي أسرة البوسعيديين (٣) .

تمتعت عمان بهدوء نسبي خلال فترة حكم الإمام أحمد بن سعيد الذي استمر قريباً من أربعين عاماً . لكن ذلك الإمام لم يستطع التغلب على مشكلة انقسام القبائل العمانية إلى هناوية وغافرية ، حيث كان الثوار والطامعون في السلطة يستغلون ذلك الانقسام للتخلص من نفوذ الحكومة المركزية ، كذلك لم يتمكن الإمام أحمد من فرض سلطته على جميع المناطق والقبائل العمانية ، خاصة مناطق الشمال (الصير) والظاهرة التي تنتمي أغلب قبائلها إلى الحزب الغافري (٤) .

ويظهر أنه كان لضعف نفوذ الإمام أحمد بن سعيد في الصير والظاهرة وغيرهما من المناطق الداخلية ، وكونه حاكماً سابقاً لميناء صحار وأحد تجاره دور في تركيز ذلك الإمام لسلطته في أقاليم الباطنة والبلدان الساحلية واهتمامه الكبير بالتجارة والملاحة . حيث أصبحت مسقط بفضل ذلك الاهتمام وبفضل نشاط الأوروبيين التجاري

في الخليج وانتقال وكالة شركة الهند الشرقية من بندر عباس إلى البصرة في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م مركزاً تجارياً مهماً تمر به المراكب والسفن التجارية المترددة بين الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر وحوض الخليج العربي (٥) . خلف سعيد أباه الإمام أحمد بن سعيد عند وفاته عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م ، لكن الإمام سعيد كان حاكماً منحازاً إلى الهناوية ، خاملاً قبع في عاصمته الرستاق في الداخل ولم يدرك التحول الذي كانت تمر به عمان (٦) . ولما شعر ابنه ، السيد حمد بن سعيد بقرب فقدان أبيه للسيطرة على البلاد نتيجة لسوء سياسته وإصراره على البقاء في الرستاق وطمع أعمامه في الحكم ، احتال للقبض على زمام الأمور في مسقط منذ عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م ، وأخذ يحكم أغلب الأقاليم العمانية وخاصة الساحلية وزنجبار في شرق أفريقيا من مسقط ، ولم يترك لأبيه سوى الإمامة وحكم الرستاق وبعض الأماكن الداخلية . وبذلك اقتسمت البلاد العمانية حكومتان ؛ الإمامة في الرستاق والداخل ، وحكومة مسقط في السواحل والأقاليم التابعة لها فيما وراء البحار (٧) . وقد اهتم حكام مسقط خلال هذه الفترة بتطوير اسطولهم وتجارتهم وخاصة مع الفرنسيين في جزيرة فرنسا (ILE DE FRANCE) أو موريشوس (MAURITIUS) في غرب المحيط الهندي ، وحكام ميسور في الهند (٨) .

عندما توفى السيد حمد في عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م سارع عمه السيد سلطان ابن أحمد للاستيلاء على مسقط والسلطة في عمان معتمداً على الحزب الغافري . ولما عجز إخوته الآخرون عن التغلب عليه ، عقد ممثلون عنهم اجتماعاً في بركة ، اتفقوا فيه على تقسيم البلاد بينهم ، فاستقل قيس بصحار ، ومحمد بالسويق ، وأحتفظ سلطان بمسقط وبركة والمصنعة والمناطق الساحلية وتدبير الشؤون السياسية العليا في الدولة ، وتركوا للإمام سعيد الرستاق والإمامة (٩) .

أدرك السيد سلطان بن أحمد (١٢٠٧-١٢١٩هـ/ ١٧٩٣ - ١٨٠٤م) مثل ابن أخيه وسلفه السيد حمد بن سعيد الأهمية المتنامية لمسقط والمناطق الساحلية التي اكتسبتها بفضل نمو التجارة في الخليج ، فاهتم بتطوير القوة البحرية والأسطول

التجاري العماني . كما أخذ في توسيع نفوذه السياسي والتجاري على سواحل الخليج العربي وسواحل فارس ومكران وساحل شرق إفريقيا ، فاستولى على جوادر وشهبار على ساحل مكران ، كما استولى على جزيرة البحرين لفترة قصيرة وجزيرتي قشم وهرمز في مدخل الخليج ، كما حصل على عقد إيجار لميناء بندر عباس من الحكومة الفارسية ، وطور تجارة زنجبار والمناطق المجاورة لها مع مسقط وموريشوس (١٠) .

وفي عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م خافت حكومة الهند البريطانية من نشاطات الفرنسيين في الشرق على مصالحها في الهند والبحار الشرقية ، فعقدت معاهدة (قولنامة) مع السيد سلطان تعهد بموجبها ، باعتبار حكومة الهند صديقة له وصديقها صديقاً له وعدوها عدواً له وقطع كل علاقاته بالفرنسيين والهولنديين ، وأن يسمح للبريطانيين بإقامة وكالة بريطانية في بلاده ويمنحهم تسهيلات سياسية وتجارية وضرائبية كبيرة لم يكن البريطانيون يحلمون بها ، أو يجرؤ أسلافه من حكام عمان على التنازل عنها . (١١) ، ويظهر أن للتوجهات الجديدة لحكومة مسقط نحو البحر والتجارة والعالم الخارجي ، والمصالح التجارية العمانية الكبيرة والمتزايدة في الهند وسيطرة البريطانيين على تلك البلاد في نهاية القرن دوراً كبيراً في ذلك . ومن جهة أخرى ، فإن الانقسامات المذهبية والقبلية في عمان والطموحات الإقليمية والتجارية التي كان يسعى إليها السيد سلطان ، قد أدخلته في حروب مع أغلب القوى والقبائل في حوض الخليج . وقد اعتقد السيد سلطان أن البريطانيين الذين أصبحوا أكبر قوة في الهند والبحار الشرقية سيمدون له يد العون ضد خصومه ويساهمون في تحقيق طموحاته إذا تحالف معهم (١٢) .

أصبحت مسقط خلال حكم السيد سلطان بن أحمد العاصمة السياسية لعمان ، كما أصبحت المركز الرئيس (EMPORIUM) لتبادل التجارة بين حوض الخليج العربي وبين الهند والبحر الأحمر وشرق إفريقيا (١٣) . وقد ترتب على هذا التوجه الجديد في سياسة السيد سلطان وسلفه نتيجة مهمة وهي توجه اهتمام حكام مسقط

تجاه البحر والتجارة والعالم الخارجي وإهمالهم لأمور الإمامة والقبائل والأقاليم الداخلية . وفي هذا الوقت بالذات ، بدأت عمان تتعرض لضغوط سياسية وعسكرية من داخل الجزيرة العربية أخذت تمارسها الدولة السعودية ، وكان للتوجهات والاهتمامات الجديدة لحكام مسقط المشار إليها أعلاه ، الأثر الكبير في الكيفية التي استجاب بها السيد سلطان بن أحمد لتلك الضغوط والطريقة التي واجه بها حملات الدولة السعودية كما سنرى من خلال هذه الدراسة .

ب - ظهور الاتحاد القاسمي :

نتج عن ضعف أسرة اليعاربة والانقسامات الدينية والسياسية التي تبعت ذلك والتي سبقت الإشارة إليها انحسار نفوذ حكام عمان عن سواحل وقبائل شمال عمان (الصير) . وقد برز خلال هذه الفترة شيوخ القواسم في جلفار (رأس الخيمة) في الصير وتمكنوا من توحيد أكثر قبائل الصير تحت نفوذهم وتكوين قوة سياسية وبحرية في شمال عمان ، وقد شكل هذا الاتحاد القاسمي قسماً مهماً من الفئة أو الحزب الغافري في أواخر عهد الأئمة اليعاربة (١٤) .

اتجه القواسم في فترة مبكرة من القرن الثاني عشرة للهجرة / الثامن عشر للميلاد إلى البحر وامتلكوا المراكب من مختلف الأحجام واستخدموها في صيد الأسماك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ، كما استخدموها في نقل التجارة بين الموانئ العمانية ، وبين موانئ حوض الخليج العربي وبين موانئ الهند (١٥) . وفي عام ١١٢٩هـ / ١٧١٧م أسهم القواسم مع الإمام سلطان بن سيف الثاني اليعربي في الاستيلاء على جزر قشم والبحرين ولارك وحصار هرمز . وبعد ذلك بعدة سنوات قام شيخ القواسم بإنشاء ميناء له في باسيدو على جزيرة قشم ، استقطب قسماً كبيراً من تجارة ميناء بندر عباس مما اضطر السيد درابر (W.H. DRAPER) وكيل شركة الهند الشرقية في ذلك الميناء إلى القيام بحملة بحرية ضد القواسم وإجبارهم على دفع تعويض عن الخسارة التي سببها ميناؤهم الجديد لعوائد الشركة في بندر

عباس(١٦) .

لما جاء البوسعيديون إلى الحكم في عمان ، دخل القواسم وحلفاؤهم من قبائل الصير والظاهرة معهم في نزاع وحروب بسبب انتماء البوسعيديين للقبائل الهناوية واعتمادهم عليها ومحاولة الإمام أحمد بن سعيد مد نفوذه إلى بلاد الصير والشمال وحرص القواسم على الاحتفاظ باستقلالهم (١٧) . إضافة إلى تلك الدوافع الدينية والسياسية للنزاع بين البوسعيديين والاتحاد القاسمي كانت هناك دوافع اقتصادية مهمة أساسها المنافسة على نقل تجارة الخليج العربي والسيطرة على مدخل ذلك الممر المائي والجزر التي تتحكم في ذلك المدخل (١٨) .

إن من اللافت للانتباه أن كلاً من شيوخ القواسم والبوسعيديين برزوا خلال الفترة نفسها ، على إثر ضعف سلالة اليعاربة ونهاية دولتهم في عمان من ناحية ، وضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج من ناحية أخرى . وأبدى الطرفان كلاهما اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة ، وكونا الأساطيل التجارية التي اشتغلت في نقل السلع بين موانئ الخليج المختلفة وبينها وبين موانئ سواحل الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر (١٩) . وقد حاول الإمام أحمد بن سعيد كسب القواسم إلى جانبه والاستفادة من أسطولهم الكبير وتفوقهم البحري في تحقيق طموحاته السياسية والتجارية في حوض الخليج ونجح عدة مرات في الحصول على مساعدتهم وخاصة ضد الفرس (٢٠) . لكن شيوخ القواسم كانوا دائماً يصرون على استقلالهم بالسيطرة على السواحل الشمالية والتأكيد على أحقيتهم بالتحكم في مدخل الخليج وجزره القريبة من تلك السواحل . ولذلك كانت الحروب تتجدد بين الطرفين كلما شعر أولئك الشيوخ بأن حاكم عمان يهدد مصالحهم التجارية أو يحاول فرض نفوذه السياسي على مناطقهم (٢١) .

والواقع أن شيوخ القواسم كانوا أسبق من الحكام البوسعيديين في التنبه إلى أهمية السيطرة على مدخل الخليج وجزره واستغلال الفراغ السياسي والملاحي الذي نتج عن ضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج العربي . فقد استغل

الشيخ راشد بن مطر (١١٧١ - ١١٩١هـ/ ١٧٥٨ - ١٧٧٧م) وابنه وخليفته الشيخ صقر بن راشد (١١٩١ - ١٢١٨هـ/ ١٧٧٧ - ١٨٠٣م) الاضطرابات والفوضى التي أعقبت مقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م ، ثم وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م لمد نفوذ القواسم في بعض الفترات إلى موانئ وجزر الساحل الشرقي للخليج مثل جزيرة قشم ولنجه وكنج ولفت وغيرها . كما وقعت في أيديهم بعض قطع الأسطول الفارسي عن طريق تحالفهم مع ملا علي شاه حاكم جزيرة هرمز وبندر عباس وقائد الأسطول الفارسي (٢٢) . وقد نمت قوة الاتحاد القاسمي خلال عهد الشيخين المذكورين وكثرت مراكبه وازدادت نشاطاته التجارية والعسكرية وأصبح يشكل أحد أهم القوى البحرية في حوض الخليج العربي (٢٣) .

أتاحت الخلافات التي أثارها بعض أبناء الإمام أحمد بن سعيد ضد والدهم منذ عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م ، ثم الصراع بين أولئك الأبناء على الحكم بعد وفاته عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م للقواسم الفرصة للتدخل في شؤون عمان السياسية والوقوف إلى جانب بعض أطراف النزاع ، حيث كان بعض أبناء الإمام أحمد وخاصة سيف وسلطان يتحالفون مع شيوخ القواسم في نزاعهم مع أبيهم ثم مع أخيهم الإمام سعيد بن أحمد (٢٤) . وقد استغل شيوخ القواسم تلك الخلافات ومشاركتهم فيها لتدعيم استقلالهم وتوسيع نفوذهم في سواحل الشمال وموانئه ، فاستولوا على بعض المناطق والبلدان مثل خورفكان ، دبا ، رأس مسندم ، رمس ، الجزيرة الحمراء ، أم القيوين ، عجمان والشارقة ، وسيطروا على طول ساحل الصير الواقع بين خورفكان والشارقة (٢٥) . وبذلك سيطر القواسم على مدخل الخليج العربي عند رأس شبه جزيرة مسندم وقشم وأخذوا ينافسون العمانيين والعتوب والبريطانيين وغيرهم ممن يعمل في نقل التجارة وتضاربت مصالحهم بشكل خاص مع مصالح حكام مسقط .

ج - ظهور مشيخات العتوب :

العتوب هم جماعات من العشائر والأسر أبرزها آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة هاجرت من داخل الجزيرة العربية إلى ساحل الخليج العربي خلال القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد (٢٦) . وبعد حوالي نصف قرن من التجوال بين سواحل وموانئ الخليج العربي استقرت تلك العشائر في موقع بلدة الكويت في بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر للميلاد ضمن نفوذ وتحت حماية شيوخ بني خالد ، حكام الأحساء (٢٧) . وقد تعلم العتوب خلال فترة تجوالهم في نواحي الخليج وبعد استقرارهم في الكويت ركوب البحر واقتنوا المراكب واشتغلوا بصيد السمك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ونقل التجارة ، ونمت بلدتهم نمواً سريعاً . وقد وصف الرحالة الدانمركي نيبور NIEBUHR الذي مر بالخليج عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، القرين GRAIN (الكويت) بأنه ميناء بحري يشتغل سكانه على أكثر من ٨٠٠ مركب في صيد السمك واللؤلؤ والتجارة (٢٨) .

وفي عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م انفصل آل خليفة وغادروا الكويت جنوباً حيث استقروا في بلدة الزبارة الواقعة على الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة قطر ، ثم انضم إليهم بعد فترة قصيرة بنو عمومتهم الجلاهمة (٢٩) . وتذكر المصادر أسباباً مختلفة لانفصال آل خليفة والجلاهمة ومغادرتهم الكويت إلى قطر أبرزها الضغوط التي بدأت تتعرض لها مستوطنة العتوب التجارية من قبل بني كعب شيوخ المحمرة ، والخلاف الذي نشأ بين آل خليفة وآل صباح حول مشيخة البلدة (٣٠) . ويضيف السيد واردن F.WARDEN عضو مجلس حكومة بومبى سبباً مهماً وهو أن آل خليفة الذين كانوا يديرون الأمور التجارية في المستوطنة أرادوا الانتقال إلى موضع قريب من مغاصات اللؤلؤ حول جزيرة البحرين للسيطرة عليها وممارسة الغوص بأنفسهم وزيادة ثروتهم (٣١) . وكان العتوب المهاجرون في البداية يريدون الاستقرار في جزيرة البحرين فلما رفض حكام الجزيرة ذلك أرسوا مراكبهم في الزبارة - قبالة

البحرين - ضمن نفوذ شيوخ بني خالد (٣٢) .

نمت بلدة الزبارة بسرعة كبيرة بفضل توثيق العتوب لعلاقاتهم مع شيوخ بني خالد وقبائل شبه جزيرة قطر واهتمامهم الشديد بالغوص والمتاجرة باللؤلؤ وجعل بلدتهم مركزاً للتبادل التجاري بين مسقط وغيرها من موانئ الخليج وبين الأحساء ونجد ، وقد أسهم عدم فرض ضرائب استيراد أو تصدير في الزبارة في استقطاب عدد من تجار الخليج العربي إليها (٣٣) . لقد جعل العتوب من الكويت والزبارة مدناً أهلة بالسكان ومراكز تجارية نشطة وثرية ، فأشتغلوا بالتجارة والملاحة والغوص ، وملكوا المراكب من مختلف الأحجام وأخذوا ينقلون عليها السلع بين موانئ الخليج المختلفة ، واستفادوا من اضطراب الأوضاع في جنوب الخليج وبلاد فارس والعراق حيث انتقل إلى الكويت والزبارة عدد من تجار البصرة وغيرهم من تجار موانئ الخليج (٣٤) .

أثار ازدهار مشيخات العتوب وسيطرتها على قسم كبير من تجارة اللؤلؤ ونقل البضائع غيرة حكومة فارس وشيوخ الساحل الشرقي للخليج الخاضعين لنفوذها مثل شيوخ بني كعب وبوشهر وبندر ريق والقواسم وهرمز وغيرهم . وكان أشد أولئك الشيوخ تخوفاً من زيادة قوة العتوب ، الشيخ نصر آل مذكور شيخ بوشهر الذي كان يحكم البحرين أيضاً نيابة عن الفرس (٣٥) . لذلك ، أخذ حكام فارس والشيوخ التابعون لهم بزعامة شيخ بوشهر يشنون الهجمات على الزبارة والكويت منذ عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م ، لكن العتوب كانوا يتمكنون دائماً من صد تلك الهجمات ، مما أغرى شيخ الزبارة ، أحمد بن خليفة بالاستيلاء على البحرين في صيف عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م بمساعدة قبائل قطر والجلاهمة وعتوب الكويت وطرد الحامية الفارسية منها (٣٦) .

بالرغم من أن الشيخ أحمد بن خليفة لم يبادر إلى نقل مركز حكومته من الزبارة إلى البحرين ، إلا أن العتوب أضافوا إلى مناطق نفوذهم منطقة غنية بمواردها الاقتصادية وإمكاناتها التجارية . وقد عَدَّ المؤرخ آرنولد ولسون A. WILSON

استيلاء العتوب على البحرين من أهم أحداث الخليج في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وقارنه بأهمية ظهور سلطنة مسقط الذي حدث بعده بحوالي عشر سنوات (٣٧) . أما السيدان صاموئيل مانستي S. MANESTY وهارفرد جونز H. JONES ، وكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة فقد ذكرا في تقريرهما عن تجارة الجزيرة العربية وبلاد فارس الذي كتباه في صيف عام ١٧٩٠م (١٢٠٤هـ) ، أن استيلاء العتوب على جزيرة البحرين مؤخراً واستيطانهم بها قد شجع تلك القبيلة على شراء مراكب قادرة على الإبحار من هناك إلى الهند واستخدامها في رحلات تجارية إلى تلك البلاد ، وبذلك أصبحوا قادرين على إيصال اللؤلؤ إلى سورات مباشرة واستيراد السلع الهندية والأوروبية الضرورية سنوياً إلى الزبارة والقطيف دون الاضطرار إلى دفع الضرائب التي كانت تفرض عليها عند المرور بمسقط (٣٨) .

وقد خلص مانستي وجونز في تقريرهما إلى « أن الكويت والزبارة والبحرين . . . تخضع لحكومة العتوب الموحدة بزعامة الشيخين أحمد بن خليفة وعبدالله بن صباح اللذين كانا يتمتعان بمكانة مرموقة ونجحا في إحراز أهمية كبيرة لقبيلتهما التي تحظى الآن بالهيبة والاحترام في الخليج العربي وبالتالي أصبحت أقوى القبائل العربية المبحرة فيه . إن لدى العتوب مراكب كثيرة وكبيرة وقد سيطروا على كل تجارة النقل بين مسقط وموانئ الساحل العربي للخليج وعلى قسم مهم من تجارة النقل بين مسقط والبصرة . إن حكومة الكويت والزبارة والبحرين يمكن أن تقارن بحق من حيث الهيبة والحزم والعدل بحكومة مسقط » (٣٩) .

لقد أقام العتوب قوة تجارية وسياسية على الساحل الغربي للخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي واستقطبوا جزءاً مهماً من تجارة جنوب وشرق ذلك المعر المائي . وقد استفادت مستوطناتهم في الكويت والزبارة والبحرين من نمو الحركة التجارية التي نتجت عن نشاط الأوروبيين وغيرهم في حوض الخليج العربي خلال القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . كما استفادت أيضاً من اضطراب الملاحة في جنوب الخليج الناتج عن حروب القواسم

مع حكومة مسقط ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق وخاصة البصرة بسبب طاعون عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م وحصار الفرس لتلك البلدة ثم استيلائهم عليها بين عامي ١١٨٩ - ١١٩٣هـ/ ١٧٧٥ - ١٧٧٩م ، وتدهور الأوضاع السياسية والتجارية في بلاد فارس بعد وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م (٤٠) . كذلك اقتطع العتوب قسماً مهماً من تجارة النقل البحري بين الهند وموانئ الخليج العربي ، وأصبحت مستوطناتهم مراكز استيراد لبضائع الهند وأوروبا وحوض البحر الأحمر ونواحي الخليج وتوزيعها من هناك إلى الأحساء ونجد وبغداد ودمشق وحلب . وقد أسهم في نمو هذه المراكز تدني الضرائب المفروضة على السلع المارة بها (٤١) .

إن من أهم النتائج التي ترتبت على ظهور العتوب هي انتقال قسم كبير من النشاط التجاري والملاحي في حوض الخليج العربي إلى ساحله الغربي المتصل بنجد بعد أن كان ذلك النشاط مقصوراً على مدخل الخليج وساحله الشرقي . وأهم من ذلك أن ظهور وازدهار مستوطنات العتوب التجاري والملاحي كان على حساب موانئ جنوب وشرق الخليج وخاصة مسقط ، فقد اقتطع العتوب جزءاً كبيراً من تجارة النقل البحري في الخليج التي كان يسيطر عليها العمانيون وزادوا على ذلك بأن اقتنوا المراكب الكبيرة التي جلبوا عليها بضائع الهند مباشرة دون المرور بمسقط أو دفع الضرائب لها . ولما كان ازدهار نشاط مستوطنات العتوب الملاحي والتجاري متزامناً مع ظهور حكومة مسقط وتركيزها على النشاطات نفسها ، كان لا بد أن يحدث تنافس وصراع بين الطرفين وكان لا بد أن يحاول العمانيون استعادة امتيازاتهم السابقة والمحافظة على مصالحهم التجارية في الخليج .

د - ظهور الدولة السعودية في نجد وامتداد نفوذها إلى شرق جزيرة العرب:

ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية في نجد حوالي منتصف القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . وقد آزر تلك الدعوة الإصلاحية، الأمير محمد بن سعود حاكم الدرعية (١١٣٩ - ١١٧٩هـ / ١٧٢٧ - ١٧٦٥م) . وقد توجت مجهودات الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود وابنه وخليفته الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود لنشر الدعوة وتطبيق مبادئها بتوحيد الأقاليم النجدية تحت مظلة حكومة مركزية في أواخر ذلك القرن ، هي الدولة السعودية (٤٢) .

كان يحكم واحتي الأحساء والقطيف وشرق جزيرة العرب آل حميد ، شيوخ بني خالد ، كما كان لآل حميد نفوذ على بعض قبائل وبلدان نجد . ولذلك كانوا أول من شعر بخطورة ظهور الدولة السعودية خارج نجد . قام شيوخ بني خالد بعدد من الحملات العسكرية ضد حكومة الدرعية ولمساعدة القوى المعارضة لها في نجد منذ عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م ، لكن جميع تلك الحملات كان مصيرها الفشل . وقد أسهم في فشل جهود شيوخ بني خالد للقضاء على الدولة السعودية - بالرغم من قوة نفوذهم في الأحساء ونجد - التنازع المستمر على السلطة بين زعمائهم (٤٣) .

والواقع أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه في الحكم (١١٧٩ - ١٢١٨هـ / ١٧٦٥ - ١٨٠٣م) بدأ يمد نظره إلى الأحساء وسواحل الخليج العربي قبل أن يتم توحيد الأقاليم النجدية (٤٤) . لكن الهجمات الهادفة إلى الاستيلاء على المنطقة لم تبدأ إلا بعد سيطرته على نجد في بداية القرن الثالث عشر الهجري . وقد استمرت غزوات السعوديين ضد بني خالد والأحساء والقطيف وقراهما طوال العقد الأول من ذلك القرن حتى تمكنوا من كسر شوكة بني خالد وفرض نفوذهم على الأحساء والقطيف وسواحلهما . وقد قاد أغلب تلك

الغزوات الأمير سعود بن عبدالعزيز وإبراهيم بن عفيصان ، وقد أسهم في تسهيل مهمة السعوديين في الأحساء والقطيف ، تجدد النزاع بين روساء بني خالد على السلطة منذ عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م (٤٥) .

كان من الطبيعي أن يلتفت القادة السعوديون بعد سيطرتهم على الأحساء إلى مستوطنات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين ، لأن هذه المستوطنات - فيما عدا البحرين - كانت ضمن نفوذ شيوخ بني خالد الذين ورث السعوديون سلطتهم هناك . هذا بالإضافة إلى مرور أغلب تجارة الأحساء ونجد عن طريقها ، ولجوء بعض المعارضين لحكم السعوديين إليها (٤٦) .

برزت الدولة السعودية خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (١٧٩٦م/ ١٨٠٥م) كقوة سياسية وعسكرية عظيمة امتد نفوذها إلى أغلب أقاليم جزيرة العرب ووصلت جيوشها إلى شمال عمان وجنوب العراق وإلى الحجاز وعسير وأطراف اليمن . وأصبحت تلك الدولة قوة مرهوبة الجانب ذات أثر كبير على جميع الأقاليم والقبائل المجاورة لها وخاصة في حوض الخليج العربي . وقد تزامن بروز وتوسع الدولة السعودية مع ظهور وازدهار دولة البوسعيديين في عمان ومسقط والاتحاد القاسمي في شمال عمان ومشيخات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين . وقد أعطى هذا التطور السياسي والعسكري والتجاري ثقلاً وأهمية للساحل الغربي من حوض الخليج العربي . وبما أن الدولة السعودية وحكومة مسقط كانتا أقوى تلك الكيانات فكان لا بد أن يدخل الطرفان في تنافس وسباق للسيطرة على الأقاليم والقبائل والكيانات السياسية الواقعة بينهما على الساحل الغربي للخليج العربي .

امتداد النفوذ السعودي إلى مستوطنات العتوب :

أوكل الإمام عبدالعزيز إلى قائده الموثوق ، إبراهيم بن عفيصان مهمة إخضاع شبه جزيرة قطر ، بعد أن أسهم في تثبيت النفوذ السعودي في الأحساء (٤٧) . وكان إبراهيم بن عفيصان متحمساً لإخضاع مستوطنات العتوب للنفوذ السعودي . والواقع أن إبراهيم وأباه سليمان كانا قد هاجما قطر والكويت قبل أن تستقر الأمور للسعوديين في الأحساء (٤٨) . تزامن استقرار نفوذ السعوديين في الأحساء والقطيف وتطلعهم لمد ذلك النفوذ إلى مستوطنات العتوب مع انتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت خلال الفترة من شوال ١٢٠٧هـ - صفر ١٢١٠هـ/ مايو ١٧٩٣ - أغسطس ١٧٩٥م . لذلك أسهم حرس ومدفعية الوكالة المذكورة في صد هجوم إبراهيم بن عفيصان على الكويت عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م(٤٩) . ويفهم من كلام الوكيل المشارك ، بردجز أن الضغوط السعودية على الكويت كانت مستمرة - أثناء وجود الوكالة في تلك البلدة على الأقل (٥٠) . وأن المسئولين في الوكالة كانوا يرسلون بين فترة وأخرى هدايا صغيرة للأمير سعود ، وأنه كان هناك تفاهم جيدا بين السعوديين والوكالة ، وأن الأمير سعود كان يرغب في استمرار ذلك التفاهم ، لأنه كان قد كوَّن تقديراً خاطئاً عن القوة التي أحضرها البريطانيون معهم إلى الكويت (٥١) .

بعد مغادرة الوكالة البريطانية الكويت ، أمر الإمام عبدالعزيز مناع أبا رجلين ، أحد رؤساء قبيلة زعب التابعة له بمهاجمة الكويت في عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧- ١٧٩٨م . فرد عتوب الكويت بإرسال سرية لمهاجمة قبيلة زعب ، لكن أهل الكويت كانوا هم الخاسرون في المواجهتين (٥٢) . وقد وضع ثراء الكويت ، وموقعها الجغرافي - بين العراق وبين نجد والأحساء في طريق الحملات المتبادلة بين الطرفين - أهل تلك البلدة في موقف حرج . فكان كل من السعوديين وباشوات بغداد يحاول جذب عتوب الكويت ضد الطرف الآخر . فيذكر لوريمر ، أن الحاكم

السعودي أرسل حملة ضد الكويت في عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م لأن شيخ الكويت رفض دفع الإتاوة له ، ولما فشلت تلك الحملة فرح باشا بغداد بذلك وأرسل هدايا لشيخ الكويت (٥٣) . والمرجح أن شيوخ العتوب في الكويت تمكنوا من التوصل إلى تفاهم وعلاقة خاصة تربطهم بالسعوديين ضمنت لهم الاحتفاظ بإدارة بلدتهم وتفادى الهجمات السعودية بالرغم من موقع بلدتهم الدقيق بين نجد والعراق . وربما يدل على وجود مثل تلك العلاقة الخاصة - بالإضافة إلى عدم تكرر مهاجمة الكويت - طلب السعوديين من أهل الكويت المشاركة في غزواتهم البحرية ضد بعض نواحي الخليج (٥٤) .

كتب إبراهيم بن عفيصان إلى الإمام عبدالعزيز يستأذنه في غزو عتوب الزبارة ، ولما وافق الإمام أخذ ابن عفيصان في فرض حصار على البلدة ، وذلك بمنع المترددين من السقاة والحطابة وغيرهم من الدخول إليها . كما تمكن من إخضاع بقية قرى وقبائل قطر والاستعانة بهم ضد عتوب الزبارة (٥٥) . ولما طال الحصار بدون نتيجة قرر ابن عفيصان أخذ الزبارة عنوة وشن الهجوم على تحصيناتها ، وعندما اشتد الضغط السعودي ، قرر عتوب الزبارة ، بزعامة شيخهم ، سلمان بن أحمد آل خليفة الانتقال بأموالهم وأولادهم إلى البحرين وتركوا البلدة خاوية على عروشها (٥٦) . لم يتمكن السعوديون من ملاحقة العتوب إلى البحرين لعدم امتلاكهم قوة بحرية ، لكنهم سيطروا على الزبارة وقطر التي بقى فيها قسم من العتوب هم الجلاهمة (٥٧) .

امتداد النفوذ السعودي إلى عمان الصير

بعد أن أحكم السعوديون قبضتهم على الأحساء وقطر ، بدأوا في إرسال جيوشهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان ومطلق المطيري إلى عمان الصير حوالي عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م . وقد تمكن هذان القائدان من إجبار بني ياس على دفع الزكاة وقبول مرشدين يعلمونهم أمور دينهم (٥٨) . فلما علم بذلك النعيم - أهل البريمي

- طلبوا من الإمام عبدالعزيز البيعة ، فقبل منهم وأرسل لهم مرشدين ، وطلب منهم الاتصال بصقر بن راشد شيخ القواسم وإقناعه بقبول الطاعة ومبادئ الدعوة الإصلاحية ووعدهم بالمساعدة العسكرية في حالة رفضه الدعوة . وأخذ النعيم وقتب وبنو ياس في شن الغارات على صحار وشمال الباطنة وبلاد القواسم (٥٩). ولما عجز النعيم عن إخضاع القواسم أرسل إليهم الإمام عبدالعزيز قوة بقيادة مطلق المطيري الذي فرض حصاراً على رأس الخيمة اضطر الشيخ صقر بن راشد إلى طلب الصلح ، فتعاهد المطيري وشيخ القواسم على قبول الدعوة الإصلاحية والنفوذ السعودي حوالي عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م (٦٠) .

في أواخر عام ١٢١٤هـ/ أوائل ١٨٠٠م وصل القائد السعودي ، سالم بن بلال الحرق على رأس قوة حربية إلى واحة البريمي في شمال عمان . وجعل من تلك الواحة قاعدة لعملياته ، وبنى بها قلعة تحصنت بها قواته وأخذ في استقطاب قبائل البريمي والصير والظاهرة ، مثل النعيم والقواسم والظواهر والشوامس وبني قتب للدعوة الإصلاحية ، والإغارة بهم على الباطنة . وأرسل الحرق من قاعدته في البريمي إلى السيد سلطان ، حاكم مسقط يطلب منه قبول الدعوة الإصلاحية وسلطة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (٦١) . بادر السيد سلطان بالتوجه إلى جلفار (رأس الخيمة) للحصول على مساعدة شيخ القواسم ، صقر بن راشد أو على الأقل عقد هدنة معه ، لكي يتفرغ لصد غارات السعوديين . ثم اندفع هو وأخوه ، السيد قيس ، حاكم صحار على رأس قواتهما للهجوم على الحرق في البريمي . وبعد عدد من المناورات ومحاولة الطرفين الإستعانة بقواسم رأس الخيمة ، تمكن الحرق من إلحاق الهزيمة بقوات السيد سلطان مما اضطره إلى التوصل إلى هدنة مع القائد السعودي وترك له السيطرة على واحة البريمي (٦٢) .

إن مما يثير الانتباه هنا ، أمران في غاية الأهمية ، أولهما النجاح السريع الذي حققه القادة السعوديون في عمان الصير والظاهرة والتفاف أغلب قبائل الإقليمين حولهم والقيام معهم في حرب البوسعيديين . أما الأمر الثاني فيتمثل في عدم

اهتمام السيد سلطان وأخيه السيد قيس بواحة البريمي وعدم حرصهما على إخراج الحامية السعودية منها ، بالرغم من الأهمية الاستراتيجية القصوى التي تتمتع بها تلك الواحة بالنسبة للباطنة والصير . فعندما تلقى السيد سلطان أول هزيمة على يد الحرق ، عقد معه هدنة وتركه يقيم مع حاميته في البريمي التي ظل هو وخلفاؤه من القادة السعوديين يتخذون منها قاعدة للهجوم على الأقاليم العمانية والتحكم فيها .

إن أقرب ما يمكن ان يقدم هنا من تفسيرات لنجاح القادة السعوديين في شمال عمان هي : الخلافات القبلية والمذهبية والسياسية بين البوسعيديين وأهل الباطنة وبين قبائل الصير والظاهرة والمناطق الداخلية ، مما دفع تلك القبائل إلى قبول دعوة القادة السعوديين والتحالف معهم ضد البوسعيديين . ومن ناحية أخرى ، فإن النشاطات الملاحية والتجارية التي كانت مسيطرة على اهتمام وتفكير السيد سلطان قد صرفته – على ما يبدو – عن الاهتمام بالقبائل والأقاليم الداخلية وإدراك مدى أهمية البريمي وقبائل الصير والظاهرة في صراعه مع السعوديين ، مما مكن السعوديين من استغلال تلك الظروف لصالحهم .

لا بد أن السيد سلطان قد أدرك خطورة امتداد نفوذ دولة قوية كالدولة السعودية إلى قبائل وموانئ وسواحل الخليج وعمان الصير والظاهرة على بلاده .

وبما أن حاكم مسقط كان يهتم بمصالحه التجارية أكثر من اهتمامه بقبائله ومناطقه الداخلية ، فقد خاف على مشروعاته الإقليمية والتجارية ، وتأكد أنه إذا ما أضاف السعوديون إلى قوتهم البرية ، قوة العتوب والقواسم البحرية ، فإن الخطر سوف لا يقتصر على تهديد مصالحه التجارية في حوض الخليج فقط ، بل سيمتد إلى موانئ ومناطق الباطنة . وبما أن نفوذ السعوديين لم يمتد بعد إلى البحرين ، ولم يثبت على الاتحاد القاسمي ، فقد قرر السيد سلطان ترك جبهة شمال عمان البرية وتركيز جهوده العسكرية للاستيلاء على البحرين .

كان السيد سلطان قد حاول الإستيلاء على البحرين في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م ، فاحتجز ثلاثة من مراكب العتوب التجارية وأبحر لمهاجمة جزيرتهم ،

محتجاً بعدم دفعهم لضريبة العبور بمدخل الخليج . لكن العتوب أفشلوا ذلك الهجوم عندما اتصلوا بشيخ بوشهر وعرضوا عليه قبول السيادة الفارسية ودفعوا له الإتاوة (٦٣) . وبعد أن توصل حاكم مسقط إلى هدنة مع الحرق ، أعاد الكرة على البحرين للاستيلاء عليها قبل أن تقع في يد السعوديين . فتمكن من الاستيلاء على الجزر في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م ، وأجبر العتوب على الخضوع له ودفع الإتاوة . لكن العتوب سرعان ما تمردوا عليه ، مما اضطره إلى إعادة الكرة عليهم خلال السنة نفسها . ولكي يضمن السيد سلطان ثبات نفوذه في البحرين ، عين ابنه سالماً والياً على الجزر وأقام معه حامية في قلعة عراد في جزيرة المحرق ، وأخذ معه عدداً من زعماء العتوب رهائن ، بينما لجأ الباقون إلى مستوطنات العتوب الأخرى في الزبارة والكويت (٦٤) .

توجه السيد سلطان بعد ذلك بأسطوله إلى الكويت وطلب من شيخها الخضوع له . ويعتقد كل من السيد واردن ولوريمر أن شيخ الكويت لا بد أن يكون قد استجاب لمطالب حاكم مسقط ، لأن ذلك الحاكم سرح كل قواته بعد ذلك مباشرة ولم يهاجم البلدة (٦٥) . ويبدو أن عتوب الكويت لم يرغبوا في الدخول في صراع مع السيد سلطان وفضلوا التوصل إلى تفاهم معه على أمل الاستعانة به ضد السعوديين في حالة تهديدهم للكويت . من ناحية أخرى ، لم يجرؤ السيد سلطان على مهاجمة بلدة الزبارة المواجهة للبحرين والتي لجأ إليها عدد أكبر من عتوب البحرين ، لأنه لم يرد نقض الهدنة التي عقدها مع الحرق ومن ثم استثارة السعوديين وإعطائهم الذريعة لمهاجمة الباطنة .

عاد عتوب البحرين إلى الزبارة ، مستوطنتهم القديمة وخضعوا لسلطة السعوديين ، وطلبوا من الإمام عبدالعزيز المساعدة لاسترداد البحرين . فوافق الإمام على تقديم المساعدة المطلوبة ، لأن ذلك سيساعد على امتداد النفوذ السعودي إلى جزر البحرين ، وفي الوقت ذاته ، يبعد نفوذ حاكم مسقط عن العتوب . في أواخر عام ١٢١٦هـ/ بداية ١٨٠٢م ، تمكن العتوب بمساعدة السعوديين وأتباعهم

في قطر من طرد السيد سالم والحامية العمانية من البحرين والاستيلاء عليها ، وبهذا مد السعوديون نفوذهم إلى جزر البحرين بمساعدة قوة العتوب البحرية ، وأخضعوا العتوب لسلطتهم وانتزعوا تلك الجزر المهمة وحكامها العتوب من قبضة حاكم مسقط (٦٦) .

لم يستطع السيد سلطان تقبل خسارته لجزر البحرين وانضواء العتوب تحت السيادة السعودية ، فقرر في صيف عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م أن يصلح علاقته بالقواسم ويبعدهم عن السعوديين ويتحالف معهم للاستعانة بهم على مهاجمة البحرين والزبارة وإخضاع العتوب . ولكي يضمن نجاح مشروعه ، طلب المساعدة العسكرية من حاكم شيراز وتابعه شيخ بوشهر ، وقاد بنفسه حملة بحرية قوية للهجوم على البحرين ، لكن حاكم مسقط فشل في مساعيه المذكورة . فلم يستطع إقناع القواسم بالتحالف معه ضد العتوب ، لأن علاقة السعوديين بهاتين القوتين البحريتين أصبحت قوية في هذا الوقت . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان قائد السعوديين في قطر ، إبراهيم بن عفيصان يساعد العتوب في الدفاع عن البحرين في الوقت الذي كان قائدهم الآخر ، سالم الحرق ، يعمل من قاعدته في البريمي على توطيد نفوذهم على القواسم وقبائل شمال عمان والظاهرة ، ويغزو بهم الباطنة ، مما أجبر السيد سلطان على وقف عملياته الحربية والعودة إلى مسقط للدفاع عن مناطقه الشمالية (٦٧) .

تمكن السعوديون مع نهاية عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م من السيطرة على جميع قبائل الساحل الغربي للخليج . فقد أكد السيد واردن " أنهم (السعوديون) في هذا الوقت أخضعوا لنفوذهم الإسمي جميع الساحل الممتد من نهر البصرة إلى دبا التي تمثل الحد الفاصل بين مناطق حكومة مسقط ومناطق القواسم " (٦٨) . وهكذا نجح الإمام عبدالعزيز في كسب السباق الذي كان دائراً بينه وبين السيد سلطان على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج العربي البحرية . ولم يقتصر هذا النجاح على حرمان السيد سلطان من إضافة قوة القواسم والعتوب البحرية إلى أسطوله الكبير ، بل إن

السعوديين حالوا بين السيد سلطان وبين تحقيق طموحاته الإقليمية والتجارية في الخليج وحرموه من تحقيق رغبته الشديدة في السيطرة على جزر البحرين . وإذا ما أضيف إلى ذلك نجاح الحرق في كسب ولاء قبائل الصير والبريمي والظاهرة وغيرهم من القبائل العمانية وتهديد عمان والباطنة تهديداً مباشراً ، تبين بوضوح ما آلت إليه أوضاع حاكم مسقط من حرج شديد ، مما اضطره إلى البحث عن مساعدة خارجية .

في ربيع عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م قام السعوديون بغزوتهم المشهورة ضد مدينة كربلاء ، التي أثارت غضب كل من العثمانيين والفرس . وفي السنة التالية ، انتقض الصلح الذي كان معقوداً بين السعوديين والشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة ، وأخذت القوات السعودية تزحف تجاه المدينة المقدسة (٦٩) . أطمعت هذه التطورات السيد سلطان في تعاون العثمانيين وشريف مكة معه ضد عدوهم المشترك ، وخاصة أنه تلقى في هذا الوقت عروضاً بالمساعدة من العثمانيين والفرس في حالة قيامه بمهاجمة السعوديين (٧٠) . غادر السيد سلطان مسقط في رمضان ١٢١٧هـ/ يناير ١٨٠٣هـ متوجهاً إلى مكة لأداء نسك الحج . ويبدو أنه كانت تراوده فكرة التنسيق مع العثمانيين والشريف غالب ، الذين كانوا يواجهون - مثله - ضغوط السعوديين في غرب الجزيرة العربية . وهناك شهد السيد سلطان دخول الأمير سعود بن عبدالعزيز مكة ظافراً على رأس الآلاف من أتباعه . كما شهد ، كذلك ، مدى ضعف الشريف غالب والعثمانيين وعجزهم عن التصدي للقوات السعودية ، وأدرك أن شريف مكة ربما كان أحوج منه للمساعدة . ولذلك ، عندما طلب الشريف غالب من السيد سلطان المساعدة العسكرية ، وعده بإرسال مقادير من المال والسلاح والذخيرة وفرقة من المقاتلين (٧١) . وربما كان دافع حاكم مسقط إلى تقديم هذا العون ، هو مساعدة الشريف على الصمود في وجه السعوديين مما يسهم في تخفيف ضغوطهم على الجبهة العمانية .

عاد السيد سلطان من الحجاز إلى بلاده يائساً من قدرته على صد هجمات

السعوديين بمفرده ، ومن قدرة العثمانيين وشريف مكة على مساعدته على ذلك . وقد وجد حاكم مسقط عند عودته إليها أن ابن أخيه ، السيد بدر بن سيف ، قام أثناء غيابه ، بمحاولة للاستيلاء على قلعة المدينة ، ولما فشلت محاولته هرب إلى عجمان ثم من هناك إلى الدرعية حيث تحالف مع الإمام عبدالعزيز . كذلك استغلت القوات السعودية في البريمي وحلفاؤها من أهل الظاهرة ، غياب السيد سلطان وأخذوا يتوغلون في الباطنة (٧٢) لذلك قرر حاكم مسقط التوصل إلى هدنة مع السعوديين لكي يتمكن خلالها من تدبير أموره ، فأرسل وفداً إلى الدرعية، نجح في عقد هدنة بين الطرفين مدتها ثلاث سنوات ، تعهد حاكم مسقط بموجبها بدفع زكاة سنوية مقدارها ١٢٠٠٠ ريال (دولار ماريا تيريزا) وقبول إقامة وكيل سياسي سعودي وجماعة من الوعاظ في مسقط لنشر الدعوة الإصلاحية(٧٣) .

أغضبت المساعدات التي أرسلها السيد سلطان لشريف مكة - بالرغم من قلتها وضعف جدواها - الإمام عبدالعزيز ، فاعتبر ذلك نقضاً للهدنة ، وأعلن الحرب على حاكم مسقط في صيف عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وأرسل إلى شيوخ القواسم وشيوخ عتوب البحرين والكويت يأمرهم بمهاجمة سواحل ومراكب مسقط . ولم يقبل الحاكم السعودي منهم الاعتذار بحلول موسم الغوص وانشغال أتباعهم به وعدم رغبتهم في تفويته . كذلك أصدر الإمام عبدالعزيز أوامره إلى سالم الحرق ، قائده في البريمي للقيام بهجوم بري واسع على المناطق العمانية (٧٤) .

إن من اللافت للنظر ، عدم ذكر المصادر السعودية للهدنة والهجوم المشار إليهما أعلاه ، بينما تشير المصادر العمانية إلى الهجوم فقط . أما المصادر البريطانية فتذكر الهدنة والهجوم لكنها تجعل طلب السيد سلطان للهدنة نتيجة للهجوم ، ولا تجد تفسيراً لنقض السعوديين للهدنة سوى رغبتهم في الفراغ من أمر الحجاز ثم إرسال الإمدادات إلى قائدهم في البريمي لإخضاع عمان (٧٥) . وإذا كان السيد سلطان قد بعث مساعداته إلى جدة بعد عودته إلى عمان ، كما يذكر كيلي ، فإن

عودة حاكم مسقط إلى بلاده ثم إرساله تلك المساعدات ووصولها إلى جدة ثم وصول أخبارها إلى الدرعية ، لا بد أن يكون قد استغرق ما بين ثلاثة إلى أربعة أشهر ، وذلك يوافق منتصف صيف عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ، وهو الوقت الذي تحدده المصادر البريطانية لصدور أوامر الإمام عبدالعزيز لكل من القواسم والعتوب والحرق لشن الهجوم على عمان (٧٦) . وعلى هذا ، فلا بد أن يكون الحاكم السعودي قد أمر بشن ذلك الهجوم البري - البحري بعد علمه بوصول المساعدات العمانية الى الحجاز واعتقاده أن ذلك ناقض للهدنة ورغبته في معاقبة حاكم مسقط . أما الشروط التي تعهد السيد سلطان بقبولها قبل أن يتعرض لهجوم واسع من قبل السعوديين ، فيمكن فهمها في ضوء اهتماماته الكبيرة بالتجارة وإقليم الباطنة وموانئها وإهماله للمناطق والقبائل الداخلية ، ورغبته في وضع حد للضغوط التي تأتي من ناحية البر لكي يتفرغ لأمور أكثر أهمية في نظره .

أبحرت مراكب العتوب والقواسم لمهاجمة مراكب وسواحل مسقط ، وبينما تمكن السيد سلطان من إلحاق الهزيمة بأسطول عتوب البحرين ، استطاع القواسم النزول في جزيرة قشم التابعة لمسقط (٧٧) . وفي الوقت ذاته كان الحرق وحلفاؤه من أهل الظاهرة والصير يتوغلون في مناطق الباطنة ، وتمكنت فرقة منهم من الوصول إلى ضواحي بلدة السويق الواقعة على بعد يومين من بلدة بركة ، المقر الصيفي لحاكم مسقط . أما الحرق وقواته الرئيسة فقد فرضت الحصار على صحار . ولما علم السيد سلطان بذلك أمر بعض القبائل الموالية له بالدفاع عن السويق ، لكن هؤلاء تلقوا هزيمة ساحقة على يد القوات السعودية في وادي الحيملي (٧٨) .

عقد السيد سلطان مجلساً عسكرياً في بركة ضم زعماء البوسعيديين وزعماء القبائل العمانية ، وأبلغهم مدى شدة ضيقه وحزنه لهزيمة قواته وتفرق حلفائه عنه وكثرة أعدائه المحاربين له ، وعجزه عن مواجهتهم ، وحصار القوات السعودية لأخيه السيد قيس في صحار . ولما تأكد من استعدادهم للوقوف معه طلب منهم جمع قواتهم وواعدهم بلدة الخابورة لإنقاذ بلدة صحار وإخراج القوات السعودية

من الباطنة . وبعد أن اجتمعت القوات العمانية في الخابورة ، وصلت الأخبار إلى الحرق وأتباعه بمقتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية ، فرفع الحصار عن صحار وعاد إلى البريمي ثم توجه من هناك إلى نجد . وقد اكتفى السيد سلطان بهذه النتيجة فسمح لقواته بالتفرق وعاد هو إلى مسقط (٧٩) . وعندما علم العتوب وشيخ القواسم الجديد ، سلطان بن صقر ، بمقتل الإمام عبدالعزيز وعودة الحرق إلى نجد ، اعتقدوا أن سلطة السعوديين قد انحسرت عن جنوب الخليج وشمال عمان وخافوا من صولة السيد سلطان ، فسارعوا إلى مصالحته وتسوية أمورهم معه ، وقد حذا حذوهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري كبير زعماء الظاهرة (٨٠) .

برهن السيد سلطان مرة أخرى ، على عدم اهتمامه بالمناطق والقبائل الداخلية عندما صرف قواته الكبيرة بمجرد علمه بزوال لخطر المباشر ، في الوقت الذي كان بإمكانه انتهاز فرصة وفاة الحاكم السعودي وانسحاب قائد حاميته من البريمي واستخدام تلك القوات للاستيلاء على تلك الواحة المهمة وحرمان السعوديين من قاعدتهم العسكرية التي تمكنوا بفضل موقعها الاستراتيجي من فرض نفوذهم في الصير والظاهرة ومهاجمة الباطنة ، وذلك مما يساعد حاكم مسقط على فرض سلطته على قبائل المنطقة والحيلولة دون عودة النفوذ السعودي إليها .

أما مسارعة شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى مصالحة السيد سلطان وتسوية أمورهم معه ، فتدل دلالة واضحة على ضعف ولاء هؤلاء الشيوخ للدولة السعودية وخوفهم من حاكم مسقط ورغبتهم في عدم انقطاع الصلة بينهم وبينه ، مما يقوي الاعتقاد بأن من أهم دوافع هؤلاء الشيوخ لموالاة السعوديين والتحالف معهم ، هو الاستعانة بالقوة السعودية لإبعاد نفوذ وهمينة حكام مسقط عنهم . ولذلك سارعوا إلى استرضاء السيد سلطان بمجرد علمهم بوفاة الحاكم السعودي وعودة قائده إلى نجد . والواقع أن القواسم بشكل خاص لم يبذلوا جهداً كبيراً في الهجوم الذي أمر به الحاكم السعودي ضد مسقط متعللين بعدم رغبتهم في ترك موسم الغوص .

أخافت الحملات التي شنها السعوديون في شرق وغرب الجزيرة العربية خلال عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م القوى المجاورة كالعثمانيين والفرس والبريطانيين ، فاتصل السيد سلطان بكل من حكومة الهند البريطانية والعثمانيين للتنسيق معهم لمواجهة الدولة السعودية . وبينما لم تنجح محاولاته مع حكومة الهند ، أبدى باشا بغداد رغبة أكيدة في التعاون معه للقضاء على السعوديين (٨١) . وقد بدا للسيد سلطان ، بعد توقف الحملات السعودية على المناطق العمانية وعودة الحرق إلى نجد ، أن القواسم والعتوب وأهل الظاهرة قد تخلصوا من تبعيتهم للسعوديين ، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لاجتذابهم إلى جانبه وربما فرض نفوذه عليهم . كذلك أراد انتهاز فرصة انسحاب الحرق وقسم من حاميته إلى نجد ، وتوصل شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى سلام معه ، وانشغال الإمام سعود - الذي خلف أباه في الحكم - بحملاته في شمال الجزيرة وغربها ، وإصدار السلطان العثماني أوامره لباشوات بغداد والشام لإعداد حملة عسكرية ضد السعوديين خلال عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، فأبحر من مسقط على رأس أسطول كبير ، طاف به في نواحي الخليج لإظهار قوته البحرية في المنطقة ، ثم توجه من هناك إلى البصرة للتأكد من مدى الاستعدادات العسكرية التي وعد باشا بغداد بتجهيزها للعمل ضد السعوديين(٨٢) .

لم يجد حاكم مسقط الاستقبال اللائق به ، ولا الاستعدادات العسكرية التي وعد بها في البصرة ، فعاد خائباً غاضباً إلى جنوب الخليج . وعندما اقترب أسطوله من جزيرة قشم ، نزل من فرقاطته الكبيرة المسماة " جنجاور " إلى مركب للنزول بواسطته إلى ميناء باسيدو . وعندما ابتعد المركب عن الأسطول ، هاجمته ثلاث مراكب تابعة لقواسم رأس الخيمة ، وخلال تبادل إطلاق النار بين الجانبين ، قتل السيد سلطان برصاص أحد المهاجمين في شعبان ١٢١٩هـ/ نوفمبر ١٨٠٤م(٨٣) .

نتج عن مقتل السيد سلطان اضطراب سياسي واسع في عمان وجنوب

الخليج، حيث أخذ أبناؤه وأخوته وأبناء إخوته يتصارعون على السلطة . وقد انقسمت الأحزاب والقبائل العمانية في تأييدها لأولئك المتصارعين، وقد خلف السيد سلطان في حكومة مسقط ولداه سالم وسعيد اللذان تولى الوصاية عليهما -بسبب صغر سنهما- الشيخ محمد بن ناصر الجبري، أحد أخوال أبيهما (٨٤) . وفي الوقت ذاته هب القواسم وحلفاؤهم، بنو معين، حين سمعوا بمقتل السيد سلطان للسيطرة على مدخل الخليج، فاستولوا على ممتلكات حكومة مسقط في جزيرة قشم وهرمز، وميناب وبندر عباس، وأصبحوا يتحكمون في مضيق هرمز ومدخل الخليج ويستطيعون ضرب أي مركب تدخل أو تغادر ذلك الممر المائي (٨٥) .

جمع السيد قيس بن أحمد - أخو السيد سلطان وحاكم صحار - حوله عدداً من إخوته وزعماء آل بوسعيد وشيوخ القبائل وأتباعهم وأخذ في نهاية عام ١٢١٩هـ/ بداية ١٨٠٥م، يستولي على حصون وبلدان الباطنة وهو في طريقه إلى مسقط للاستيلاء عليها من أبناء أخيه . وعندما اشتد حصار السيد قيس لمسقط، قرر السيدان سعيد وسالم وعمتهما السيدة موزة والوصي محمد بن ناصر الجبري الاستعانة بابن عمهم، السيد بدر بن سيف، حليف السعوديين (٨٦) . وقد سبقت الإشارة إلى فشل محاولة السيد بدر للاستيلاء على حصون مسقط ولجوئه إلى الدرعية، وكان الإمام عبدالعزيز قد أمر القبائل التابعة له في شمال عمان بمساعدته، وبعد فشل محاولتين لغزو عمان، عاد السيد بدر إلى الدرعية لمقابلة الإمام سعود وطلب مساعدته . وحين قتل عمه السيد سلطان، كان السيد بدر في الزبارة يعد العدة للهجوم على عمان (٨٧) .

اتفق استنجاد أبناء السيد سلطان بالسيد بدر مع خططه للاستيلاء على السلطة في مسقط، فغادر الزبارة على وجه السرعة إلى مسقط، حيث وجد أبناء عمه على وشك الاستسلام لعمهم، السيد قيس . فبادر إلى الاستعانة بحليفه الإمام سعود الذي أمر الحامية السعودية في البريمي وحلفاء ه من أهل الظاهرة بمهاجمة صحار .

فلما علم السيد قيس بمحاصرة القوات السعودية لبلدته ، توصل إلى صلح سريع مع أبناء أخيه وعاد للدفاع عنها (٨٨) . لم ييأس السيد قيس من الاستيلاء على الباطنة ومسقط . فعاد بعد عدة أسابيع لحرب أبناء إخوته واستولى على مطرح وفرض الحصار على مسقط ، فاضطر السيد بدر إلى الاستنجاد بالسعوديين مرة أخرى . أمر الإمام سعود حاميته في البريمي بقيادة محمد بن عبدان ، وأهل الظاهرة بقيادة الشيخ حميد بن ناصر الغافري وقبائل الصير والشمال مثل بني ياس والمناصير وبني راسب وغيرهم ، بمهاجمة الباطنة . كما أمر الحاكم السعودي عتوب البحرين والزبارة بالتوجه بأسطولهم لمساعدة السيد بدر . أدرك السيد قيس عدم قدرته على مواجهة تلك الجيوش التي أحاطت به من ناحيتي البر والبحر ، فاضطر إلى التوصل إلى صلح آخر مع أبناء إخوته وتخلى عن مطرح وعاد إلى صحار (٨٩) .

تجدد القتال مرة ثالثة بين السيد قيس وأبناء إخوته وأتباعهم في صيف عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م حيث استغل السيد قيس هذه المرة انشغال السيد بدر في استعادة موانئ وجزر مدخل الخليج من القواسم وحلفائهم ، وتحالف مع القواسم وحليفهم ملا حسين ، حاكم قشم ، وبدأ في مهاجمة الباطنة . ولم يكن أمام السيد بدر سوى الاستعانة مرة ثالثه بحامية السعوديين في البريمي والقبائل الموالية لهم في الصير والظاهرة والعتوب . فجاءت لنجدته الحامية السعودية بقيادة ابن معيقل وقبائل الظاهرة والشرقية بقيادة حميد بن ناصر الغافري وعيسى بن صالح الحارثي ، وفرق من العتوب وبني ياس . ومرة ثالثة ، فشل السيد قيس في الاستيلاء على مسقط ، واضطر إلى الانسحاب إلى صحار (٩٠) .

أدت المساعدات العسكرية المتكررة التي قدمها الإمام سعود للسيد بدر إلى إفشال محاولات السيد قيس للسيطرة على مسقط وصمود السيد بدر لضغوط منافسيه الكثيرين . كذلك أدت تلك المساعدات إلى توثق علاقة السيد بدر بالسعوديين واعتماد سلطته على دعمهم وإلى امتداد النفوذ السعودي إلى الباطنة ومسقط . وقد دفع ذلك الإمام سعود إلى اعتبار السيد بدر كأحد أمرائه الذين تجب

عليهم الطاعة وإرسال الزكاة السنوية إلى الدرعية . ولكي يحافظ الإمام سعود على ثبات نفوذه في مسقط عين وكيلاً سياسياً يقيم في مسقط وجماعة من المعلمين والوعاظ يقومون بنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية وتطبيقها في البلدة ، إضافة إلى إقامة حامية سعودية في بركة بالقرب من مسقط . وقد بعث الحاكم السعودي فيما بعد برسالة للسيد بدر يأمره فيها بالقيام بواجب الجهاد في نواحي الهند (٩١) .

كان من أهم النتائج التي ترتبت على غياب السيد سلطان عن الساحة السياسية والعسكرية في جنوب الخليج ، امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط وسيطرة القواسم على مدخل الخليج العربي ، وقد تمخض هذا الوضع الجديد عن تغييرات جذرية في حسابات القوى المختلفة في المنطقة ، وبالتالي تبدل ولاءاتها بشكل غريب - ولم يستطع حتى السيد فرانسيس واردن ، سكرتير وعضو مجلس حكومة بومبى المعاصر لتلك الأحداث فهم دوافع تلك التبدلات (٩٢) .

لقد شعر العتوب ، الذين كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً لضغوط الدولة السعودية - بسبب قرب مستوطناتهم من الأحساء ونجد - بثقل وطأة السلطة السعودية عليهم . كما رأوا في نفوذ الدولة السعودية في مسقط ، وسيطرة القواسم على مدخل الخليج تهديداً خطيراً ، ليس لمصالحهم التجارية فقط ، بل لاستقلالهم وربما لبقاءهم . لقد اعتقد العتوب أن القواسم حلفاء طبيعيون للسعوديين بسبب عداوة القواسم القديمة لحكومة مسقط وحاجتهم الماسة للدعم السعودي ضد تلك الحكومة ، كما أصبحوا متأكدين من أن زيادة النفوذ السعودي في مسقط ، وسيطرة حلفائهم القواسم على مدخل الخليج ستؤدي حتماً إلى انفراد السعوديين بالسلطة على مدخل الخليج وسواحله الجنوبية والغربية ، وبالتالي إلى إحكام قبضتهم على مستوطنات العتوب . من ناحية أخرى ، اعتقد العتوب أن الدولة السعودية التي تفتقر إلى القوة البحرية يمكنها الآن استخدام قوة حلفائها القواسم البحرية للضغط عليهم وإخضاعهم ، وقد ذكر صاحب لمع الشهاب أن الإمام عبدالعزيز كان قد طلب من القواسم الهجوم على البحرين وتعهد لهم بالمساعدة العسكرية ، لكن

القواسم اعتذروا عن ذلك ، واقترحوا عليه أن يكون التغلغل إلى الجزيرة سلمياً عن طريق التردد على البحرين والمتاجرة مع أهلها ونشر الدعوة بينهم (٩٣) . ولهذا عرض العتوب في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م على السيد بدر - عندما علموا بعزمه على حرب القواسم والقيام بحملة لاستعادة جزر وموانئ مدخل الخليج منهم - الاشتراك معه في حملته ، فأرسلوا إليه مبعوثاً يدعى رحمة بن سنود لهذا الغرض ووافقوا على خطة عرضها عليهم حاكم مسقط لمهاجمة القواسم ودفعوا له رسوم العبور التي كانوا يرفضون دفعها في الماضي (٩٤) .

لقد هدف العتوب من وراء ذلك - على ما يبدو - إلى الحد من تعاظم قوة الدولة السعودية وهيمنتها عليهم وعلى كل القوى السياسية في غرب الخليج ، وتخليص مدخل الخليج من سيطرة القواسم والحد من ازدياد قوتهم البحرية التي ربما يستخدمها السعوديون في المستقبل لإخضاع العتوب أو القضاء عليهم . كما هدف العتوب أيضاً إلى الحيلولة دون الإخلال بالتوازن بين قوى المنطقة الذي لم يكن في صالح استقلال مستوطناتهم . ولكي يتفادوا الخضوع للسعوديين أو التعرض لانتقامهم طلبوا من حكومة بومبى في السنة نفسها ، أن تسندهم بسفينة حربية أو سفينتين للاستعانة بهما ضدهم . وبالرغم من توصية ديفد سيتون DA- VID SETON المقيم البريطاني في مسقط لحكومته بضرورة تشجيع هذا التحالف للحيلولة دون سيطرة السعوديين على مسقط ، إلا أن حكومة بومبى لم تستجب لطلب العتوب (٩٥) .

أما القواسم فقد تراجع حماسهم للانقياد لأوامر الحاكم السعودي منذ عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، فلم يستجب لأوامر الإمام عبدالعزيز في صيف ذلك العام بمهاجمة مناطق ومراكب مسقط إلا قسم منهم اقتصر نشاطه على مهاجمة المراكب التجارية في البحر والنزول في جزيرة قشم ، متذرعين بالانشغال في الغوص(٩٦) . وفي تلك السنة ، خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة الاتحاد القاسمي (٩٧) . وعندما علم الشيخ سلطان بمقتل الإمام عبدالعزيز في

خريف السنة نفسها ، سارع إلى مصالحة السيد سلطان . لكن القواسم وحلفاءهم هبوا بمجرد سماعهم بمقتل حاكم مسقط في أواخر عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م للاستيلاء على الجزر والموانئ المشرفة على مدخل الخليج ، ويبدو أنهم لم يقوموا بذلك خدمة للدولة السعودية ، بقدر ما كان سعياً لتحقيق أهدافهم القديمة الرامية إلى السيطرة على مدخل الخليج ومنافسة حكومة مسقط .

وعندما اشتد النزاع بين السيد قيس وأبناء إخوته ، بدر وسالم وسعيد ، خلال عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م لم يظهر للقواسم دور واضح فيه بالرغم من قربهم من بؤرة النزاع وامتلاكهم الدوافع الكافية للتدخل فيه ، وتتابع أوامر الإمام سعود إلى القبائل الموالية له في جنوب الخليج بالوقوف إلى جانب السيد بدر بن سيف في صراعه مع عمه . بل إننا نجد القواسم في آخر مراحل ذلك الصراع يقفون إلى جانب السيد قيس ضد ابن أخيه بدر حليف السعوديين (٩٨) .

لقد تحالف القواسم مع الدولة السعودية ومنحوها ولاءهم وهاجموا معها حكومة مسقط للاستعانة بها للحد من محاولات تلك الحكومة فرض نفوذها عليهم من ناحية ، والسيطرة على مدخل الخليج العربي ، من ناحية أخرى . لكن تحالف السيد بدر مع الإمام سعود ، والدعم الذي منحه ذلك الإمام لحاكم مسقط الجديد ، وضع حداً لطموحات شيخ القواسم وآثار غيرته وأقنعه بأن الإمام سعود لن يدعمه في المستقبل ضد حكام مسقط أو يساعده في السيطرة على مدخل الخليج . بل إن هذا التحول في مسار الأمور في عمان قد آثار مخاوف الشيخ سلطان بن صقر على زعامته واستقلاله ، ولهذا لم يشترك مع أتباع السعوديين الآخرين في دعم السيد بدر ضد عمه السيد قيس . وبدا للشيخ سلطان أن وجود حاكم تقليدي مثل السيد قيس في مسقط خير للقواسم من وجود السيد بدر الذي كان يسعى إلى الاستمرار في سياسة التوسع الإقليمي والتجاري التي كان يسير عليها عمه السيد سلطان ، والتي كان يقاومها القواسم .

كان أهل الظاهرة وزعيمهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري من أبرز حلفاء

الدولة السعودية ، وقد ساهموا مساهمة كبيرة في دعم الحامية السعودية في البريمي وامتداد النفوذ السعودي إلى عمان . كما كانوا يشكلون قسماً مهماً من القوات التي قامت بدعم السيد بدر بن سيف ضد عمه السيد قيس استجابة لأوامر الإمام سعود . لقد تحالف الشيخ حميد بن ناصر الغافري مع السعوديين مدفوعاً بالرغبة في التخلص من سلطة حكام عمان ، فلما بدأ ميزان القوى في عمان يتحول لصالح السيد بدر وحلفائه السعوديين ، أدرك ذلك الشيخ أن بدراً والسعوديين سيسيطرون على كل عمان وأن ذلك سيفقده حريته واستقلاله . فعمد إلى التخلي عن السيد بدر في آخر مراحل نزاعه مع عمه قيس وأمر القبائل المتحالفة معه بالتخلي عن السيد بدر بحجة " أن بدراً يحاول ملك عمان كله ، وانقياد أهل الظاهرة والشمال له بالوهابية ، لما رآهم مائلين إليه كل الميل " (٩٩) .

الخاتمـــة

شهد العقدان الأولان من القرن الثالث عشر الهجري / العقدان الأخيران من القرن الثامن عشر للميلاد تقريباً ، بروز أربع قوى سياسية على ساحل الجزيرة العربية الشرقي هي : حكومة مسقط والدولة السعودية والاتحاد القاسمي ومشيخات العتوب . وقد أعطى بروز تلك القوى ، والنشاط السياسي والتجاري الذي نتج عنه ، أهمية وحيوية وثقلاً لم يحظ به ذلك الساحل منذ فترة طويلة . وخلال السنوات الأخيرة من الفترة المذكورة دخلت الدولة السعودية وحكومة مسقط في تنافس لفرض النفوذ على القواسم والعتوب وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

لقد حرص قادة الدولة السعودية على نشر دعوتهم الإصلاحية ومد نفوذهم السياسي على قبائل وموانئ جنوب غرب الخليج وعمان ، بينما حرص حكام مسقط على تطوير وتوسيع تجارتهم عن طريق السيطرة على تجارة الخليج وفرض نفوذهم على تلك القبائل والموانئ نفسها للقضاء على منافستها لهم . وفي حين أبدى البوسعيديون اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة وأهملوا الأقاليم والقبائل الداخلية وارتكزت قوتهم على اسطولهم الكبير ، ارتكزت قوة السعوديين على البر ولم يطوروا لأنفسهم قوة بحرية بالرغم من سيطرتهم على سواحل طويلة . لقد كوَّن القواسم والعتوب قوتين بحريتين تجاريتين منافستين للبوسعيديين ، وقد سعى السيد سلطان بن أحمد لفرض نفوذه عليهما للقضاء على تلك المنافسة . أما الدولة السعودية فقد رأت في فرض نفوذها على القواسم والعتوب إضافة قوة بحرية إلى قوتها البرية تستطيع بواسطتها نشر دعوتها الإصلاحية وتوسيع نفوذها والضغط بها على حكومة مسقط .

بادر السيد سلطان في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م عندما علم بامتداد النفوذ السعودي على العتوب والقواسم إلى مهادنة القواسم - الذين كانوا في صراع دائم

معه - لكي يتمكن من الاستيلاء على جزر البحرين قبل أن يمتد النفوذ السعودي إليها . وقد قام السيد سلطان بعدة محاولات بعد ذلك لفرض نفوذه على العتوب والقواسم وإخراجهم من دائرة النفوذ السعودي قبل مقتله على يد القواسم في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، لكن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب رفض القواسم والعتوب لهيمنة البوسعيديين من ناحية ، ومساندة الدولة السعودية لهم من ناحية أخرى . وكان لضغوط حامية السعوديين في البريمي وقبائل الشمال والظاهرة الموالية لهم من ناحية البر ، دور مهم في إفشال محاولات حاكم مسقط .

لقد رجحت كفة السعوديين في منافستهم للبوسعيديين على كسب ولاء قبائل جنوب غرب الخليج وخاصة بعد مقتل السيد سلطان ، وتمكنوا من مد نفوذهم إلى مسقط وأوصلوا مرشحهم إلى حكومتها . وقد ساعدهم على ذلك تفوق قوتهم البرية وانتشار دعوتهم الإصلاحية بين قبائل شمال عمان والظاهرة ، وإهمال حكومة مسقط لتلك القبائل . كما أسهم في نجاح السعوديين أيضاً ، المنافسة الملاحية والتجارية القديمة بين حكومة مسقط وبين كل من القواسم والعتوب ، الذين رأوا في قوة الدولة السعودية سنداً قوياً يساعدهم على التخلص من سيطرة حكومة مسقط دون أن يكون له أثر كبير على نشاطاتهم التجارية والبحرية ، فمنحوا ولاءهم للسعوديين وتحالفوا معهم ضد حكومة مسقط . وبذلك أضاف السعوديون قوة بحرية إلى قوتهم البرية ، واجهوا بها أسطول حكومة مسقط وأضعفوا من فعاليته وبالتالي أحبطوا الطموحات الإقليمية والتجارية التي سعت إلى تحقيقها تلك الحكومة .

إن النجاح الذي أحرزته الدولة السعودية في عمان كان أكبر مما توقعه حلفاؤها الذين أسهموا في إنجازه . فقد أخاف ذلك النجاح العتوب والقواسم وأهل الظاهرة وغيرهم لأن تلك القبائل لم تتحالف مع الدولة السعودية لكي تقع تحت سيطرتها التامة في النهاية ، وإنما تحالفت معها للاستعانة بها للتخلص من هيمنة حكومة مسقط . ولما شعر أولئك الحلفاء بأن التوازن قد اختل لصالح السعوديين أخذوا في

إعادة النظر في حساباتهم وتحالفاتهم .

لم ينته التنافس السعودي البوسعيدي في هذه المرحلة ، إلا أن مقتل السيد سلطان وما نتج عنه من امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط ، وسيطرة القواسم على مدخل الخليج ، وتراجع ولاء حلفاء الدولة السعودية ، جعل من الفترة السابقة لهذه الحوادث مرحلة متميزة في التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب الخليج العربي .

******

الهوامش:

(١) يشمل اسم « عمان » « والقبائل العمانية » خلال فترة هذه الدراسة أغلب مناطق وقبائل ما يعرف اليوم بدولة الإمارات العربية المتحدة إضافة إلى مناطق سلطنة عمان الحالية .

(٢) للإلمام بأوضاع عمان وحكم اليعاربة قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر للميلاد ، واستيلاء القوات الفارسية على بعض المدن العمانية انظر : حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٣٩٧هـ ، ص : ٢٦٢ وما بعدها . وقد ترجم هذا الكتاب وقدم له ووضع عليه بعض التعليقات ، القس جورج بيرسي بادجر GEORGE PERCY BADGER ، ونشره في لندن عام ١٨٧١م بعنوان HISTORY OF THE IMAMS AND SEYYIDS OF OMAN, BY SALIL IBN RAZIQ .

وقد أخذ كثير من الكتاب الإنجليز والأوروبيين تاريخ عمان عن طريق هذه الترجمة . وانظر أيضاً : عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، تحقيق إبراهيم إطفيش الجزائري ، القاهرة ، ١٩٦١م ، جـ٢ ، ص : ١٤١ وما بعدها ، وأيضاً : سرحان بن سعيد الأزكوي ، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبدالمجيد القيسي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٠م الفصل السادس والسابع .

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٤٣ - ٣٤٩ .
السالمي ، تحفة الأعيان ، ص : ١٥٠ - ١٥٩ - ١٦٨ - ١٧٢ .
الأزكوي ، تاريخ عمان ، ص ١٣٩ - ١٥٥ .

J.B; KELLY, BRITAIN AND THE PERSIAN GULF, 179 -1880, OXFORD, 1968, P.9 .

(٤) كان يتزعم أغلب الثورات ضد الإمام أحمد بن سعيد ، زعماء اليعاربة ورؤساء قبائل الظاهرة والصير وبعض أبناء الإمام نفسه ، الذين كانوا يستعينون بقبائل الحزب الغافري الذين لم يكونوا راضين عن انتخاب الإمام أحمد بسبب انتماء أسرته للحزب الهناوي ودور مشايخ ذلك الحزب في تقديمه للإمامة ، انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٦٧ - ٣٨٤ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، ص ١٦٩ - ١٧٢ ، وأيضاً : ج ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، ترجمة ونشر مكتب أمير دولة قطر ، جـ ٢ ، ص : ٦٤٤ - ٦٤٧ ، وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : لوريمر ، القسم التاريخي . والمقصود بالشمال أو الصير أو عمان الصير ، هو المنطقة الساحلية الشمالية من عمان والتي تشكل الآن دولة الإمارات العربية المتحدة ، أما الظاهرة فهي المنطقة الواقعة إلى الغرب من مرتفعات الجبل الأخضر والحجر الغربي ، أما المنطقة الساحلية الواقعة بين تلك المرتفعات والبحر فتسمى الباطنة .

(٥) للإلمام بمدى نمو تجارة مسقط في عهد الإمام أحمد واستفادة ذلك الميناء من تدهور الأوضاع في بندر عباس انظر :

PATRICIA RISSO, OMAN AND MUSCAT, AN EARLY MODERN HISTORY. CROOM HELM, LONDON & SYDNEY, 1968, CHAPTER 5 . KELLY, P. 10

مديحة أحمد درويش ، سلطنة عمان في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ ، ص ٧٩ - ٨١ . وندل فيليبس ، تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٤٠١هـ ، ص : ٨٤ .

(٦) بلغ من ضعف الإمام سعيد بن أحمد وانعزاله في الداخل أن ثار عليه

أخواه، سيف وسلطان ، واستقل أخوه الثالث ، قيس بحكم صحار ثاني أهم الموانئ العمانية ، واجتمع بعض أعيان عمان وعلمائها في المصنعة على ساحل الباطنة لعقد الإمامة لقيس بن أحمد والي صحار ، انظر : ابن رزيق، الفتح المبين ، ص ٣٩٢ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، جـ ٢ ، ص : ١٧٣ وما بعدها ، وأيضاً
S.B. MILES, THE COUNTRIES AND TRIBES OF THE PERSIAN GULF, FRANK CASS, 1966, P. 281 - 282 .

(٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٩٢ وما بعدها ، فيليبس ، تاريخ عمان ، ص : ٨٥ - ٨٦ .
MILES, P. 283 - 284 . KELLY, P. 10 - 11.
لوجهة نظر مختلفة انظر : RISSO, OMAN, P. 96 - 105 .

(٨) RISSO, OMAN, P. 100 - 104.
انظر خريطة رقم (١) " عالم عمان التجاري " .

(٩) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٦٢ ، وانظر أيضاً، MILES, P. 286 . لمعرفة مواقع هذه البلدان وغيرها من البلدان والموانىء الوارد ذكرها في هذه الدراسة انظر خريطة رقم (٢) " حوض الخليج العربي وخليج عمان وموانئها البحرية " .

(١٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٢٩ .
ARNOLD T.WILSON. THE PERSIAN GULPH, 3 RD ED. LONDON, 1959. P. 188 - 189 . RISSO, OMAN, P. 106 - 107, 125 - 130 .
انظر ، الخريطة رقم (١) .

(١١) جددت حكومة الهند هذه المعاهدة في عام ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م بشروط أقوى لضمان المصالح البريطانية على يد الكابتن جون مالكوم ، مبعوثها إلى بلاد فارس ، انظر بنود المعاهدتين في
C.U. AITCHISON, ACOLLECTION OF TREATIES, ENGAGEMENTS AND

SANADS RELATING TO INDIA AND NEIGHBOURING COUNTRIES, DELHI, MANAGER OF PUBLICATIONS, 1933, KRAUS REPRINT, 1973 . VOL.11, P.287 - 288 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا AITCHISON, COLLECTION OF TREATIES ..

(١٢) سمير محمد علي أبوياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦م ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨١م ، ص : ٢٧ - ٢٨ ، ٣١ .

RISSO, OMAN, P. 157,214 .

(١٣) للإلمام بمدى نمو تجارة مسقط خلال عهد السيد سلطان بن أحمد انظر :

RISSO, OMAN, CHAPTER, 10 , KELLY. P.14 - 16.

وفيليبس ، تاريخ عمان ، ص : ٨٥ - ٨٧ ، ١١٢ . وانظر أيضاً : تقرير الكابتن جون مالكوم JOHN MALCOLM عن وضع التجارة بين بلاد فارس والهند الذي كتبه عام ١٨٠٠م في :

J.A. SALDANHA, SELECTIONS FROM STATE PAPERS, BOMBAY REGARDING THE EAST INDIA COMP ANY'S CONNECTION WITH THE PERSIAN GULF, WITH A SUMMARY OF EVENTS, 1600 - 1800, CALCUTT A. 1908, P. 444 - 446 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : .SALDANHA, SELECTIONS .

وانظر أيضاً :

J.A BUCKINGHAM, TRAVELS IN ASSYRIA , MEDIA , AND PERSIA .... LONDON, 1830 , VOL. 2. P. 400 - 402 .

وقد زار هذا الرحالة مسقط في نوفمبر ١٨١٦م وتحدث عن ازدهار تجارتها في عهد السيد سلطان بن أحمد ، وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا :

BUCKINGHAM, TRAVELS

(١٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣١٠ وما بعدها ، جمال زكريا قاسم ،

الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ، ١٥٠٧ - ١٨٤٠م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص : ٢٦٧ .

(١٥)

C.NIEBUHR, TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST . TRANSLATED INTO ENGLISH BY ROBERT HERON , EDINBURGH, 1792, (REPRINT) VOL.2. P. 124 - BUCKINGHAM, TRAVELS, VOL. 2 . P. 210.

وانظر أيضاً :

SELECTIONS FROM THE RECORDS OF THE BOMBAY GOVERNMENT . NEW SERIES, NO.XXIV : HISTORICAL AND OTHER INFORMATION CONNECTED WITH THE PROVINCE OF OMAN, MUSKAT. BAHREIN, AND OTHER PLACES IN THE PERSIAN GULF, COMPILED AND EDITED BY R. HUGHES THOMAS, BOMBAY, 1856. P. 301.

إن أغلب المختارات المستخدمة في هذه الدراسة هي ملاحظات ونبذ تاريخية عن عمان وحكومة مسقط وقبيلة القواسم وعتوب البحرين والوهابيين (السعوديين) والقبائل العربية ، كتبها عضو مجلس حكومة بومبى ، السيد فرانسيس واردن FRANCIS WARDEN في عام ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : BOMBAY SELETIONS .

(١٦) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٩٦٦ - ٩٦٧ ، وأيضاً : صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٧٤٧ - ١٨٢٠م ، بغداد، ١٩٧٦م ، ص : ٨٧ - ٨٨ ، ١٠٤ .

DONALD HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, GEORGE ALLEN & UNWIN LTD. LONDON, 1970 , P. 92 .

انظر المواضع المذكورة هنا على الخريطة رقم (٢) .

(١٧) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٧٠ . MILES, P. 269 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩٣ .

(١٨) العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩١ .

(١٩) NIEBUHR, TRAVELS. VOL. 2 . P. 115, 122 - 124 .

HAWLEY. THE TRUCIAL STATES. P. 92 - 93 .

(٢٠) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٧٠ - ٢٧١ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 301 . MILES, P. 271 .

(٢١) MILES. P. 274 - 275 . HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 87 - 88.

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٣ - ٩٦ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٤٨

NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 124 .

(٢٢) BOMBAY SELECTIONS. P. 300 - 301 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١٠٤ - ١١٤ . KELLY, P. 19

قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ .

لوريمر ، القسم التاريخي، جـ ٢ ، ص : ٩٦٧ - ٩٦٩ .

(٢٣) BOMBAY SELECTIONS. P. 301 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١١١ - ١١٤ .

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية ، دار الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص : ١٠٥ - ١٠٩ .

(٢٤) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ .

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٦ - ٩٩ . . Miles, P. 276 , 279 , 281 .

(٢٥) MILES. P. 281 . KELLY, P. 20.

HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 88 .

لمعرفة مواقع هذه المناطق والبلدان وغيرها انظر الخريطة رقم (٢) .

(٢٦) انظر ، عبدالعزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص : ٣٣ - ٣٥ ، وسيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الكويت ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص : ١٠٦ - ١٠٩ .

(٢٧)

Ahmad M. Abu Hakimah, History Of Eastern Arabia 1750-1800, Khayats Beirut, 1965. P. 51 - 53 .

للاطلاع على تفاصيل هجرة العتوب وتجوالهم في نواحي الخليج ثم استقرارهم في الكويت ، انظر بالإضافة إلى الفصل الثاني من هذا المرجع كتابي الرشيد والشملان السابقين .

(٢٨) NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 127 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 362 .

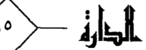
لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٠٢ .

(٢٩) BOMBAY SELECTIONS. P. 362 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٠٣ .

وتختلف المصادر حول نشأة بلدة الزبارة فبينما يذكر عثمان بن سند البصري في كتابه : سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، بومبى ١٣١٥هـ ، ص : ١٩ - ٢٠ ، أن الذي أنشأها وعمرها هما خليفة بن محمد شيخ العتوب والشيخ رزق ، وهو تاجر مهاجر من الكويت أيضاً ، ينص محمد بن خليفة النبهاني في كتابه ، التحفة النبهاني في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص : ٨٢ - ٨٣ ، على أن أول من نزل الزبارة وعمرها هو الشيخ أحمد بن رزق ثم نزل عنده قوم آخرون منهم الشيخ محمد بن خليفة شيخ آل خليفة الذي اختاره أهل الزبارة فيما بعد شيخاً لهم .

(٣٠) النبهاني ، التحفة ، ص : ٨٢ ، ABU HAKIMAH, P. 65 - 66 .



(٣١) BOMBAY SELECTIONS. P. 362 - 363.

(٣٢) ABU HAKIMAH, P. 66 - 67.

لمعرفة موقع الزبارة وغيرها من مستوطنات العتوب ، انظر : الخريطة رقم(٢) .

(٣٣) ABU HAKIMAH, P. 71 - 73 .

فائق حمدي طهبوب ، تاريخ البحرين السياسي ، ذات السلاسل ، الكويت، ١٩٨٣م ، ص : ٤٤ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ .

(٣٤) BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364 .

ABU HAKIMAH, P. 77 - 78, 86 - 89 , 96 - 100 , 107.

(٣٥) BOMBAY SELECTIONS. P.363 - 364 .

ABU HAKIMAH, P. 88 - 89.

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ .

(٣٦) لتتبع حملات حكام فارس وأتباعهم من شيوخ الساحل الشرقي للخليج ضد الزبارة والكويت ومن ثم استيلاء العتوب على البحرين انظر :

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ ، ١٢٧٢ - ١٠٥٦ .

ABU HAKIMAH, P. 105 - 108, 110 - 111 .

طهبوب ، تاريخ البحرين ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

SALDANHA, SELECTIONS. P. 404 - 405 .

النبهاني ، التحفة، ص: ٨٥ - ٨٨ . BOMBAY SELECTIONS. P. 364 - 366 .

ويذكر النبهاني (ص : ٨٦ - ٨٧) أن قائد الحملة الفارسية هو الشيخ نصر آل مذكور نفسه ورئيس أهل الزبارة هو الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة نائباً

عن أخيه خليفة الذي كان يؤدي نسك الحج في مكة تلك السنة ومات هناك ، أما المصادر البريطانية فتذكر أن قائد الحملة هو محمد ابن أخ الشيخ نصر .

(٣٧) WILSON. THE PERSIAN GULPH. P. 187 - 188 .

(٣٨) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 .

(٣٩) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 - 409 .

(٤٠) BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364.

ABU HAKIMAH, P.77 - 78 - 86 - 89 - 96 - 100 , 107 .

(٤١) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 , 407 - 409 .

وانظر أيضاً : . ABU HAKIMAH,CHAP. 111, VI

(٤٢) للإلمام بتفاصيل انتشار الدعوة الإصلاحية وظهور وتوسع الدولة السعودية ، انظر : حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام تحرير ، ناصر الدين الأسد ، الصفحات الذهبية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، الجزء الأول . وأيضاً عثمان بن عبدالله بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، وزارة المعارف ، ١٣٩١هـ ، الجزء الأول ، وعبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١١٥٨ - ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ - ١٨١٨م ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، وعبدالله صالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، الجزء الأول .

(٤٣) عن حملات شيوخ بني خالد ضد الدول السعودية ، انظر : ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١١١ - ١١٢ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ - ١٥٦ ، وابن بشر ، جـ١ ، ص : ٥١ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٧٨ ، ٩٠ - ٩٤ ، ولتعليل فشل تلك الحملات انظر : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، مؤلف مجهول ، تحقيق ، أحمد أبوحاكمة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص : ٦٧ - ٧٠ ، وانظر أيضاً : محمد بن عبدالله آل

عبدالقادر الأحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ ، جـ١ ، ص : ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٢ ، عبدالرحيم ، الدولة السعودية . ض : ٩١ - ٩٤ .

(٤٤) قام السعوديون بأول هجوم على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م عندما هاجموا المطيرفي والمبرز ، انظر ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١١٨ ، وابن بشر ، جـ١ ، ص : ٥٦ .

(٤٥) لتتبع غزوات السعوديين ضد الأحساء ومراحل تثبيت نفوذهم فيه ، انظر ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٦٩ وما بعدها ، ولمع الشهاب ، ص : ٦٧ - ٧٦- ، والأحسائي ، تحفة المستفيد ، جـ١ ، ص : ١٣١ - ١٣٦ .

(٤٦) SALDANHA, SELECTIONS. P. 408 .

ABU HAKIMAH, P. 40 - 41 , 67 - 74 , 154 - 155 .

(٤٧) كان إبراهيم بن عفيصان في هذا الوقت أميراً في إقليم الخرج ، وكان الإمام عبدالعزيز كثيراً ما يكل إليه قيادة الحملات العسكرية في نواحي الخليج العربي ، وعندما خلف الإمام سعود أباه عين إبراهيم بن عفيصفان في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م أميراً للأحساء ، انظر : ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٩٣ - ١٩٥ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، أما صاحب لمع الشهاب ، ص : ٧١ - ٧٦ ، فيؤكد أن الإمام عبدالعزيز عين إبراهيم بن عفيصان أميراً في الأحساء بعد ثبات نفوذه في المنطقة مباشرة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) ثم وافقه على إخضاع بلدة الزبارة في قطر .

(٤٨) ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٠٠ ، ١١١ ، ١٣٣ .

(٤٩) تتضارب أقوال موظفي الوكالة البريطانية فيما يتعلق بإسهاماتها في صد الهجمات السعودية على الكويت ، فيذكر جون لويس رينو JOHN LEWIS REINAUD أن مدفعية الوكالة وطرادها وحرسها أسهموا في صد الهجوم

المشار إليه ، وأن ذلك أغضب السعوديين الذين هاجموا البريد الصحراوي البريطاني مما اضطر المسئولين إلى إرسال (رينو) في بعثة إلى الدرعية ، وهذا ما يرجحه أبو حاكمة (ABU HAKIMAH, P. 162 - 163) ، وانظر أيضاً، لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص : ١٥٧٩ . أما هارفرد جونز بردجز ، الوكيل المشارك في الوكالة ، فيذكر أن الكويتيين هم الذين صدوا الهجوم وحدهم ، وأن مسئولي الوكالة كانوا يقاومون رغبة شيخ الكويت في اشتراك حرس الوكالة في الدفاع عن البلدة وذلك للمحافظة على علاقة جيده مع الأمير سعود وسلامة البريد الصحراوي من وإلى حلب ، أنظر كتابه ،

AN ACCOUNT OF THE TRANSACTIONS OF HIS MAJESTY'S MISSION TO THE COURT OF PERSIA, IN THE YEARS 1807 - 11 , BY SIR HARFORD JONES BRYDGES, ... TO WHICH IS APPENDED A BRIEF HISTORY OF THE WAHAUBY . LONDON, MD CCCXXXIV (1834) VOL. II, P. 14 - 15 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : ... BRYDGES, BRIEF HISTORY

(٥٠) BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 11 - 13 .

(٥١) BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 15 - 16.

كان الحاكم السعودي في هذا الوقت هو الإمام عبدالعزيز بن محمد لكن ابنه الأمير سعود كان هو الذي يقود الحملات العسكرية إلى شمال الجزيرة العربية وجنوب العراق ويتعامل معه الكويتيون .

(٥٢) ابن غنام ، جـ ١ ، ص : ٢٠٤ – ٢٠٥ ، ابن بشر ، جـ ١ ، ص : ١٤٩ ، ربما كان سبب هذا الهجوم هو اعتقاد السعوديين بتعاون أهل الكويت مع الشيخ ثويني بن عبدالله ، شيخ المنتفق ، الذي مكث ثلاثة شهور في الجهراء بالقرب من الكويت يعد حملة عثمانية ضد الدولة السعودية في السنة السابقة .

(٥٣) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥١٢ ، ١٦٠٢ ، يذكر ابن

بشـر ، جـ١ ، ص : ١٩٠ ، غـزوة الإمـام سـعـود ضـد جنوب العـراق ومهاجمته النجف والبصرة والمنتفق وغيرها في هذه السنة لكنه لا يذكر الكويت .

(٥٤) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥١١ ، ١٥٨٠ .
ويرجح د . عبدالله العثيمين أن السعوديين لم يهدفوا إلى الاستيلاء على الكويت ، وأنهم لم يهاجموا البلدة سوى مرتين بسبب تأييد أهلها لأعدائّهم، انظر : العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وبين الكويت ، الرياض ، ١٤١١هـ ، ص : ٩١ وما بعدها و ص : ١٧١ - ١٧٢ .

(٥٥) لمع الشهاب ، ص : ٧٦ - ٧٧ (انظر حاشية رقم (٥٤) أعلاه) .

(٥٦) لمع الشهاب ، ص : ٧٧ - ٧٨ ، النبهاني ، التحفة ، ص : ٨٩ - ٩٠ ، من اللافت للنظر أن ابن غنام وابن بشر لا يذكران حصار ابن عفيصان للزبارة واستيلاءه عليها مع أنهما يذكران غزواته لبعض نواحي قطر خلال عامي ١٢٠٧هـ و ١٢٠٩هـ ، وينص صاحب لمع الشهاب على أن هجوم ابن عفيصان على الزبارة كان إثر تعيينه أميراً للأحساء (١٢١١هـ / ١٧٩٦م) كما يذكر النبهاني أن رحيل العتوب إلى البحرين كان في عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م .

(٥٧) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٨ BOMBAY SELECTIONS. P. 522 .

(٥٨) لمع الشهاب ، ص : ٧٨ - ٧٩ .
ينص هذا المصدر المعاصر على أن غزو السعوديين لبني ياس كان بعد مضي سنتين من استيلائهم على بلدة الزبارة ، أما عبدالله بن صالح المطوع (ت بعد عام ١٣٧٦هـ) فيذكر في كتابه « عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان » (مخطوط في مكتبة أرامكو في الظهران برقم(953.4/A) أن آل سعود وصلوا إلى البريمي وبدأوا في نشر الدعوة السلفية بدون قتال في عام

١٢١٠هـ/ ١٧٩٥-١٧٩٦م (انظر ، ورقه : ٣٢) وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : المطوع ، عقود الجمان .
ويلاحظ أن أغلب قبيلة بني ياس في هذا الوقت ما زالوا رعاة وزراعًا يعيشون في واحة الليوا وما جاورها في الداخل (أقرب إلى قطر) ولم ينتقل إلى الساحل وأبوظبي سوى قسم منهم ، كما يلاحظ أيضاً أن القبيلة كانت تعاني من انقسام سياسي حاد في ذلك الوقت ، ربما استغله القادة السعوديون لصالحهم ، انظر . BOMBAY SELECTIONS. P. 462 - 464

(٥٩) لمع الشهاب ، ص : ٧٩ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٦٠) لمع الشهاب ، ص : ٧٨ - ٨١ . العابد ، دور القواسم ، ص : ١٣٥ - ١٣٦ ، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) جـ١ ، ص : ١١٠ - ١١١ وسيشار إلى هذا المرجع بعد الآن هكذا : التحكيم . . . . عرض حكومة المملكة ، وانظر أيضا :
MILES, P. 288 . RISSO , OMAN, P. 173 .
ويلاحظ أن صاحب لمع الشهاب يذكر اشتراك مطلق المطيري وراشد بن سنان المطيري في هذه المرحلة المبكرة من نشاط السعوديين في عمان وهو ما لم تشر إليه المصادر السعودية .

(٦١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣١ - ٤٣٢ . . MILES, P. 294
KELLY, P. 102 - 103 .

(٦٢) المصادر السابقة ، الصفحات نفسها . وأيضاً : المطوع ، ورقة ، ٣٢ .
العابد، دور القواسم ، ص : ١٥٩ - ١٦٠ . . BOMBAY SELECTIONS.
P. 174 - 429 .
RISSO, P. 176 - 177 .

(٦٣) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٤ - ٦٦٥ ، جـ٣ ، ص :

. ١٢٧٤ - ١٢٧٥

BOMBAY SELECTIONS. P.173 .

(٦٤) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 366 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٥ . . KELLY, P. 103

(٦٥) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥١٠ .

(٦٦) ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٦١ ، ابن سند البصري ، ص : ٨٤ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 366 , 429 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، KELLY, P. 103 ويذكر لوريمر (جـ٣ ، ص : ١٥٧٩) أن الشيخ سلمان بن أحمد قام بزيارة للحاكم السعودي في الدرعية ، بعد استعادته للبحرين ، ومعه مبلغ من المال ليدفعه كجزية (زكاة) غير أنه أعفي من ذلك .

(٦٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٢ . MILES, P. 295 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 303 - 366.

(٦٨) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 303 , 430 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٩٧٣ ، وتقع دبا ، على الساحل الشرقي لرأس مسندم المشرف على خليج عمان إلى الشمال من خورفكان . والمقصود بنهر البصرة هنا ، شط العرب .

(٦٩) ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٦١ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٨٣ - ١٥٨٥ . . KELLY, P. 100 - 101

(٧٠) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 .

(٧١) ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٦٣ - ١٦٤ . المطوع ، ورقات ، ٣٠ - ٣١ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٦ - ٦٦٧ . . MILES, P. 297

يذكر أحمد زيني دحلان في كتابه ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد

الحرام، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ ، ص : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، أن أميري الحاج الشامي والمصري غادرا مكة في الخامس والسادس من محرم ١٢١٨هـ ، على التوالي ثم غادرها والي جدة ، شريف باشا والشريف غالب إلى جدة ، وأن الأمير سعود وأتباعه دخلوا مكة في اليوم الثامن من الشهر نفسه ، وفيما عدا المطوع ، الذي يؤكد أن السيد سلطان شاهد دخول الأمير سعود مكة ، لا تشير مصادرنا الأخرى إلى المكان الذي كان فيه حاكم مسقط .

(٧٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٧٣) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 430 . MILES, P. 298 . KELLY, P. 104 . العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦١ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ ، جـ٣ ، ص : ١٥٨٠ ، يذكر كل من لوريمر ومايلز ، أن السيد سلطان أرسل وفداً إلى الدرعية لعقد الهدنة بينما لا يفهم ذلك من المصادر الأخرى ، كما لا يتضح من المصادر المتوافرة مدى التزام السيد سلطان ببنود هذه الهدنة .

(٧٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٥ - ٤٣٦ . MILES, P. 297 . BOMBAY SELECTIONS. P. 175 - 430 . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ - ٦٦٨ ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، ١٥١١ ، ١٥٨٠ . KELLY, P. 104 .

(٧٥) انظر المصادر السابقة ، الصفحات نفسها .

(٧٦) المصادر السابقة ، والصفحات نفسها .

(٧٧) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ - ٩٧٣ ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، ١٥١١ ، ١٥٨٠ . MILES, P. 297 - 298 . ويذكر كيلي (KELLY, P. 104) أن كلاً من القواسم وعتوب الكويت لم يدخلوا في حرب مع السيد سلطان في هذا الوقت .

(٧٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٥ – ٤٣٦ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٦٨ . . BOMBAY SELECTIONS. P.175 - 430.
MILES, P. 298 . KELLY, P. 104 .
انظر الخريطة رقم (٢) لمعرفة مواقع البلدان المذكورة هنا .

(٧٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٦ – ٤٣٨ .
لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٦٨ . . MILES, P. 298 - 299 . KELLY, P. 104 - 105 .
قتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية في أواخر رجب ١٢١٨هـ (بداية نوفمبر ١٨٠٣م) (ابن بشر ، جـ ١ ، ص : ١٦٧) وقد اعتقد السيد قيس والسيد سلطان ، أن انسحاب الحرق سببه خوفه من كثرة قواتهما لعدم علمهما بما حدث في الدرعية ، انظر ابن رزيق ومايلز الصفحات الأخيرة .

(٨٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ . . MILES, P. 299 . KELLY, P. 104
خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة القواسم في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م .

(٨١) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٧٩ . MILES, P. 302 . KELLY, P. 105 .

(٨٢) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٧٩ . MILES, P. 305 . KELLY, P. 105 وانظر أيضاً : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ – ٤٣٩ ، الذي ينص على أن رحلة السيد سلطان إلى البصرة كان هدفها " أخذ القانون الجاري من أهل البصرة لحاكم عمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد " وأن أهل البصرة استقبلوه استقبالاً حافلاً وسلموه القانون الجاري .

(٨٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٩ – ٤٤٠ . ابن بشر ، جـ ١ ، ص : ١٨١ .
لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٧٩ – ٦٨٠ .

MILES, P. 302 - 303 . KELLY, P. 105 .

(٨٤) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٨٤ .

MILES, P. 304 . KELLY, P. 12 , 109 .

لا يصرح ابن رزيق بالوصاية لكنه يقول أن السيد سعيد أشرك محمد بن ناصر الجبري في الحل والعقد وأن المراسلات كانت تصدر باسمه . كما يذكر أن السيد سعيد ولد في عام ١٢٠٦هـ (١٧٩١ - ١٧٩٢م) أي أن عمره عند وفاة أبيه كان ١٣ سنه . انظر ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٠ - ٤٦٢ .

(٨٥) BOMBAY SELECTIONS. P. 58 , 175 - 303 .

MILES, P. 303 - 304 . KELLY, P. 105 - 106 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٦ ، ١٦٨ - ١٦٩ . وبنو معين هم قبيلة عربية كانت تحكم جزر قشم وهرمز وبندر عباس وتوابعها باسم حكومة فارس لكن السيد سلطان استولى عليها منهم .

(٨٦) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٢ - ٤٦٦ . MILES, P. 304 BOMBAY SELECTIONS. P. 175 - 176 .

(٨٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٤ - ٤٣٥ . . MILES, P. 296 - 297 , 304 . BOMBAY SELECTIONS. P. 176 .

(٨٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٢ - ٤٧٦ . . MILES, P. 305 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٨٤ .

(٨٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٧ - ٤٨١ . MILES, P. 305 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٨٤ - ٦٨٥ .

يقدر ابن رزيق (ص : ٤٧٨ - ٤٧٩) عدد المقاتلين العتوب الذين وصلوا لمساعدة السيد بدر على دفعتين بحوالي : ١٢٠٠ رجل ، وأهل الظاهرة والشمال بحوالي ١٢ ألف رجل من الحضر والأعراب ، بينما يقدر فرانسيس واردن (BOMBAY SELECTIONS. P.176) ومايلز (MILES, P. 305) أتباع

السعوديين الذين جاؤوا لمساعدة السيد بدر من جهة البحر بحوالي أربعة آلاف مقاتل و ١٥ مركباً ، أما كيلي (KELLY, P. 107) فيذكر أن عدد العتوب كان ١٥٠٠ مقاتل جاؤوا على ١٥ مركباً ، ويلاحظ أنه ليس هناك أي إشارة في هذه المصادر لاشتراك القواسم في هذه الحملة .

(٩٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٨٣ – ٤٨٨ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٧ – ٦٨٨ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 177 . MILES, P. 306 . KELLY, P. 108 .

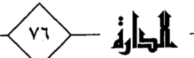
تختلف المصادر البريطانية والعمانية في عدد محاولات السيد قيس للاستيلاء على مسقط ، كما تختلف في تفاصيل حوادث تلك المحاولات والاطراف التي اشتركت فيها ، ويفهم من المصادر البريطانية أن للإمام سعود دوراً في عدم حسم الصراع بين السيد بدر وعمه قيس لخوفه من ازدياد قوة بدر وبالتالي استقلاله عن السعوديين ، بينما يفهم من ابن رزيق أن لبعض زعماء الأحزاب والقبائل العمانية ، مثل الشيخ خميس بن سالم الهاشمي وعلي بن هلال البوسعيدي ومحمد بن خلفان والشيخ حميد بن ناصر الغافري وغيرهم دوراً في عدم رجحان كفة أحد الطرفين على الآخر وخاصة كفة السيد بدر وحلفائه لخوفهم من سيطرة السعوديين على جميع أقاليم عمان ، انظر المصادر المذكورة أعلاه ، الصفحات نفسها ، أما المصادر السعودية فلا تشير إلى نشاط السعوديين في عمان في هذا الوقت .

(٩١) لمع الشهاب ، ص : ٨٥ – ٨٦ .

MILES, P. 306 - 307 . KELLY, P. 108 .

وينص صاحب لمع الشهاب على أنه كان للسعوديين خلال فترة حكم السيد بدر قضاة في مسقط وحامية عسكرية أخرى في وادي سمايل طلب السيد بدر سحبها من هناك لعدم استثارة العمانيين .

(٩٢) BOMBAY SELECTIONS. P. 366 .



(٩٣) لمع الشهاب ، ص : ٨٣ – ٨٤ .

(٩٤) BOMBAY SELECTIONS. P. 366 - 367 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ص : ١٢٧٦ – ١٢٧٧ .

أبو ياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ، ص : ١٣٩ .

(٩٥) المصدران الأولان ، الصفحات نفسها .

(٩٦) العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٣ .

(٩٧) BOMBAY SELECTIONS. P. 303 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ١١٤٤ .

MILES, P. 297 . KELLY, P. 104 .

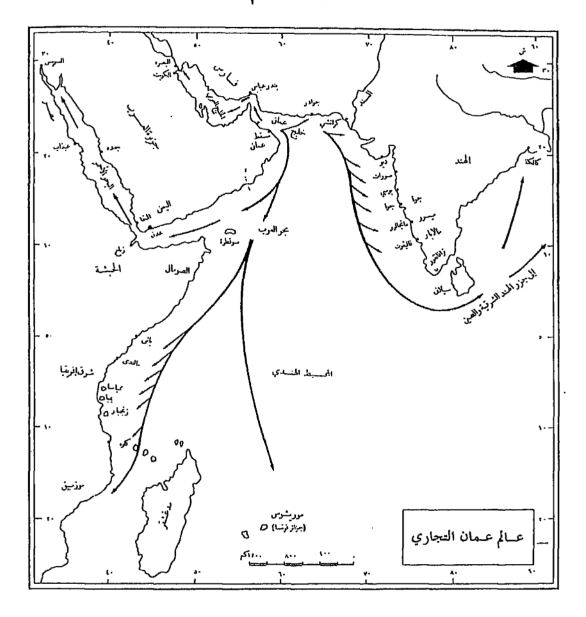
(٩٨) MILES, P. 306 .

(٩٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٨٤ – ٤٨٧ .

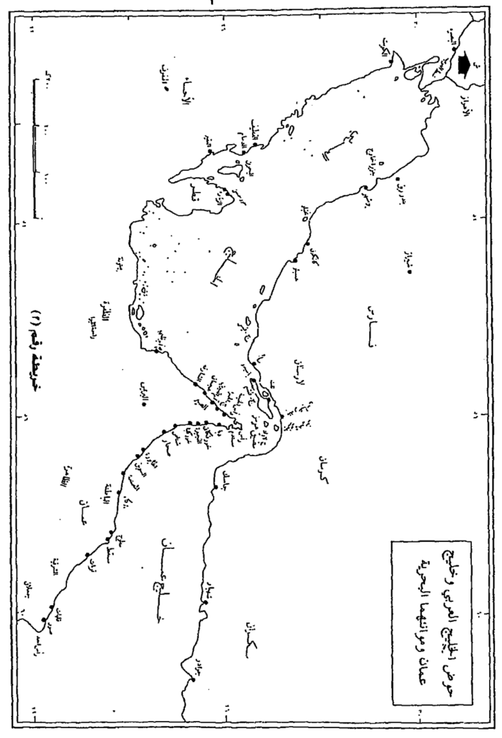
وانظر أيضاً لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٨٧ – ٦٨٨ .

******

خريطة رقم (١)


عـالم عـمان التجاري
المحيط الهندي
الهند
بحر العرب
سوقطرة
عدن
اليمن
الحبشة
الصومال
شرق إفريقيا
مدغشقر
موزمبيق
مسقط
عمان
بندر عباس
البصرة
الكويت
فارس
جوادر
كراتشي
السند
كالكتا
سيلان
إلى جزر الهند الشرقية والصين

خريطة رقم (٢)



المصادر العثمانية
وأهميتها في دراسة تاريخ الجزيرة العربية

الدكتور / عايض بن خَـزَّام الروقي
قسم التاريخ الإسلامي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

إذا كانت مصادر الدراسات التاريخية متعددة ومتنوعة، ولكل منها أهميته وقوته العلمية، فإن الوثائق التاريخية المنشورة وغير منشورة، والمخطوطات، والمؤلفات المعاصرة للحدث والمعروفة بالمصادر الأساسية تأتي جميعها في مقدمة المصادر والمراجع التي يُعّول عليها كثيراً في دراسة التاريخ وإبراز الحقائق العلمية.

ولأن الدولة العثمانية تعايشت مع الأحداث التاريخية في الجزيرة العربية منذ أوائل القرن العاشر الهجري أوائل القرن السادس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري أوائل القرن العشرين الميلادي وهي بلاشك فترة تاريخية

طويلة، تأثرت الجزيرة العربية بأحداثها وأثرت في مجرياتها، ولاسيما أن الدولة العثمانية المسلمة قد نظرت إلى الجزيرة العربية والدولة السعودية الأولى والثانية نظرة خاصة، وكان لها في ذلك مواقف مؤثرة على مجريات التاريخ وتلك الحقبة الزمنية.

لذلك كان الكتاب العثماني الذي كتب باللغة العثمانية التركية ذات الأحرف العربية، وكذلك الكتاب التركي الحديث الذي دُون باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية، هذان الكتابان أصبحا يمثلان مصدراً أساسياً لدراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث، خاصة وأن هذه الكتب إما معاصرة للحدث وصنَّاعه وإما معتمدة على الوثيقة الأساسية التي صدرت عن صانع الحدث، وهذه الحيثيات تعطي الكتاب العثماني التركي أهمية كبيرة للاعتماد عليه كمصدر مهم من مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث، وعدم الإقلال من أهميته وتميزه، وذلك للأخذ منه والاعتماد عليه أو للرد على مافيه من آراء ومعلومات وردت حينذاك متأثرة بمسار الأحداث في تلك الفترة.

وقد أوردت الدراسة أسماء مايقرب من عشرين كتاباً باللغة العثمانية ذات الأحرف العربية، وبضعة كتب باللغة التركية الحديثة، وذلك للدلالة على أهمية هذه المصادر في دراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث.

وقد تمنت الدراسة في خاتمتها وجود هذه المصادر المهمة في المكتبات السعودية الرائدة في بلادنا العزيزة.

إن مصادر الدراسات التاريخية متعددة ومتنوعة، ولكل منها أهميته وقوته العلمية، وهي كما هو معروف مختلفة الأسماء والغايات، ولكل منها مؤيدوه ومحبوه، لكنها جميعاً تنتهي إلى هدف واحد هو البحث عن الحقيقة التاريخية المجردة.

ومن أهم هذه المصادر وأبرزها :

١ - الوثائق بأنواعها المنشورة وغير المنشورة، وهي تكتسب أهميتها وقوتها من مصدرها، فهي إما معدة من صانع الحدث التاريخي، أو بأخذ موافقته، أو من قبل من هم معاصرون لذلك الحدث، والوثيقة ليست سياسية فحسب ولكنها ربما تكون دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نحو ذلك.

٢ - المخطوطات وهي من المصادر القوية لقربها من مصدر الحدث ولقدمها وعدم تأثرها بكثير من المتغيرات التاريخية.

٣ - الآثار بمختلف أنواعها وأشكالها، وهي تعطي معلومات جيدة يستخلصها دارسوها ومحبوها.

٤ - الكتب والمؤلفات المعاصرة للحدث، وهي ما يتفق على تسميته بالمصدر الأساسي لتدوين الأحداث، وهو يأخذ اهتماماً كبيراً يصل إلى مستوى الوثيقة أو يقاربه.

٥ - الكتاب الذي ألف عن هذه الأحداث التاريخية سواء كان مؤلفه في محيط الحدث، أو بعيداً عنه، وسواء استقى معلوماته من مصادر معاصرة أو ممن صنعوا الحدث، وهو ما يتفق على تسميته في لغة البحث بالمرجع.

٦ - الروايات الشفوية، سواء من صناع الأحداث أو ممن شاركوا في صناعتها أو عاصروها أو سمعوا من معاصريها، وللرواية منهجية علمية مستقلة للأخذ منها كمصدر للحدث التاريخي.

من هنا نستطيع أن نقول: إن الكتاب سواء كان مخطوطاً أو مطبوعاً يأتي في

مقدمة مصادر البحث التاريخي، وتزداد أهمية الكتاب إذا كان مؤلفه ممن عاصر الحدث، أو أخذ عن معاصري الحدث.

وإذا كان الكتاب التاريخي المؤلف باللغة العربية يعتبر مصدراً قوياً من مصادر الدراسات التاريخية العربية سواء كان هذا الكتاب مخطوطاً أو مطبوعاً، فإن الكتاب التاريخي المؤلف بغير اللغة العربية ينطبق عليه هذا المقياس وهذا الواقع إلى حد كبير.

من هذا المنطلق فإن الكتاب العثماني الذي كتب باللغة التركية ذات الأحرف العربية سواء كان مخطوطاً أو تم تحقيقه بعد ذلك أو نقل إلى اللغة التركية الحديثة ذات الأحرف اللاتينية أو ترجم إلى اللغة العربية، هذا الكتاب أصبح مصدراً مهماً من مصادر الدراسات التاريخية للمشرق العربي الإسلامي بشكل عام، وللجزيرة العربية بشكل خاص، ولا سيما أن بعض هذه الكتب معاصرة للحدث ولصنّاع الأحداث أنفسهم، فهي إذن تعتبر مصدراً قوياً ومرجعاً مهما للدراسة التاريخيَة.

أهمية علم التاريخ في حياة الناس :

يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون مبدياً إعجابه بعلم التاريخ :

" التاريخ فَنٌ عزيز المذهب جَمٌّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، . . والتاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأُول، وفي باطنه نظر وتحقيق وتحليل وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها ". (١)

ومن هنا كان اهتمام الناس بالتاريخ لفهم الماضي، ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية، (٢) ومع تلك الأهمية والاهتمام إلا أن المؤرخ ذاته بات عرضة للاتهام وتحمل المسئوليات والتبعات، بيد أن هناك من يرى أن العوامل التي تتجاذب المؤرخ تؤثر عليه وعلى منهجه، وبالتالي تبرز ظاهرة الاختلاف بين المؤرخين.

ويرى البعض أن أهم هذه العوامل ينحصر في أربعة أمور هي :

أ - الأهواء الشخصية سواء أكانت حباً أم كراهية، وسواء أكانت موجهة إلى الفرد أم إلى الجماعة أم إلى طبقة أم إلى أمة.

ب - التحيز أو الانتماء.

جـ - المدارس المختلفة للتفسير التاريخي.

د - المعتقدات والقيم الأخلاقية الأساسية. (٣)

ولكي يتم العمل التاريخي وفق أهداف نبيلة وغايات كريمة، وهو ما يسعى إليه المؤرخون بشكل عام، ينبغي أن يتوفر للمؤرخ والباحث الركيزة الأساسية لهذا العلم، وهي إما وثيقة علمية خلَّفها صناع الأحداث التاريخية وإما مصدر ومرجع علمي توجد فيه المعلومات والروايات التاريخية الصحيحة. وقد عرف أجدادنا العرب المسلمون أهمية كتب المصادر وسموها كتب الأصول، والكتب الأمهات، والكتب الأساسية، أي أنها تحوي أساسيات العلم. والحقائق التي تحويها لا يرقى إليها الشك أو الجدل. (٤)

يقال : صدر القوم عن المكان أي رجعوا عنه، وصدروا إلى المكان صاروا إليه، والصَّدْر أعلى ومقدّم كل شيء وأوّله، يقولون : صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف. (٥)

ويقال : صدر الأمر صَدْراً، وصدوراً : وقع وتقرر، والشيء عن غيره نشأ، ويقال : فلان يصدر عن كذا، أي يستمد منه.

والمصدر : ما يصدر عنه الشيء، وعند علماء اللغة : صيغة إسمية تدل على الحدث فقط. (٦)

والمصدر : جمعه مصادر، وهو موضع الصدور، ومنه مصادر الأفعال، لأن المصادر المجردة هي أصل المشتقات، تقول : رجل مُصْدَرٌ : متمٌّ للأمور. (٧)

ويحدث كثيراً في الأبحاث العلمية اكتشافات مذهلة عن طريق الملاحظة لظاهرة مشكوك فيها، أو خروج بعض الوثائق والكتب النادرة والتي كانت مجهولة

قبل ذلك، وعلى ضوئها تتغير مفاهيم وآراء كانت سائدة، وتُفْهَم الأحداث وتُفَسَّر من خلال تلك المعلومات الجديدة. (٨)

ومع ذلك فليس كل نادر جدير بالذكر، ولا كل مبذول مرذول، فرب غَثّ نبّهته ندرته، وسمين أخملته كثرته، والعبرة دائماً بقيمة الشيء في نفسه، فالسخيف سخيف وإن عزّ، والنفيس نفيس حيثما كان. (٩)

والكتاب العثماني الذي كُتب عن الجزيرة العربية باللغة التركية من نوادر الكتب النفيسة في مجمله، لعدة اعتبارات تاريخية وسياسية ودينية نجملها فيما يلي :

١ - أن الدولة العثمانية كقوة سياسية استمرت في تأثيرها على مجريات الأحداث التاريخية في شبه الجزيرة العربية منذ أوائل القرن العاشر الهجري / أوائل القرن السادس عشر الميلادي، حيث دخل الحجاز دخولاً تلقائياً وسلمياً تحت السيادة العثمانية سنة ٩٢٣هـ حين أرسل أمير مكة في ذلك الوقت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ابنه أبا نمي ومعه مفاتيح الكعبة الشريفة إلى السلطان سليم الأول - ياووز - " أي القاطع " والذي كان قد انتصر في معركة مرج دابق على السلطان الغوري في شهر رجب سنة ٩٢٢ هـ، أواخر أغسطس سنة ١٥١٦م، ودخل القاهرة في أوائل شهر محرم سنة ٩٢٣هـ / أواخر شهر يناير سنة ١٥١٧م، بعد انتصاره في معركة الريدانية. ويذلك أصبح البحر الأحمر - بحيرة عثمانية - وتَشرّف سلاطين الدولة العثمانية بلقب " حامي حمى الحرمين الشريفين "، وأوقفت الدولة العثمانية أوقافاً كثيرة على الأماكن المقدسة، كانت إيراداتها تصب في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعرف باسم " حرمين دولابي " - أي خزانة الحرمين - (١٠)، وقد استمر هذا التأثير في مجريات الأحداث التاريخية في تاريخ الجزيرة العربية إلى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أوائل القرن العشرين الميلادي(١١)

٢ - إن الأوضاع الدينية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية بشكل عام وفي إقليم

الحجاز بشكل خاص كانت تستأثر بجل اهتمام رجال الدولة العثمانية، وكان لها النصيب الوافر من الرعاية والمتابعة، حتى باتت التقارير السنوية تُعَدُّ عن ذلك الجزء الهام من الدولة، وأصبحت أحوال الحجاز تتصدر سالنامات الدولة العثمانية، كما أن أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي أخذت نصيبها من هذه السالنامات التي كتبت عن ولايات الدولة المختلفة. (١٢) وقد منح سلاطين الدولة العثمانية عدة امتيازات مالية وسياسية للحرمين الشريفين وسكانهما، حيث مثلت الصرة الهمايونية تقليداً ثابتاً لدى سلاطين الدولة العثمانية، فهم يحرصون على إرسالها كل عام إلى الحرمين الشريفين، ولا يقبلون تأخيرها أو العبث بها، كما تمتع سكان الحرمين الشريفين بعدة امتيازات كالإعفاء من التجنيد أو الخدمة العسكرية، وكذلك الإعفاء من النظام الضريبي الذي يفرض عادة على معظم ولايات الدولة العثمانية. (١٣)

٣ - هناك اتجاه إيجابي في نمط السياسة العثمانية تجاه الجزيرة العربية، كمهبط للوحي السماوي، والرسالة الخالدة التي جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولموقع الحرمين الشريفين فيها، وهو المكان الذي تهفو إليه أفئدة المسلمين في كل زمان ومكان، لذا كان الكتاب العثماني في هذا الاتجاه يحتل الحيز البارز والكبير في المؤلفات العثمانية. (١٤)

ويتضح مما سبق أن الكتاب العثماني عن الجزيرة العربية في تلك الحقبة التاريخية أصبح في حكم النادر، لبعده عن متناول القارئ العربي، ولأنه كتب بلغة غير اللغة العربية، ومع هذا وذاك فمازال الكتاب العثماني يشكل أهمية كبيرة، ويعتبر من المصادر النادرة والمهمة لتاريخ شبه الجزيرة العربية.

ولا بد لنا في المملكة العربية السعودية بشكل خاص، وفي العالم العربي بشكل عام من الاهتمام بحصر هذه الكتب ومعرفتها، ومعرفة أماكنها قدر المستطاع، ليتسنى لنا بعد ذلك ترجمة ما يمكن ترجمته، وتحقيق ما يمكن تحقيقه، والاستفادة منه في معرفة تاريخنا في القرون الخمسة الماضية وهي مدة زمنية

طويلة تحتاج إلى البحث والتحقيق والدراسات الجادة.

إن مدينة إستانبول التاريخية " عاصمة الدولة العثمانية المسلمة " تمتلك في خزائنها المكتبية ومراكزها العلمية كثيراً من الوثائق العثمانية التي لم تنشر بعد، وكثيراً من المصادر والمراجع الأصلية والنادرة، والتي لها علاقة مباشرة بتاريخ الجزيرة العربية والدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، مع أن الأرشيف العثماني مازال يحتفظ بالشئ الكثير من الوثائق العثمانية التي لم تنشر، والتي تعتبر من أهم ما يعتمد عليه الباحثون في دراسة التاريخ الحديث والمعاصر، وبدونها يصعب على الباحث الوصول إلى الحقيقة، لأننا نعرف أن الوثيقة هي الشاهد، والتاريخ هو القانون الذي يعتمد على إيجاد الأدلة الواضحة واستخدامها لإبراز الحقيقة المجردة. (١٥)

ومع هذه الأهمية القوية للوثائق العثمانية إلا أن ذلك لا يقلل بأي حال من الأحوال من أهمية الكتاب العثماني، ولا سيما أنه يعتبر الآن في حكم المصدر النادر بالنسبة للقارئ العربي، وأنه يشكل مصدراً مهماً ومرجعاً علمياً قوياً في دراسة تاريخ الجزيرة العربية الحديث.

وسنشير فيما يأتي إلى بعض المصادر والمراجع العثمانية التركية المخطوطة والمطبوعة وأهم ما تحتويه، لنؤكد أهمية ما ذهب إليه هذا البحث وهي :

١ - كتاب خلاصة الأخبار، ومؤلفه محمد بن عمر بن بايزيد عاشق حنفي، وهو محفوظ في المكتبة السليمانية في إستانبول، في قسم أسعد أفندي، تحت رقم ٢٣٧٨، ويقع في ٢٨٣ ورقة.

وقد فرغ المؤلف من كتابته سنة ١٠٠٥ هـ، ويتحدث الكتاب بإسهاب عن فضائل المدينة المنورة وتاريخها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، كما يعطي معلومات وافية عن الآثار التاريخية بالمدينة، والترميمات التي أجريت لها في العهد العثماني.

وتوجد نسخة مختصرة لنفس الكتاب ونفس المؤلف بعنوان :

اختصار الخلاصة، في قسم جلبي عبد الله أفندي تحت رقم ٢٤٩ بالمكتبة السليمانية في إستانبول، وتمتاز النسخة المختصرة بوجود صور مرسومة باليد لبعض الأماكن في المدينة المنورة، مثل المسجد النبوي، والحجرة الشريفة، ومسجد قباء، ومسجديْ أبي بكر وعمر وغيرها.

٢ - كتاب أخبار مكة، ومؤلفه محمد بن عمر بن بايزيد عاشق حنفي، ويقع الكتاب في ٦٧ ورقة، وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة ١٠١١هـ، وهو محفوظ في قسم جلبي عبد الله أفندي تحت رقم ٢٤٩ في المكتبة السليمانية في إستانبول، والكتاب يتحدث عن بناء الكعبة، وبابها والترميمات التي أجريت لها في العهد العثماني، ويوجد في الكتاب نص اللوحة التذكارية الحجرية الخاصة بترميم الكعبة من قبل السلطان مراد الثالث. وقد أورد المؤلف في صفحات الكتاب عدداً من الصور التي رسمت باليد لبعض الأماكن في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، مثل صورة الصفا والمروة، وباب الكعبة، وجبل أبي قبيس، ومسجد الخيف، وجبل ثور، وجبل النور، والمشعر الحرام، وجبل الرحمة بعرفات.

٣ - كتاب طيبة الأذكار في مدينة الأنوار، ومؤلفه درويش أحمد بشكاري زاده، والكتاب يقع في ٥٨ ورقة في مجلد واحد، وقد نسخ سنة ١٢٥٠ هـ، وهو محفوظ في مجموعة بَرْتَوْنيَال في المكتبة السليمانية في إستانبول تحت رقم"440"، وقد رافق المؤلفَ قاضي المدينة المنورة محمد عطا الله أفندي، المعين من قبل الدولة العثمانية سنة ١٢٠٦هـ، وعمل معه كاتباً لمدة عام كامل. وفي خلال إقامته تلك تعرف على عادات وتقاليد أهل المدينة المنورة وأنماط الحياة فيها، وأراد أن ينقل صورة حية للحياة الاجتماعية في المدينة المنورة لمن يريد الحج ويريد زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتحدث في كتابه ذاك عن العادات التي كانت سائدة في طيبة الطيبة، وقد قام الدكتور سعد الدين بن عثمان أونال، الباحث بمركز أبحاث الحج بجامعة أم

القرى بمكة المكرمة بتعريب ذلك الكتاب، لكنه ما يزال مخطوطاً عنده على الآلة الكاتبة.

٤ - كتاب تعطير أرجاء الدولة المجيدية بطيب أخبار بلد خير البرية، ومؤلفه مصطفى عشقي بن عمر الكليسي، وهو مؤلف باللغة العثمانية، ويقع في ثلاثة مجلدات، تشمل ثمانية أبواب وخاتمة.

ويتحدث الكتاب عن أسماء المدينة المنورة، وعن خواصها وفضائلها، وعن سكانها، وأول بناء للروضة الشريفة، كما يتحدث عن أسوار المدينة وحدودها وعن مساجدها والأماكن التاريخية فيها. وقد انتهى المؤلف من كتابه في سنة ١٢٦٢هـ ويذكر أنه ألفه بالمدينة المنورة، والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ١٤٨٨-١٤٩٠، وله أهمية تاريخية خاصة.

٥ - كتاب غاية البغية والمرام في بيان أساس الكعبة والمسجد الحرام، ومؤلفه الشيخ محمد أمين المدني ابن الشيخ محمد صالح الكردي الأيوبي، وهو محفوظ تحت رقم ٩٣٧٠ في مكتبة جامعة إستانبول، ويشتمل الكتاب على سبعة فصول، تحدث فيها المؤلف عن الطواف والتجديدات المعمارية في المطاف وتحدث عن الكعبة وكسوتها وتاريخ ذلك حتى زمن المؤلف، ثم أشار المؤلف إلى بئر زمزم وما مر عليها من تعمير وترميم خلال الفترات التاريخية. وتحدث عن أبواب الحرم وأسمائها وأساطين الحرم ومن بناها ورممها ليختتم الكتاب بالحديث عن فضائل مكة وسكانها، وقد أشار المؤلف في كتابه إلى أنه فرغ من تحريره في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ١٢٩٨هـ، وللكتاب أهمية خاصة في تاريخ مكة المكرمة.

٦ - كتاب تاريخ نعيما، ومؤلفه مصطفى نعيما، ويقع الكتاب في خمسة مجلدات، وقد طبع بالمطبعة العامرة سنة ١٢٨١-١٢٨٣هـ في إستانبول.

وهو يحوي معلومات كثيرة عن بعض الحوادث التاريخية التي وقعت في الجزيرة العربية بشكل عام، والحرمين الشريفين بشكل خاص.

وقد تحدث المؤلف عن ترميمات الكعبة المشرفة والمدينة المنورة وجهود السلاطين العثمانيين في المدينتين المقدستين في القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجري.

٧ - تاريخ كوجوك جلبي زاده إسماعيل عاصم أفندي، طبع في مدينة إستانبول سنة ١٢٨٢هـ في مجلد واحد.

وهو يتحدث عن الخدمات التي قدمت للحجاج وللأماكن المقدسة من قبل سلاطين الدولة العثمانية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري. ويشير بإسهاب إلى إرسال العساكر العثمانية إلى ميناء جدة لحمايتها من الهجمات المعادية، كما يشير إلى الترميمات في المدينة المنورة وفي عين الزرقاء بها ونحو ذلك.

٨ - كتاب تاريخ بجوي، إبراهيم أفندي.

وقد طبع في المطبعة العامرة في إستانبول في سنة ١٢٨١هـ وفي سنة ١٢٨٣هـ، واعتمدت النسخة المطبوعة على النسخ التي وصلت إلى وفاة السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٩هـ، ويتناول تاريخ الدولة العثمانية من عام ١٥٢٠م إلى عام ١٦٤٠م وقد تحدث المؤلف في كتابه عن تعمير سطح الكعبة المشرفة سنة ٩٧٩ و ٩٨٢ هـ، وتحدث عن وصول العثمانيين إلى اليمن وإلى ميناء عدن، مشيراً إلى الحملات العثمانية البحرية التي وصلت إلى الخليج العربي وإلى الهند. وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب عام ١٩٩٢م باللغة التركية وعنوانه Pecevi Tarihi

٩ - كتاب تاريخ أحمد لطفي، ومؤلفه هو الحافظ أحمد لطفي، وقد طبع في ثمانية مجلدات سنة ١٢٩٠هـ، وفي سنة ١٣٢٨هـ في المطبعة العامرة ومطبعة الصباح في مدينة إستانبول، وتوجد نسخة منه في مكتبة متحف الآثار في إستانبول تحت رقم ١٣٤٣، ورقم ١٣٤٧. وقد نشر القسم الثاني منه (ويتناول من الجزء التاسع إلى الجزء الرابع عشر) مابين عام ١٩٨٤ - ١٩٩١م من لدن منير آق تبه باللغة التركية الحديثة..

وفي هذا الكتاب معلومات تاريخية معاصرة عن الجزيرة العربية، وأمرائها، وعن مواقف الدولة العثمانية معهم، وعن تعاملات السلاطين العثمانيين مع أمراء مكة، وأئمة الدول السعودية الأولى، وعن الدعوة الإصلاحية التي رعتها ودعمتها الدولة السعودية.

وفي الكتاب معلومات وافية ودقيقة عن الخدمات المقدمة من الدولة العثمانية للحرمين الشريفين. ومؤلف الكتاب معاصر لأحداث القرن الثالث عشر الهجري، مما يعطي الكتاب أهمية خاصة لقربه من الفترة الزمنية للأحداث التي أوردها.

١٠ -كتاب تاريخ وهابيان، أي: تاريخ الوهابيين، وهو من تأليف أيوب صبري باشا، وقد طبع في إستانبول باللغة التركية العثمانية، في سنة ١٢٩٢هـ، ومنه نسخة في المكتبة السليمانية في إستانبول.

وأعيدت طباعته في سنة ١٩٩٢م من قبل دار بدر للنشر في إستانبول، وقد نشرت هذه الطبعة الثانية بالأصل العثماني، والتركي بالحروف اللاتينية أيضاً وذلك تحت عنوانُ Tarih-i Vahhabiyan

١١- حجاز ولايتي سالنامه سي، وتعريفه " سالنامة الحجاز أو الكتاب السنوي للحجاز".

وقد طبع في مطابع ولاية الحجاز " حجاز ولايتي مطبعة سنده طبع أولنمشدر" وكلمة سالنامة، تتكون من مقطعين :"سال" وتعني السنة والحول والعام. و"نامه " وتعني الكتاب والرسالة، والكلمة من أصل فارسي، وحين دخلت القاموس التركي العثماني أخذت معنى حولية، والتقويم السنوى أو الكتاب السنوي، أما معناها الاصطلاحي فهو "كتاب يحمل بعض الخواص التقويمية والعلمية والتعليمية"، ويعرفها أحد المفكرين العثمانيين في القاموس التركي بأنها "كتاب موقوت يصدر مرة كل عام ويبين وقائع وأحوال سنة

واحدة". (١٦)

وقد صدر منها خمسة أعداد خاصة بالسنوات الآتية :

١٣٠١ هـ، ١٣٠٣هـ، ١٣٠٥هـ، ١٣٠٦هـ، ١٣٠٩هـ. وكانت لغة السالنامات تلك هي اللغة العثمانية، ماعدا السالنامه الخاصة بسنة ١٣٠٣هـ حيث صدرت باللغتين العربية والعثمانية.

وفي هذه السالنامات نجد معلومات تاريخية عن الجزيرة العربية بشكل عام، وعن الحجاز بشكل خاص، وفيها قوائم طويلة منظمة على حسب السنين بأسماء مجالس إدارة المناطق التابعة لولاية الحجاز في العهد العثماني بدءاً من الوالي، والقائد العسكري والقاضي، والمفتي، ومدير مطبعة الولاية، ومديري المستشفيات، وأسماء أطبائها، وأسماء مشايخ المهن ومن في حكمهم، كما تتناول معلومات عن وضع التعليم والمدارس في ولاية الحجاز والاماكن التابعة لها.

وهناك سالنامات أخرى صدرت عن ولاية بغداد والبصرة واليمن، وفيها معلومات وفيرة عن الخليج العربي والجزيرة العربية. (١٧)

١٢- كتاب مرآت الحرمين، وتعريبه :"مرآة الحرمين"، ومؤلفه هو أيوب صبري باشا، أحد المدرسين في مدرسة البحرية الشاهانة "أي السلطانية" في إستانبول. (١٨)

والكتاب يقع في خمسة أجزاء، في خمسة مجلدات باللغة التركية العثمانية ذات الأحرف العربية، ويحمل الجزء الأول منه عنوان : مرآت جزيرة العرب، بينما الجزءان الثاني والثالث بعنوان: مرآت مكة، أما الجزءان الرابع والخامس فهما بعنوان : مرآت مدينة - أي مرآة المدينة - وقد طبع الكتاب في مطبعة البحرية العثمانية في إستانبول سنة١٣٠٣هـ" بحرية مطبعه سنده طبع أولنمشدر". (١٩)

والكتاب يتحدث عن جغرافية مكة المكرمة، وبيوتها ومنازلها وفضائلها، وعن

المواقع التاريخية فيها وأوضاع المجاورين فيها .

كما يتحدث عن توسعة المسجد الحرام وعن الصرر والهبات التي كانت ترسلها الدولة العثمانية ، وعن كسوة الكعبة الشريفة .

كما يشمل الكتاب الحديث عن الجزيرة العربية بشكل عام وجغرافيتها والعادات والتقاليد السائدة فيها زمن المؤلف .

كما يتحدث عن المدينة المنورة بنفس أسلوب حديثه عن مكة المكرمة .

١٣- حجازك أحوال عمومية صحية وإصلاحات أساسية حاضرة ، سيله برابر ، بعض مشاهدات وملاحظات بندكانه مي حاوي برلائحه طبيه در . القسطنطينية ، ١٣٠٨هـ .

وتعريبه : " تقرير طبي عن بعض المشاهدات والملاحظات في الأحوال الصحية العامة في الحجاز وإصلاحاتها الأساسية الحاضرة " .

والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ٤٣٦١ ، ومؤلفه قيصرلي شاكر ، وهو طبيب عسكري برتبة قائمقام أحد أطباء مستشفى حيدر باشا في إستانبول .

وتوجد نسخة منه مصورة على الورق بمركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وهي مصورة عن أصل المخطوط في جامعة إستانبول .

وهذا التقرير عبارة عن كتاب تتجاوز صفحاته ثلاثمائة وخمسين صفحة ، وقد تحدث فيه المؤلف عن بعض مشاهداته واقتراحاته من خلال وجوده في الحجاز التي قدم إليها في مهمة رسمية كلفه بها السلطان العثماني .

وقد ركز من خلال تلك المشاهدات والملاحظات على النواحي الصحية في منطقة الحجاز بشكل عام ، بدءاً من موانيها البحرية ومروراً بمراكز وتجمعات الحجاج في الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وأعطى المؤلف نبذة تاريخية وعلمية عن البحر الأحمر ومياهه ، ثم تحدث بإسهاب عن مدينة جدة والعادات الاجتماعية فيها وكيفية استقبالها للحجاج

وعن البيوت في جدة، والإصلاحات التي يرى ضرورة القيام بها في مدينة جدة سواء من الناحية العمرانية أو الصحية.

وقدم من خلال ذلك اقتراحات بضرورة إنشاء طريق للسكة الحديدية بين جدة ومكة والمشاعر المقدسة. وعند حديثه عن مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في منى ومزدلفة وعرفات أفاض المؤلف في الحديث عن كل الظواهر التي عاشها بدءاً من المواقع التاريخية والعادات الاجتماعية والأعمال التجارية والأسواق والنظافة، والخدمات الصحية الموجودة والمطلوب إيجادها. فقد اقترح تطوير الخدمات الصحية والاهتمام بصحة الحجاج والأهالي، وإجراء التدابير اللازمة للحيلولة دون انتشار الأوبئة في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

وتحدث عن الأمراض المعدية في الحج وعن المستشفى الوحيد الموجود بمكة المكرمة المعروف بمستشفى الغرباء.

ثم تحدث المؤلف عن الطريق إلى المدينة المنورة وعن أهم المواقع والأمكنة التاريخية من أودية وجبال وآبار تقع بين الحرمين ويمر بها طريق الحاج في تلك الفترة. وفي المدينة المنورة تحدث المؤلف بنفس المنهج والاتجاه وأعطى معلومات عامة عن المستشفيات هناك كالمستشفى العسكري، ومستشفى الغرباء، ومستشفى الحميدية، وقدم اقتراحات وآراء مختلفة، وأشار إلى لقاءاته مع قناصل بعض الدول الإسلامية وبعض الأطباء القادمين منها، ورؤيتة في ضرورة إرسال بعثات طبية مختلطة من الدول الإسلامية في كل عام مع حجاج تلك الدولة. ثم ختم تقريره بإلقاء نظرة على الأسطول البحري في البحر الأحمر، وملابس رجاله والمدة الزمنية لبقائه في البحر، كما أشار إلى أهمية حفظ الأمن في الحرمين الشريفين وبين المدينتين المقدستين - مكة المكرمة والمدينة المنورة - بشكل خاص، وفي سائر مدن الحجاز بشكل عام.

١٤- كتاب حجاز سياحتنامه سي، ومؤلفه، سويلمز أو غلي سليمان شفيق بن علي كمال باشا، وهو: "قول أغاسي -أي رئيس سرية". (٢٠)

في الطابور الثاني من آلاي المدفعية السيارة، وقد أتم كتابه هذا في دار الخلافة في إستانبول في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣١٠هـ، وقدمه إلى السلطان عبد الحميد الثاني ليطلعه على أوضاع الجزيرة العربية بعامة وأوضاع الحجاز بشكل خاص، والمؤلف زار الحجاز لأداء فريضة الحج برفقة والده الذي كان أميناً للصرة السلطانية التي رافقت المحمل العثماني سنة ١٣٠٧هـ، والكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ت٤١٩٩ . (٢١)

وفي هذا الكتاب معلومات نادرة عن الدعوة السلفية التي أفرد لها قسماً خاصاً تحت عنوان: " الدعوة الوهابية "، وتحدث بإسهاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن الدولة السعودية في نجد، وتوسعهم خارج نجد، كما تحدث عن القبائل في الجزيرة بشكل عام، وعن نجد وجبل شمر بشكل خاص، وأعطى معلومات إحصائية عن قوات الدولة السعودية، وعن إمارة " ابن رشيد " في حائل معبراً بذلك عن توجه السياسة العثمانية ورؤيتها للأحداث داخل الجزيرة العربية حينذاك، (٢٢) كما يحتوي الكتاب على مجموعة من الخرائط التي رسمها المؤلف، وهي من الخرائط النادرة.

وقد نما إلى علم الباحث من أحد الأساتذة المتخصصين أن الدكتور سليمان آتش، قد قام بترجمة جزء من هذا الكتاب أثناء فترة عمله في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بيد أنه لم يتيسر للباحث الحصول على نسخة من هذه الترجمة.

١٥ - " عارفي باشانك جدة والي قائمقام ملغندة بولنديغي زمانه عائد مخابرات رسمية مجموعه سي " وتعريبه هو: " مجموعة المخابرات العائدة لزمان قائمقامية والي جدة القائمقام عارفي باشا ".

وتقع هذه المجموعة في مجلدين، المجلد الأول يقع في ٩٣ ورقة للفترة من ١٣٠٥هـ - ١٣٠٦هـ، أما المجلد الثاني فيقع في ١٠٠ ورقة للفترة من ١٢٩٧ - ١٣٠٤ هـ. (٢٣)

١٦- كتاب معلومات عن الجزيرة العربية ومؤلفه هو محمد كامل بن نعمان المعروف با بن الدوامي الحمصي، وهو الكاتب الخامس في الديوان السلطاني، وقد أتم كتابه في ٢٧ رمضان سنة ١٣١٢هـ وقدمه للسلطان عبد الحميد الثاني، وفي الكتاب معلومات عن جغرافية الجزيرة العربية ومناخها ومحصولاتها ودوابها ومعادنها وتجارتها وطرقها، والأوزان والمكاييل المستعملة فيها.

كما تحدث المؤلف عن سكان الجزيرة العربية وعاداتهم وملابسهم وطرق معيشتهم، وتحدث عن الدعوة السلفية الإصلاحية في نجد التي قامت بها الدولة السعودية الأولى، وعن بعض القبائل في نجد.

والكتاب محفوظ بمكتبة جامعة إستانبول تحت رقم ٤٤٣٢، وهو مكتوب باللغة التركية العثمانية.

١٧- كتاب سياحتنامه، وتعريبه "الرحلة" ومؤلفه محمد ظلي بن درويش أولياء جلبي، ويقع الكتاب في عشرة مجلدات، والجزء التاسع خاص بالحجاز ومصر والسودان، ويبدأ الجزء التاسع بالحديث عن الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمستوى المعيشي لأهل البلدتين المقدستين.

كما يتحدث عن الحياة الاجتماعية، وعن العادات والتقاليد، وأنماط السلوك الاجتماعي، والتطور الاقتصادي الناتج عن ارتفاع مستوى المعيشة في الحرمين الشريفين.

وقد طبع هذا الكتاب باللغة العثمانية في الفترة من ١٣١٤-١٣١٨هـ عدة طبعات، ثم طبع باللغة التركية الحديثة منذ عام ١٩٢٨-١٩٣٨م عدة طبعات كذلك.

وتوجد نسخة مخطوطة من الكتاب باللغة العثمانية في مجموعة - حاجي بشير أغا - في المكتبة السليمانية في إستانبول تحت رقم ٤٤٨/ ١ - ٤٥٢/ ٢، وتوجد نسخة مطبوعة حديثاً بقاعة الكتب العثمانية والتركية بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

١٨- كتاب خلفاي عظام عثمانية حضراتنك حرمين شريفينده كى آثار مبروره ومشكوره هما يونلرندن باحث تاريخي برآثردر، وتعريبه "الآثار المبرورة والمشكورة لسلاطين آل عثمان بالحرمين الشريفين"، ومؤلف الكتاب هو محمد أمين المكي وقد طبع الكتاب باللغة العثمانية سنة١٣١٨هـ، في المطبعة العثمانية في إستانبول.

ومؤلف الكتاب كان عضواً في مجلس التفتيش في نظارة المعارف العمومية، والكتاب يشتمل على معلومات تاريخية نادرة عن مدن الحجاز، وبصفة خاصة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة، فهو يتحدث عن عدد السكان والمنازل والمتاجر وعن المصانع وأنواعها.

ويورد الكتاب معلومات وافية عن الأعمال التي قام بها سلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، وفي الحجاز بشكل عام، فهو يتحدث عن كل سلطان على حده، ويورد إحصائية نادرة لكل الأعمال التي قام بها كل سلطان.

كما يتحدث عن طريق الحاج ومنازله، والمسافات التي يقطعها الحاج بين هذه المنازل، كما أورد بياناً إحصائياً لأسماء وأعداد القبائل القاطنة بين مكة والمدينة. (٢٤)

١٩- كتاب تاريخ جودت، ومؤلفة هو صاحب الدولة أحمد جودت باشا ابن اسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل، من رجال الدولة العثمانية البازرين تولى منصب القضاء في الدولة سنة ١٢٦٠هـ، وفي أواخر سنة ١٢٨٩هـ تولى نظارة الأوقاف الهمايونية، ثم تولى نظارة المعارف العمومية، ثم نظارة العدلية سنة١٢٩٦هـ وفي سنة ١٣٠٥هـ عين من أعضاء مجلس الوكلاء الخاص. وقد تُرجمَ الجزء الأول من تاريخ جودت إلى اللغة العربية وطبع في مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٠هـ، ويوجد نسخة من هذا الجزء بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ,٤٢٠٨

وقد طبع كامل الكتاب باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية في ستة مجلدات

سنة ١٩٩٣م وسنة ١٩٩٤م في مطبعة جويك (evik في إستانبول، وقد تحدث المؤلف في الأجزاء الثاني والثالث والرابع والخامس عن الأحداث التاريخية التي عرفتها الجزيرة العربية، وتحدث عن ظهور الدولة السعودية الأولى وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ساندتها الدولة السعودية.

وفي الجزء السادس تكلم المؤلف عن الحملات العسكرية التي قادها محمد علي باشا ضد الدولة السعودية، ويشمل الكتاب بين جنباته معلومات وافية عن الانجازات الحضارية التي قدمتها الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، كما يتحدث الكتاب عن تأمين الطرق والنواحي الأمنية وعن الهبات التي تقدم لأهالي الحجاز من قبل الأستانة، كما أن الكتاب يعطي معلومات وافية ودقيقة عن خط سكة حديد الحجاز الذي ربط الشام بالمدينة المنورة في أواخر الدولة العثمانية.

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير من الكتب العثمانية التي أُلّفتْ عن الجزيرة العربية، وهي بدون شك تحمل في طياتها الكثير من المعلومات التاريخية والحضارية عن تلك المنطقة، وتحمل إلى جانب ذلك وجهة النظر العثمانية التي كانت تسود أجواء الدولة العثمانية ونحن العرب في حاجة الى معرفة تلك التوجهات من مصادرها الأصلية.

وبالإضافة إلى هذه الكتب فهناك خرائط ومخططات وصور فوتغرافية نادرة الوجود، تتعلق بمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومدينة جدة ومدينة الطائف ومدينة ينبع، وطرق الحج، وخرائط لشبه الجزيرة العربية وبحارها، وتعتبر هذه الخرائط من أول الخرائط التي عملت لهذه المناطق حيث إن تاريخ هذه الخرائط والصور يرجع إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وهي بذلك تكاد تكون نادرة الوجود والمماثلة، وتعتبر مصدراً مهماً لدارسة تاريخ وجغرافية المنطقة.

وبما هو جدير بالذكر هنا أن الجامعات التركية لم تغفل هذا الجانب في أبحاثها

ورسائلها العلمية، وقد أعدت أطروحات علمية في هذا الجانب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - إسماعيل حقي أوزون جارشيلي : أمراء مكة المكرمة.
Ismail Hakki Uzuncarsili/ Mekke -i Mükerreme Emirleri

وطبع الكتاب في أنقرة سنة ١٩٧٢م باللغة التركية ذات الأحرف اللاتينية من قبل مؤسسة تاريخ الترك.

وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور خليل على مراد تحت عنوان "أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني"، ونشر عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م عن طريق مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - شعبة دراسات العلوم الاجتماعية.

ويتحدث الكتاب عن شبه جزيرة العرب بشكل عام، وعن الحجاز ومكة المكرمة بشكل خاص، حيث يتكلم عن الأمراء والولاة في مكة، وعن اهتمام السلاطين العثمانيين بشؤون مكة المكرمة، وبدء إرسال الصرة الهمايونية إلى الحرمين الشريفين.

ثم أعطى المؤلف صورة واضحة عن دخول الحجاز تحت مظلة حكم الدولة العثمانية، وعن النظام الإداري الذي اتبع في الحجاز، وصلاحيات الأمراء وألقابهم ومخصصاتهم.

وقد تطرق مؤلف الكتاب إلى علاقات أمراء مكة بسلاطين الدولة العثمانية، وعن الرسائل المتبادلة بينهم، ثم اختتم كتابه بالحديث عن قضاة مكة، وقوافل الحجاج، وأشار كذلك إلى بعض الأشياء المباركة في الكعبة الشريفة، مثل غطاء الكعبة، وستارة الباب ومفاتيح الكعبة، والكتاب من الكتب القيّمة الموثقة في تاريخ مكة المكرمة في تلك الفترة التاريخية المهمة، نظراً لاستناده إلى كثير من الوثائق.

٢ - منير آتالار : الصرة الهمايونية ومراسمها في الدولة العثمانية.
Münir Atalar: Osmalidevleinde Surre-i Humayun Ve Sürre Alaylari

وهي رسالة دكتوراه من جامعة أنقرة، من منشورات رئاسة الشؤون الدينية سنة ١٩٩١م، وقد طبع باللغة التركية الحديثة.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة تمهيدية وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقد تحدث المؤلف في المبحث الأول عن الصرة في الدولة العثمانية وبدايتها بدءاً من عهد السلطان بايزيد الأول وتطور نظام الصرة مع وصول العثمانيين إلى المشرق العربي الإسلامي.

وشرح البحث مقدار هذه الصرر اعتماداً على ما دُوّن في دفاتر الصرة، بدءاً من انضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية وحتى انتهاء الدولة العثمانية في أوائل القرن العشرين.

أما المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن الاحتفالات والمراسم التي تقام في عاصمة الدولة - إستانبول - كل عام بمناسبة إرسال الصرة الهمايونية للحرمين الشريفين، وما تحويه هذه الصرر من هدايا وهبات ثمينة ترسل مع الصرة كل عام، وتحدث الكتاب بإسهاب عن الطريق الذي تسلكه قافلة الصرة، والإجراءات المتخذة لتأمينه، ثم ناقش الكتاب بإيضاح واف وظائف العاملين في الصرة، والمصطلحات الوظيفية وما في حكمها، والكتاب رسالة علمية اعتمدت في مجملها على الوثائق العثمانية غير المنشورة، وعلى المصادر المعاصرة.

٣ - أجار. أ. وهبي: الحركة الوهابية في تاريخ الدولة العثمانية
Ecer, A.Vehbi: Osmanli Tarihinde Vehhabi Harekati.

وهي رسالة دكتوراه من جامعة أنقرة لم تنشر بعد، وهذه الأطروحة العلمية مؤثقة بالوثائق المنشورة وغير المنشورة وبالمصادر الأساسية.

وقد تحدثت عن قيام الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورعتها الدولة السعودية.

٤ - كُلْدن صاري يلديز: تشكيلات المحاجر الصحية في الحجاز ١٨٦٥

-١٩١٤م.

Gülden Sariyildiz: Hicaz Karantina Teskilti 1865 - 1914.

وهذا الكتاب عبارة عن رسالة دكتوراه طبعت عام ١٩٩٦م من قبل مجمع التاريخ التركي في أنقرة، وقد اعتمدت الرسالة على وثائق عثمانية أصلية، ونَشَرَتْ عدة نماذج منها. وقد قسمت الرسالة إلى مباحث عدة تحدثت عن انتشار مرض الكوليرا في الحجاز حينذاك، واللجان الصحية التي أرسلت إلى هناك، كما تحدثت عن المحاجر الصحية المقامة في مداخل الحرمين الشريفين والجهود التي بذلت في سبيلها، ومحاولة إصلاحها وتطويرها.

وقد اتضح مما سبق أن تاريخ الجزيرة العربية ليس منعزلاً عن سواها، فهو مختلط بمن حولها من الدول والمجتمعات، تؤثر فيه وتتأثر به، فمن باب أولى أن يكون تاريخ الجزيرة العربية، والدعوة السلفية الإصلاحية التي قامت على أرضها أكثر تأثراً وتأثيراً بالدولة العثمانية وتاريخها ومؤلفاتها العلمية التي كتبت حينذاك.

من هنا نقول إن الكتاب التركي العثماني يجب أن لا تُقَلَّلَ أهميته، وعلينا مهمات كبيرة في الحصول عليه من مظانه، وبالتالي ترجمته وتحقيقه وتقديمه للباحثين والمتخصصين العرب، لتعم الفائدة، ويتم الأخذ منه والاعتماد عليه أو الرد عليه.

وإذا كانت أماكن هذه المصادر والكتب تنحصر بصورة كبيرة في المكتبات ودور المحفوظات في مدينة إستانبول في دولة تركيا الشقيقة مثل:

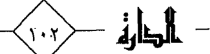
أ - المكتبة السليمانية وما فيها من مجموعات مختلفة.

ب - متحف طوب قبو سرايي بمدينة إستانبول

جـ - مكتبة جامعة إستانبول.

د - مكتبة كوبريلي باستانبول.

هـ - مكتبة عاطف أفندي في إستانبول.



و - مكتبة راغب باشا في إستانبول.

فإن هناك ولا شك بعض المصادر والمراجع العثمانية المهمة والتي خرجت أو أُخرجت من إستانبول إلى دور العلم والمكتبات الغربية.

ونحن في هذه الدراسة نتمنى أن تتكاتف الجهود لجمع هذه المصادر والمراجع المهمة من أماكن وجودها، سواء بطرق الشراء أو التصوير بالنسبة للكتب المخطوطة، وبالتالي وضعها في المكتبات الكبيرة والرائدة في المملكة العربية السعودية، وذلك كي يتسنى للباحثين المختصين ولطلبة الدراسات العليا بالجامعات السعودية الاستفادة منها والأخذ عنها من قرب، أو الرد على ما فيها بمنهج علمي متزن وهو ما ينشده الباحثون، ولابد من الإشارة هنا إلى ماقامت به مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض من إنشاء قسم خاص ضمن مجموعاتها العامة، يعرف بقاعة الكتب العثمانية والتركية، حيث توفر فيها كثير من الكتب المتعلقة بالجزيرة العربية بشكل عام والمملكة العربية السعودية بشكل خاص. وهذه القاعة لاتفتأ تتابع كل جديد يصدر عن المملكة في المؤسسات الثقافية والعلمية بتركيا، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

******

الهوامش

١ - عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة - ص٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ن.
٢ - د. أحمد بدر : أصول البحث العلمي ومناهجه، ص١٩٢، ط٣، ١٩٧٧م. منشورات وكالة المطبوعات - الكويت.
٣ - د. محمد زيان عمر : البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ص١٤٠، جدة، ١٣٩٥هـ، مطبعة خالد الطرابيشي.
٤ - د. محمد ماهر حمادة : المصادر العربية والمعربة، ص١١، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب، حرف الراء، فصل الصاد، جـ٤، ص٤٤٥-٤٥٠، دار صادر بيروت. د. ت. ن.
٦ - المعجم الوسيط : باب الصاد، جـ١، ص ٥٠٩-٥١٠، ط٢، دار الفكر، (د. ت).
٧ - المنجد في اللغة : ص٤١٥، ط٢٧، ١٩٨٤م منشورات دار المشرق، بيروت.
٨ - أحمد بدر : المرجع السابق، ص ٣٩.
٩ - أحمد تيمور باشا : نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها، نشر د. صلاح الدين المنجد، ص١١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٠م.
١٠- أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، جـ٢، ص١٤١ - ١٤٥، مؤسسة الحلبي للنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
: د. عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية - دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، ص١٦ - ٢٣، ص ٤٤٥ -٤٤٦. مكتبة الأنجلو المصرية،

القاهرة، ١٩٨٠م.

١١- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي، ص ١٩٧، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار النفائس، بيروت.

: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص٩٨-٩٩، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الشروق، القاهرة.

١٢- حجاز ولايتي سالنامه سي : حجاز ولايتي مطبعه سنده طبع أولنمشدر : مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى - مكة المكرمة.

: أولياء جلبي، محمد ظلي بن درويش: سياحتنامه، المجلد التاسع، المكتبة السليمانية، إستانبول، مكتبة حاجي بشير أغا. رقم ٤٤٨/ ١ - ٤٥٢/ ٢.

١٣- VE HUMAYUN)-SURRE DEVLET)NDE OSMANLI : ATALAR M)N)R
ALAYLARI S)RRE . P . 118 - 152.

: د. عبد العزيز محمد الشناوي : المرجع السابق، ص ٦٤ - ٦٧.

١٤- محمد أمين المكي : خلفاي عظام عثمانية حضراتنك آثار مبرورة ومشكورة همايونلرندن باحث تاريخي برآثردر، سنة ١٣١٨هـ،

"الآثار المبرورة والمشكورة لسلاطين ـــآل عثمان بالحرمين الشريفين"

: محمد بن عمر بن بايزيد طرابزوني عاشق : أخبار مكة وتاريخ المدينة المنورة، المكتبة السليمانية إستانبول، برقم , ٦٧٢

١٥- د. نجاة عبد القادر القناعي : أهمية الوثائق العثمانية في دراسة تاريخ الخليج العربي وشبه جزيرة العرب الحديث، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الثلاثون، السنة الثامنة، إبريل ١٩٨٢م، جمادى الآخرة سنة ١٤٠٢هـ، ص ١٤٣-١٤٥.

: د. عبد الفتاح حسن أبو عليه: دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص١٨٥-٢١٩.

١٦- د. محمد حرب : السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة

العربية مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد ٣٣، ص ١٤٥ السنة التاسعة، يناير سنة ١٩٨٣م، ربيع الأول سنة ١٤٠٣هـ.

١٧- سالنامة الحجاز : أعداد السنوات ١٣٠١هـ، ١٣٠٣هـ، ١٣٠٥هـ، ١٣٠٦هـ، ١٣٠٩هـ. مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة.

: د. محمد حرب : السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة العربية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . . .، ص١٤٥-١٧٥.

١٨- د. خليل ساحلي أوغلو : مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول، مجلة دارة الملك عبد العزيز، عدد ٣، السنة ٣، ص ١٣٤.

١٩ - يوجد نسخة من الكتاب في مكتبة مركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٢٠ - د. محمد عبد اللطيف البحراوي : حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩م ص٢٨٥، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، دار التراث، القاهرة.

٢١- د. خليل ساحلي أوغلو: مخطوطات عن الجزيرة العربية في مكتبة جامعة إستانبول، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م، ص١٣٧

٢٢- د. عبد الفتاح حسن أبو عليه : دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، ص ٣٧٣.

٢٣- د. خليل ساحلي أوغلو : المرجع السابق، ص ,١٢٨

٢٤- يوجد نسخة مصورة من الكتاب باللغة التركية العثمانية ذات الأحرف العربية بمركز أبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وقد ترجمه إلى اللغة العربية الباحث بالمركز الدكتور سعد الدين بن عثمان أونال، ولا تزال الترجمة محفوظة بالآلة الكاتبة لدى المترجم.

النقوش والرسوم الصخرية بالجواء في منطقة القصيم

د. عبدالله بن إبراهيم العمير
جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم الآثار والمتاحف
د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب
جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم التاريخ

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة النقوش والمخربشات الصخرية القديمة في الجواء بمنطقة القصيم ، وقد تم تسجيل تسعة مواقع تحتوي في مجملها على العديد من الكتابات الثمودية والنبطية ، كما تحتوي على رسوم حيوانية متنوعة من الجمال والوعول والغزلان ، بالإضافة إلى عدد قليل من الأشكال الآدمية . كذلك شملت الدراسة ماتم حصره في جبال هذه المنطقة من الوسوم ، والتي ظهرت إما مصاحبة لتلك الكتابات والرسوم الحيوانية أو منعزلة عنها .

المقدمة :

عندما عزمنا على دراسة نقوش الجواء ووسومه ورسومه الحيوانية، كان لزاماً علينا اتباع منهجية معينة تضمن لنا التعرف على أكبر قدر ممكن من المواقع ذات النقوش والمخربشات بأسلوب علمي منظم. فكانت الخطوة الأولى عمل مسح واستقراء لكل ما أمكن الاطلاع عليه من المصادر والمراجع والدراسات المعاصرة العربية والأجنبية التي أشارت إلى هذه المنطقة مع التركيز على تلك الكتابات التي تتناول موضوع دراستنا بشكل مباشر وهي النقوش والمخربشات أو بشكل غير مباشر وهي المادة التي كتبت عليها ونعني بها الجبال والأكمات الصخرية والصُّخور ونحو ذلك. ولقد ألقينا بثقلنا في التنقيب عن هذه المواقع من خلال مصدر ومرجع رئيسين في هذه المنطقة وفي هذا المجال، فأما المصدر فهو «معجم البلدان» لياقوت الحموي(١)، أما المرجع فهو «معجم بلاد القصيم» لمحمد بن ناصر العبودي(٢). ومما دفعنا إلى ذلك هو كون معجم البلدان وكذا معجم بلاد القصيم كتابين موسوعيين يمكن للمرء أن يستند عليهما لحصر المواقع بكل ثقة واطمئنان. هذا عدا كون المصدر الأول يورد الكثير من الأخبار والنصوص والأشعار القديمة التي تنطبق على الكثير من المواقع المعروفة اليوم في منطقة الجواء وتدخل في نطاق دراستنا. أما العبودي فيتميز عند دراسته وتحقيقه للمواقع بالاعتماد على غالبية المصادر القديمة مع الوقوف على المواقع والتثبت منها بنفسه.

أما الخطوة الثانية التي اعتمدناها للبحث عن النقوش والمخربشات للتعرف عليها، فهي عمل زيارات ميدانية متتالية للمواقع والجبال التي حصرناها مسبقاً وكنا نتوقع وجود بغيتنا فيها، وذلك إما لشهرتها القديمة أو الحالية أو لكونها تقع على طريق حج أو تجارة أو قرب بلدة عتيقة، أو لمجرد كونها ذات واجهات صالحة للكتابة. وإلى جانب هذه الخطوة عمدنا إلى زيارة كثير من مدارس ومراكز المنطقة للتباحث مع المسؤولين فيها عما يهمنا في هذا الموضوع. ولقد كانت الزيارات

الميدانية خير سبيل للتعرف على نقوش ومخربشات ورسوم هذه المنطقة، فمن خلالها عثرنا على نصوص مهمة في مواقع لم نتوقع العثور عليها كنص صلاصل (نق : ١١)، وعلى العكس من ذلك كنا نتوقع العثور على نقوش في مواقع مهمة ومشهورة لكنها كانت خلواً منها كجبل ساق الجواء المشهور. ولقد كان الهدف من هذه الدراسة هو محاولة حصر مابها من نقوش قديمة تشمل الكتابات والرسوم الحيوانية والوسوم، ثم التعرف على هذه العناصر وتحليلها ومقارنتها. حيث إن هذه المنطقة مازالت بكرًا لم تصلها يد الباحث المتخصص في هذا المجال. هي حسب اعتقادنا مازالت خصبة وبحاجة ماسة إلى دراسة شاملة تغطي آثارها ومواقعها المنتشرة هنا وهناك. ولعل أهمية هذه الدراسة الحالية تكمن في إمكانية إبراز نتائج ماتم حصره من نقوش وكذا فتح آفاق جديدة للمختصين في هذا المجال سواء كان هذا في منطقة الدراسة أو في مناطق أخرى مشابهة غُفِلَ عنها واستُهين بها.

الجِواء : موقعه وأهميته :

تنطق الجواء بالكسر، والتخفيف ثم المد (٣)، وهناك من ينطقها بإسكان الجيم بعد «أل» ثم وَاو مفتوحة فألف مقصورة أصلها في الفصحى ممدودة (٤). وكلمة الجواء - بكسر الجيم والوقوف على الهمزة - وكذا الجوا بإسكان الجيم والوقوف على ألف ممدودة لاتزالان تستخدمان بنفس الصيغة إلى يومنا الحالي. والجواء جمع «جو» وهو في أصل اللغة الواسع من الأودية، والجواء الفرجة التي بين محل القوم في وسط البيوت (٥)، والجواء بالهمزة البطن من الأرض وقيل البارز المطمئن منها(٦) وقيل البطن من الأرض الواسع في انخفاض (٧)، وقيل الجواء : واد في ديار عبس وأسد (٨). وسكان المنطقة يجمعون «جو» على «جيّان» بكسر الجيم وتشديد الياء، ويعنون به الماء الذي يقطنه العرب في البادية (٩).

والجواء تطلق على ناحية مهمة من نواحي القصيم (خريطة ١)، تقع في الشمال الغربي منه، أدناه على بعد ٣٠ كيلاً من مدينة بريدة، وهي بلدة القرعاء، إذ

تبتدئ حدود الجواء التقريبية بخط أوله من الجنوب نقطة بين القرعاء والشقة ثم تذهب إلى الشرق فتمر بأبلق ثم حدود «البطين» الغربية ثم ينعطف الخط إلى الغرب تاركاً بلدة قصيباء إلى الشمال حتى إذا انتهى من الغرب إلى «صلاصل» انعطف جنوباً تاركاً جبلي «ساق» و «صارة» إلى الشرق منه حتى يصل الشيحية (١٠).

ويتبع الجواء عددٌ من البلدان هي» ضارج (ضاري)، الشقة العليا، أبلق، جهة البطين الغربية، قصيباء، القوارة، كبد، الطراق، المخرم، يكلب، موارد ومياه جبال صاره والموشم (القنان)، الفويلق، روض الجواء، غاف الجواء، عيون الجواء، أوثال، الهدية، القرعاء، غضي، الضلفعة، الشيحية (١١).

وتعد محافظة عيون الجواء، التي تبعد عن مدينة بريدة حوالي ٤٥كم، أكبر هذه البلدان وهي قاعدة هذه الناحية، ويتبعها في التقسيم الإداري الحالي الكثير من البلدان وإن كانت لاتدخل ضمن جغرافية الجواء التاريخي الذي أشرنا إليه أعلاه. أما أشهر جبال الجواء فهي : صارات، وصارة، وساق، والأصابع، والموشم، وهناك الكثير من الجبال والأكمات الصخرية المتناثرة في بلدان الجواء، ومعظم أسمائها التي كانت لها في الجاهلية باقية إلى يومنا هذا (١٢).

جدير بالإشارة أن تعريف الجواء الذي أوردته الكثير من المصادر ينطبق تماماً على غالبية المنخفضات الأرضية الواقعة في هذه الناحية، إذ هي عبارة عن بطون أرضية منخفضة وواسعة، منها ماهي واقعة في مصب واد كبير، كبلدات عيون الجواء وغاف الجواء وروض الجواء الواقعة في مصب واديٍ أو شعيب الباطن أحد فروع واد ي الرمة، ومنها ماهي واقعة في منخفض طبيعي تتجمع فيه مياه الشعاب المحيطة، كأوثال والقرعاء وقصيباء والقوارة، وهي بشكل عام ذات مياه سطحية قريبة المنال، يسهل الحصول على الماء فيها بحفر الآبار والركايا والأحسية والثمايل. ولقد كان لهذه الناحية الواقعة في الشمال الغربي من منطقة القصيم أهمية تاريخية بارزة في القديم، وذلك يعود لجملة أسباب من أهمها : اتساع رقعة المساحات الرعوية الصالحة لرعي الإبل والغنم، بالإضافة إلى كثرة ما يخترق أراضيها من

الأودية والشعاب ؛ كذلك كثرة الجبال والأكمات الصخرية والكثبان الرملية التي توفر قدراً كبيراً من التحصين الطبيعي ضد الأعداء وضد المؤثرات المناخية المختلفة. هذا بالإضافة إلى ما يمر عبرها من الطرق التجارية القديمة (١٣) . ولعله لهذه الأسباب كانت هذه المنطقة مرتعاً خصباً لكثير من القبائل العربية القديمة التي استوطنت فيها أو عبرت خلالها كبني أسد وبني عبس وذبيان. لذلك نجد أن جل فحول شعراء العرب أشار إلى اسم «الجواء» بشكل مباشر أو ذكر بعض المواقع أو الأحداث داخل حدوده الجغرافية، فهذا امرئ القيس يقول :

كأن مكاكي «الجواء» غدية
صبحنى سلافاً من رحيق مفلفلِ(١٤)

وهذا عنترة بن شداد العبسي ينشد :

يادار عبلة «بالجواء» تكلمي
وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي(١٥)

أما النابغة الجعدي فيقول :

أقامت بها البردين ثم تذكرت
منازلها بين «الجواء» فجرثم(١٦)

ولقد كانت الجواء مسرحاً للكثير من المعارك بين القبائل في الجاهلية والإسلام مثل داحس والغبراء التي وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، والتي كان من أيامها يوم (المريقب) وهو موقع مازال يعرف قرب بلدة غاف الجواء وهو الذي قال فيه عنترة :

فالتعلمن إذا التقت فرساننا
يوم (المريقب) إن ظنك أحمق(١٧)

وهو الذي ذكر (ذات الرمت) المعروفة اليوم بـ (نقيرة الرمث) بين عيون الجواء وأوثال عندما قال :

وبني صباح قد تركنا منهم
جزراً (بذات الرمث) فوق أثال(١٨)

أما في صدر الإسلام فقد حدثت في الجواء معركة بين المسلمين وأهل الردة من غطفان وهوازن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قتلهم خالد بن الوليد رضي الله عنه شر قتلة (١٩) .

ولاشك أن مثل هذه الأحداث التي حصلت في الجواء لدليل واضح على أهمية الدور الذي لعبته المنطقة في تاريخ منطقة القصيم ونجد بشكلٍ خاص والجزيرة العربية بشكلٍ عام.

أولاً : الرسوم الحية (الحيوانية والآدمية) والوسوم :

خلال عملية المسح التي أجريناها في منطقة الجواء للتعرف على نقوشها ومخربشاتها، عثرنا على عدد لا بأس به من الرسوم الحيوانية المتنوعة كالجمال والوعول، وذلك إما في نفس المواقع الجبلية أو الصخرية التي توجد بها النقوش الكتابية، أو في مواقع ظهرت فيها الرسوم منفردة دون كتابة. بعض هذه الرسوم الحيوانية يبدو أنها مرتبطة بالكتابات المرافقة لها حيث إن النص يشير أحياناً إلى الحيوان أو الحيوانات المنقوشة بجواره، كما أن أسلوب تنفيذ الكتابة والنقش لايختلف من عنصر لآخر وذلك من حيث العمق والاتجاه والجودة، كنقش العمانية (نق : ٤) . وهناك رسوم حيوانية أخرى في نفس مواقع النقوش الكتابية، لكن هناك دلائل تشير إلى عدم العلاقة بينها، حيث التباين الواضح في أسلوب التنفيذ بين العنصرين الكتابي والحيواني، كما هو الحال في موقع الضلع المتكسر بأوثال (نق: ١٢). ومما يلاحظ أن الرسوم الحيوانية بشكل عام تبدو بأوضاع متعددة مستوحاة من أوضاعها الطبيعية التي تظهر عليها في حياتها اليومية.

كذلك عثرنا في المواقع التي قمنا بمسحها على مجموعة من الوسوم بعضها ظهر في نفس الأماكن التي ظهرت فيها الكتابات والرسوم الحيوانية، وبعضها الآخر ظهر منفرداً عنها تماماً. وما نعنيه بالوسوم في هذه الدراسة وفي هذه المنطقة الجغرافية المحدودة، هي تلك المخربشات أو الرموز التي تأخذ هيئة منتظمة على شاكلة

الأحرف المفردة أو المزدوجة ولا تمثل جزءاً من كلمة، أو على هيئة الرسوم التشكيلية متعمدة التنفيذ. ولقد تم حصر مجموعة من الوسوم التي تشير دلائلها على أنها تعود لفترات قديمة، كأسلوب نقش الوسم على الواجهة الصخرية، ولون النقش بالنسبة للواجهة، بالإضافة إلى مقارنة الملامح العامة للرسم مع النقوش الكتابية القديمة المجاورة إن وجدت.

جدير بالإشارة أن معظم المواقع التي تحتوي على كتابات أو رسوم حيوانية، تظهر عليها وسوم حديثة النقش ولاتزال تعرف وتستخدم في المنطقة بأسماء خاصة بها، وذلك من قبيل الأهلة والأعمدة والمطارق والحلق وشواهدها (٢٠)، ولا يستبعد أن تكون هذه الوسوم ذات أصول موغلة في القدم، وأن بعضها استمر استخدامه منذ ذلك الحين حتى وقتنا الحالي.

ونظراً لتعدد أشكال الرسوم الحيوانية والوسوم واختلاف هيئاتها وتباين أساليب تنفيذها، وكذا اختلاف طبيعة المواقع التي نُفذت عليها، وتفادياً للتكرار واللبس، فإننا سنورد ماتم حصره منها بعد وصف الموقع الموجودة فيه مبتدئين بالرسوم الحيوانية ثم الوسوم، وذلك على النحو التالي :

١ - حَصَاة الطَّلْحَة (غاف الجواء) :

عبارة عن كتلة صخرية مستطيلة الشكل يصل طولها إلى ٢م وعرضها ٨٠سم وارتفاعها ٧٠سم، وهي ذات لون أصفر وطبيعة غير قاسية. تقع في الجهة الشمالية الغربية من بلدة غاف الجواء (٢١) على بعد حوالي ١٠كم، وتربض الحصاة ضمن مرتفعات صخرية وأحجار متناثرة على حزم فسيح تحيط به قيعان وشعاب صالحة للرعي. ومما يشد الانتباه كون هذه الصخرة الصغيرة في موقع غير بارز أو مميز، كي تختار لكتابة نص تذكاري عليها، ولعل طبيعة الحصاة المستوية، بالإضافة إلى إمكانية الجلوس أو الاسترخاء بجانبها أو الاحتماء بها هي التي جذبت صاحب النص للكتابة عليها (لوحة ١).

١ : أ - الوسوم :

١- خطان متقاطعان بزوايا قائمة على هيئة علامة الجمع (+) أو مايعرف بالعرقان وفي الزاوية اليمنى العلوية حفرة متطاولة هي شاهد الوسم، الذي يشبه في مظهره شكل حرف التاء بالخط المسند (شكل ١ : ١).

٢- خطان أو مطرقان أفقيان متوازيان على هيئة علامة المساواة (=) ويقطعهما من منتصفهما مطرق عمودي (شكل ١ : ٢).

٣- مثلث يكاد يكون متساوي الساقين، في زاويته العليا من الخارج خطاف حنيته نحو اليمين، أسفل المثلث خط أفقي على قدر ضلعه السفلي وتصل بينهما زائدتان صغيرتان. ويعرف هذا الوسم حالياً بالفاحج أو الباب (شكل ١ : ٣).

٤- مطرق رأسي تتوجه حلقة دائرية، ويقطع طرفه السفلي خط أفقي قصير، لعله بمثابة شاهد الوسم (شكل ١ : ٤).

٥- مطرق رأسي ينتهي طرفه العلوي بزائدتين متوازيتين نحو اليمين، أما طرفه السفلي فيستند على حنية صغيرة، وشكله العام يذكر بهيئة المفتاح الحديدي ذي الأسنان (شكل ١ : ٥).

٦- هلال متطاول فتحته نحو اليمين وأطرافه منحنية نحو الداخل قليلاً، ويرتكز الهلال على زائدة رأسية صغيرة (شكل ١ : ٦).

٢- حَصَاة النَّصْلَة (غاف الجواء) :

أكمة صخرية حمراء من كتلة ضخمة واحدة رسوبية التكوين، منعزلة عن سلسلة الجبال التي تحيط ببلدة غاف الجواء من الجهتين الشرقية والشمالية، وهي على مشارف البلدة جهة الشمال الغربي. وتسمى هذه الأكمة الصخرية بـ «الحصاة» أحياناً و بـ «حصاة النصلة» أحياناً أخرى، وتعود هذه التسمية الأخيرة إلى الاعتقاد السائد - غير الصحيح - بأنها قد نصلت، أي انفردت عن الجبل الذي يحدها من

الجهة الشرقية(٢٢) . كما شاعت تسميتها في العقود الأخيرة بـ«حصاة عنتر» نسبة إلى عنترة بن شداد العبسي، حيث كانت داخلة في مضارب قبيلته(٢٣) .

جدير بالذكر أن أحد الطرق (الجَوادّ) الرئيسة المأثورة التي كان يسلكها الذاهبون والقادمون من وإلى الجواء، بل القصيم بشكل عام، شمالاً وجنوباً، كانت تمر بجوار «الحصاة» تاركة إياها ناحية اليسار عند التوجه شمالاً. فكان تجار العقيلات النجديون - بشكل عام وتجار القصيم والجواء بشكل خاص - يسلكون هذا الطريق عندما يتجهون شمّالاً(٢٤)، كما كان من أشهر الطّرق التي يسلكها البدو شمالاً وجنوباً في مواسم نزوحهم صيفاً وشتاءً. أما موقع النقوش في هذه الصخرة فبعضها في الجهة الشمالية الشرقية منها، وذلك على واجهة مستطيلة ملساء قريبة المنال للراكب والراجل ؛ وبعضها الآخر في الجهة الجنوبية من الصخرة منها ماهو بارتفاع قامة الرجل ومنها ما يتطلب تنفيذه الاستعانة براحلة أو سلّم للصعود (لوحة ٢ أسفل).

٢ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - يظهر في الجهة الجنوبية من هذه الصخرة رسم لجمل تجريدي نقشت حواف بدنه الخارجية نقشاً غائراً في حين ترك بدنه وبقية أعضائه ملساء دون نقش(٢٥) . وينفرد هذا الجمل الوحيد بميزة لم تتكرر في رسومات جمال المنطقة، ولا في الرسومات التي تم الاطلاع عليها للمقارنة من مناطق أخرى، تلك هي ظهوره برقبتين طويلتين متماثلتين، إحداهما ذات وضع أفقي تشير إلى وضع الجمل في حالة الرعي، أما الأخرى فتبرز من منبتها نحو الأعلى، وكأن الجمل في حالة وقوف أو سير. ولعل منفذ الرسم بهذه الهيئة يريد أن ينقل صورة حية لكيفية رعي الجمل من نبات الأرض، بحيث يصور حركاته وهو يطأطىء رأسه ثم يرفعه وهو في بحث مستمر عن الكلأ. أو لعله أراد أن يصور جملين في حالة رعي في آن واحد، أولهما ظاهر بشكل كامل ويرعى من الأرض، والآخر بدنه

متق ببدن الأول، ولا يظهر منه سوى رقبته المرفوعة (شكل ٥ : ١). جدير بالإشارة أن استقامة وطول رقبة الحيوان بالنسبة لبدنه وكذا شكل الرأس والآذان والذيل توحي بأن شكل هذا الحيوان ربما يكون لزرافة، لكن هيئة الظهر تدل أنها سنام بعير.

٢- في الواجهة الجنوبية لهذه الصخرة تظهر رسمة لوعل (تيس جبلي) منفرد، نفذ بشكل جيد بأسلوب النقر الغائر لإظهار حواف جسم الحيوان فقط دون النقش على وسطه (٢٦). وتبدو تفاصيل الوعل ذات نسب تشريحية قريبة من الطبيعة، حيث القدمين القصيرين بالنسبة للرجلين والذيل القصير البارز نحو الأعلى، وكذا الرأس المثلث الذي يرتفع منه قرن مدبب ومعكوف نحو الخلف (شكل ٥ : ٢). ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام أن الوعل كان يُعد من أقدم الرموز الحيوانية المربوط بإله القمر عند السبئيين المقه(٢٧) فقد كانت استخداماته طبيعية، وذلك بالاستفادة من لحمه وبقاياه. جدير بالملاحظة أنه يوجد أسفل هذا الوعل نقش كتابي مضمحل جداً بفعل عوامل التعرية، والعبث الآدمي لذا فإنه يصعب قراءته، وإن كانت بعض أحرفه تدل على أنه خط ثمودي.

٣- على الواجهة الشرقية من هذه الصخرة هناك رسم تخطيطي (تجريدي) لحيوان نفذ بأسلوب النقر المتتابع الغائر، ويبدو من ملامحه أنه إما لحمار أو بغل أو حصان في حالة سير متأنية. وقد استخدم منفذ هذا الشكل الحيواني طريقة سهلة ومعبرة عند رسمه له، وذلك بعمل خط أفقي متطاول مائل جهة مؤخرته، ويمثل هذا الخط رقبة وظهر وذيل الحيوان المنعكف نحو الأسفل ويكاد يساوي طول الأقدام. هذه الأخيرة عبارة عن خطين متوازيين يمثلان الأرجل ومثلهما في المقدمة يمثلان الأيدي. ومن منتصف ظهر الحيوان يبرز شكل مخربش صغير، يصعب الجزم بأنه يمثل الشخص الراكب، حيث إن هناك الكثير من مظاهر العبث التي أفسدت ملامح الرسوم والنقوش بشكل عام

(شكل ٥ : ٣).

٤ - على نفس الواجهة التي ظهر فيها الشكل الحيواني الآنف الذكر وقريباً منه، هناك رسم لشكل حيواني آخر نقشت حوافه الخارجية فقط في حين بقي وسطه باللون الأصلي لواجهة الجبل. وقد نفذ بشكل تخطيطي متواضع، وتوحي أبرز ملامحه أنه يمثل جملاً في حالة سير. وقد رسم على هيئة مثلث بحيث يمثل رأسه العلوي سنام الجمل، في حين تمثل زاويتاه اليمنى واليسرى مقدمة ومؤخرة الجمل، حيث تبرز منهما ندبات صغيرة يصعب من خلالها التمييز بين شكل الرقبة والذيل. أما أقدام الحيوان فيمثلها خطان في المقدمة ومثلهما في المؤخرة. ويلاحظ خط يقسم المثلث، أي بدن الحيوان، رأسياً ويتجاوزه نحو الأعلى لينتهي بدائرة صغيرة، وفي الأسفل بزائدة قصيرة؛ ولعل هذا الخط العمودي يمثل راكب الجمل الممثل بشكل تخطيطي بسيط جداً ومما تجدر الإشارة إليه أن الجمل قد لعب دوراً مهماً في حياة القبائل العربية القديمة فهو يُعد أشهر الحيوانات المستأنسة، أواخر الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً (٢٨)، فقد رافق الجمل رفيقه العربي في العديد من الظروف، ولذلك تعددت أغراض استعماله لدى أصحاب هذا القلم الثموديين مثل السباق والنقل وغيرها. وحري بنا أن نورد على سبيل المقارنة ما استنسخه هوبر واويتنج لقطيع من الجمال وهي ترعى بسلام وتأكل العشب (٢٩). (شكل ٥ : ٤).

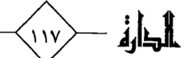
٢ : ب - الوسوم :

١ - ثلاثة أعمدة أو مطارق رأسية(٣٠) على هيئة العدد مائة وأحد عشر (١١١) أسفل كل من الرقمين الثاني والثالث حفرة صغيرة (شكل ١ : ٧).

٢ - دائرتان أو حلقتان بينهما خط أو مطرق أفقي (شكل ١ : ٨).

٣ - هلالان متقابلان بينهما خط أو مطرق عمودي (شكل ١ : ٩).

٤ - خطان متقاطعان بزوايا قائمة على هيئة علامة الجمع (+) وفي الزاوية السفلى



اليمنى حفرة صغيرة، ويعرف هذا الوسم في الاستخدام الحالي بالعرقات (شكل١ : ١٠).

٥- عمود رأسي رأسه معكوف نحو اليسار أما طرفه السفلي فينتهي بزائدة أفقية قصيرة (شكل ١ : ١١).

٦- خمسة أعمدة رأسية متجاورة، بدون أي إضافات (شكل ١ : ١١).

٧- هلال على شكل قوس نصف دائري فتحته نحو الأسفل، وبجواره من اليسار عمود رأسي (شكل ١ : ١٣).

٨- حلقة دائرية خالية من أية إضافات، ويشبه هذا الوسم حرف العين في الخط المسند (شكل ١ : ١٤).

٩- هلال على شكل قوس نصف دائري، فتحته نحو الأسفل وفوق حنيته حفرة دائرية (شكل ١ : ١٥).

١٠- عمودان رأسيان متجاوران يخرج من منتصف الأول زيادة أفقية نحو اليمين، أما الأيسر فبجواره حلقة دائرية صغيرة (شكل ١ : ١٦).

١١- عمودان رأسيان متجاوران يخرج من منتصف أيسرهما زيادة أفقية نحو اليسار، أي على عكس الوسم السابق (شكل ١ : ١٧).

٣- الحَنَادِر (عيون الجواء) :

تقع الحنادر إلى الغرب من محافظة عيون الجواء، وتبعد عنها حوالي ١٥كم. وهما أكمتان جبليتان حمراوان رابضتان على رأس جال مشرف، لذلك تريان من مسافات بعيدة من عدة نواح من الجواء. وإسم الحنادر «مشتق من وصفها إذ الحندورة في الفصحى معناها : حدقة العين، وهذا ما ينطبع في ذهن من ينظر إليها من جهة الجنوب، إذ الجال المشرف الذي تركبانه كأنه الجبهة وهما فيه كالعينين البارزتين»(٣١). ولقد ربط الكميت الأسدي اسم العيون (عيون الجواء) بالحنادر حينما قال :

لما رآه الكاشـــــحـــــــــون
من العـــيـــــون على الحنادر(٣٢)

ويوجد في الحندورة (الجبل) اليمنى - بالنسبة للناظر إليهما من ناحية عيون الجواء - وذلك على جلمود صخري نقش كتب من الأعلى إلى الأسفل وقد نقشه شخص في حالة وقوف علىً قدميه.

٣ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - رسم لجمل كبير الحجم نسبياً، نقش على واجهة صخرية مستوية لكنها مليئة بثقوب وشقوق كثيرة سببتها عوامل التعرية، ويبدو أن الشخص الذي نفذ الرسم قصد استغلال بعض تلك الثقوب للمساعدة في تشكيل الرسم، حتى أصبح الجمل وكأنه جزء منها، أو كأنها خلفية له. ويبدو الجمل ذو سنام ضخم ورقبة ممدودة نحو الأمام وأقدامه متفرقة، كما أن ذيله مرفوع نحو الأعلى(٣٣) وكل هذه الأعضاء قد توحي بأن الجمل في حالة سير وقد توحي بأنه في حالة وقوف (شكل ٦ : ١).

٢ - رسم جمل نفذ بأسلوب النقر على واجهة صخرية ملساء، ويبدو النقر على كامل البدن. ويتميز هذا الجمل بأن نسبه التشريحية دقيقة متناسقة وذات هيئة طبيعية، وتدل أقدامه الثابتة وذيله المنسدل وكذا رقبته المرفوعة على أنه في حالة وقوف (شكل ٦ : ٢).

٣ - رسم لحيوان من ذوات الأربع نقر على نفس واجهة الجمل السابق ويبدو أنه أحدث منه حيث يبدو ذلك في اختلاف لون المساحات المنقوشة. ويظهر الشكل الحيواني واضح التفاصيل لكنه متواضع الهيئة، وتدل ملامحه على أنه لحمار، ويتجلى ذلك في شكل أقدامه وأذنيه، لكن ذيله طويل نسبياً وينتهي بشعر كثيف، ولعل هذا هو العضو الوحيد الذي ربما يوحي بأنه لحصان في حالة سير. ويظهر على منتصف ظهر الحيوان شكل آدمي تخطيطي غير متقن الملامح

ممثل بخط متعامد على الظهر دون أن تنزل قدماه نحو الأسفل، ومن الجزء العلوي للشكل الآدمي يبرز خط أفقي نحو الأمام ليمثل يديه (شكل ٦ : ٣).

٤ - منظر صيد جميل نقش على واجهة صخرية ملساء؛ ويُمثل هذا المنظر الطبيعي شكل آدمي وآخر لوعل وثالث لكلب صيد: الشكل الآدمي ذو تفاصيل واضحة وطبيعية، ويبدو بلباس يغطي كامل بدنه إلى الركبتين، وربما يكون الرأس مجللاً بشيء ما. ويظهر في يده اليسرى قوس كبير جداً لكنه غير مشدود ومعد للإطلاق، بينما في اليد اليمنى سهم مثبت في منتصف القوس مصوب نحو وعل أمامه. هذا الحيوان الأخير يبدو متجه نحو الصياد وفي حركة طبيعية لاتظهر علّيها ملامح غير اعتيادية كالهروب من الصياد أو الاحتراز منه، حيث يبدو في حالة وقوف، وهذا مايظهر على أقدامه الثابتة ورأسه المستقيم المتوج بقرنين مرتفعين معكوفين نحو الوراء. خلف الوعل وعلى مسافة قصيرة منه يظهر كلب الصيد ويبدو ذو نسب تشريحية طبيعية وفي حالة شبه تأهب، حيث يبدو في حال توقف مع أن ذيله الكثيف مرفوع إلى الأعلى (٣٤). ولعل منفذ هذا المنظر أراد أن يعبر عن حالة الصيد باستخدام القوس والسهام وبمساعدة كلب الصيد، الذي يكون له دور فاعل في عملية طرد الفريسة واصطيادها (شكل ٧ : ١).

٥ - منظر صيد معبر نفذ على واجهة صخرية داكنة ملساء بحيث ظهرت النقوش واضحة المعالم. ويمثل هذا المنظر الطبيعي صياداً معه قوسه، وثلاثة أشكال حيوانية منها وعلان واضحا الملامح، أما الثالث فليس من المؤكد أنه لوعل حيث إنه غير مكتمل النقش، وإن كان شكل بدنه وأقدامه وذيله قريبة من ملامح الوعلين المجاورين. الشكل الآدمي يبدو وكأنه بلباس إلى فوق الركبة، ويمسك بيديه قوسًا مجهزاً بسهم، ويبدو القوس في حالة جذب أو شد قوية، والسهم يخترق منتصفه ومصوب نحو الوعل الأوسط. هذا الأخير يبدو في حالة قفز وكأنه يقف على رجليه ومؤخرته، ولعل ذلك تعبير عن دفاعه عن

نفسه أو عن إطلاق السهام عليه من قبل الصياد واصطياده. أمام هذا الوعل شكل حيواني صغير الحجم وغير واضح المعالم وربما يكون لوعل في حالة وقوف أو ربما يكون في حالة صراع مع الوعل الأكبر منه. الوعل الثالث الخلفي ذو نسب تشريحية طبيعية ويبدو وهو متوقف تماماً، ولعله في حالة ذهول من المنظر أمامه (شكل ٧ : ٢).

٣ : ب – الوسوم :

١ – مطرق رأسي بأسفله زائدتان متساويتان نحو اليمين، أما أعلاه فينعكف يساراً على هيئة خط أفقي طويل، وهو بهذه الهيئة يشبه المفتاح الحديدي ذا الأسنان (شكل ٢ : ١)ً.

٢ – عمود رأسي يرتكز على حلقة دائرية، وعن يساره عمود قائم أرفع منه (شكل ٢ : ٢).

٣ – دائرة مفرغة يخرج من محيطها الخارجي خمسة خطوط مستقيمة غير منتظمة : العلوي والسفلي منها ذوا استقامة واحدة، وكذا الحال في الأيسر والأيمن السفلي، أما الخط الخامس والأقصر فيبرز بميول نحو اليمين ونظراً لظهور هذا الرمز بجانب أحد النصوص الثمودية (شكل ١٧/ نق : ٦)، فإن احتمالية كونه وسمًا على شاكلة حرف الشين الثمودي مع تمثيله أحد الآلهة عند الثموديين في ذلك الوقت غير مستبعدة (شكل ٢ : ٣).

٤ – مطرقان متعامدان ليشكلا صليبًا منتظمًا (عرقاة)، يظهر في الزاوية اليمنى السفلية خطان عموديان غائران بمثابة شاهد للوسم، ويبدو أن هذا الشاهد والمطرق العمودي في الوسم قد جددا بالحك عليهما في فترات متأخرة (شكل٢ : ٤).

٥ – مطرقان متعامدان على شاكلة الوسم السابق، إلا أن شاهد هذا الوسم عبارة عن حفرة صغيرة تظهر في الزاوية اليمنى العلوية (شكل ٢ : ٥).

٦ - مطرقان متعامدان على هيئة العرقاة المعروفة، إلا أن الطرف الأيمن في الخط الأفقي ينتهي بعكفة سفلية تعرف بالباكوره (شكل ٢ : ٦).

٤ - صَلاصِل (القوارة) :

صلاصل بالفتح، وهو جمع الصلصال مخففاً، لأنه كان ينبغي أن يكون صلاصيل(٣٥) . وهو جو فسيح منخفض عن سطح الأرض، يقع إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء ويبعد عنها بحوالي ٣٠كم، كما يبعد عن بلدة القوارة (بالقاف) حوالي ١٣كم جنوباً (٣٦) . وهي عبارة عن فيضة (روضة) ذات طبغرافية متباينة ففيها سهول ورمال وشعاب تنبت العشب وتصلح للرعي طوال أيام السنة، وفيها قيعان شاسعة تمسك الماء لفترات طويلة وتنبت فيها أشجار الطرفا، وفيها براق تنبت الغضا الكثيف(٣٧) .

وصلاصل محاطة بجال مرتفع من جميع جهاتها حتى أنه يصعب الدخول إليها إلا من مداخل معينة. وفي مدخل صلاصل الجنوبي الشرقي هناك جبل صخري أحمر يستظل أسفله فيما قبل الزوال، وعند قدم هذا الجبل توجد كتلة صخرية كبيرة تحمل النقش الكتابي وقد كتبه شخص جالس على الأرض وقت الكتابة.

ولقد أورد ياقوت فيما أورده عن صلاصل أنها «ماء لبني أسمر من بني عمرو ابن حنظلة »(٣٨) . وقال لبيد بن ربيعة يذكر حماراً وحشيًا رافق أتاناً وحشية ويبحثان عن مسقط الغيث ومصادر الماء والتي منها صلاصل :

فلما اعتفاه الصيف ماء ثمادة
وقد زايل البهمي سفا العرب ناصلا
ولم يتذكر من بقية عهده
من الحوضَ والسؤبان إلا صلاصلا(٣٩)

٥ - الضِّلْع المُتَكَسِّر (أوثال) :

يقع هذا الجبل في الجال الشرقي لبلدة أوثال (٤٠) الذي يكتنفها من جهاتها الجنوبية والشرقية والشمالية. والضلع المتكسر عبارة عن جبل صخري رسوبي التكوين لونه يميل إلى الحمرة، ارتفاعه جهة البلدة أي نحو الجهة الغربية ظاهر جداً، أما من الجهة الشرقية المقابلة فإنه يكاد يكون مساوٍ لسطح الأرض المرتفع عن جو أوثال بشكل ملحوظ.

ولعل تِسمية هذا الجبل بـ «الضلع المتكسر» تعود إلى تهشم كتل صخرية ضخمة منه متناثرة أسفله، وذلك ربما بفعل بعض العوامل الجغرافية من قبيل الهزات الأرضية أو الصواعق التي تتسبب في سلخ تلك الكتل فتتكون مساحات كبيرة ملساء صالحة للكتابة سواء على الجبل الثابت (الأصل) أو على الكتل المتكسرة منه (لوحة ٥).

وتظهر النقوش والرسوم الحيوانية والوسوم في جهتيه الجنوبية والغربية أي في ظل ماقبل الزوال؛ وهي متناثرة على عدة صخور، منها ماهو بارتفاع قامة الرجل أي أنها معمولة من قبل شخص واقف على قدميه، ومنها ماهو على صخور أرضية منخفضة، أي أنها منفذة من قبل شخص جالس على تلك الصخور(٤١).

٥ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - قطيع من الجمال مجموعها أحد عشر جملاً رسمت على واجهة صخرية ملساء، وقد نفذ بعضها بطريقة النقر وبعضها الآخر بالحك على الصخرة(٤٢). ويبدو من تشابه ملامحها العامة أنها نفذت من قبل شخص واحد؛ فهي بمجملها ماعدا واحداً منها، في حالة سير ومتجهة نحو اليسار، أما هذا المنفرد فمتجه نحو اليمين ويبدو في حالة رعي. منها خمسة رسمت بنقر حوافها فقط، أما الستة الأخرى فقد نقرت كامل أبدانها. وتظهر عشرة من هذه الجمال حاملة مايشبه الهودج أو الباصور فوق ظهورها، أما ذلك الذي لايحمل

شيئًا على ظهره فيبدو الوحيد المزود برسن مشدود من رأسه نحو سنامه. ولعل هذا المنظر يجسد منظراً طبيعياً لقوافل الجمال التي تمر بهذه المنطقة الحيوية (شكل٨ : ١).

٢ - مجموعة جمال تظهر على شكل قافلة متتابعة نفذت بالنقر على حوافها في حين تركت أبدانها ملساء. ملامح الجمل الأول والثاني واضحة التفاصيل، أما الجمال الخلفية فقد امتدت إليها يد العبث فشوهت تفاصيلها. الجملان الأول والثاني يبدوان في حالة توقف أو سير، حيث إن عنقيهما مرفوعان، وأقدامهما مضمومة وليست متفرقة. ويظهر على خلفية هذا المنظر وكذا على نفس الرسوم نقوش ومخربشات مختلفة يصعب تحديد ما إذا كان بعضها تابع لهذه الجمال من الأصل أم لا (شكل ٨ : ٢).

٣ - جمل منفرد نقش بأسلوب النقر على واجهة صخرية حمراء اللون وذلك لتوضيح حوافه دون وسطه (٤٣) ويبدو الجمل واضح التفاصيل وذا نسب تشريحية طبيعية، حيث يلاحظ من وضع أقدامه المتباعدة عن بعضها البعض وذيله المرفوع وكذا عنقه المرفوع نحو الأعلى والمشدود بحبل (رسن) إلى سنامه، أن الجمل في حالة تصور حركة سيره الطبيعية (شكل ٨ : ٣).

٤ - مجموعة رسوم لجمال نفذت بأسلوب النقر على واجهة صخرية ملساء، بالإضافة إلى رسم آدمي منفرد ومجموعة نقوش كتابية (٤٤). بعض هذه الرسوم نقرت حوافه فقط وبعضها الآخر نقش بشكل كامل على هيئات مختلفة، وهي وإن كانت رسوم تخطيطية بسيطة إلا أن حركاتها مأخوذة عن الطبيعة. فمنها ما هو في حالة وقوف ينظر إلى خلفه ومنها ماهو في حالة سير ومنها مايظهر في حالة فريدة وذلك حينما يظهر أحد الجمال فوق جمل أو ناقة ولكنها في حالة وقوف، ولعل ذلك يبين حالة تزاوج (ضراب) بينهما، وهي حالة غير معهودة في تزاوج الإبل. خلف هذا المنظر الأخير تظهر صورة تجريدية لرجل يداه مرفوعتان نحو الأعلى وكأنه في حالة معاينة للمنظر أمامه

(شكل ٩ : ١).

٥ – رسم تجريدي لحيوان من ذوات الأربع، نقش بأسلوب النقر المتتابع على واجهة صخرية ملساء. ويبدو من ملامحه أنه يمثل كلب الصيد المعروف بـ (السلوقي)، حيث البدن المشوق والبطن النحيف والأقدام المتباعدة المتأهبة للانطلاق (شكل ٩ : ٢).

٦ – رسم لطائر فريد من نوعه في المنطقة التي تشملها الدراسة، نقش بطريقة النقر على واجهة كبيرة ملساء، ويبدو من ملامحه أنه لنعامة في حالة وقوف أو مشي، إذ تبدو قدماها بأصابع مبسوطة ومنفصلة عن بعضها البعض، كما يبدو بدنها ملمومة عليه أجنحتها، أما ذيلها فمرفوع نحو الأعلى، وأما رقبتها ورأسها فشاخصة نحو الأمام (شكل ٩ : ٣).

٥ : ب – الوسوم :

١ – أربعة خطوط أو مطارق أفقية، يستند على أطرافها العلوية خط أفقي (شكل ٢ : ٧).

٢ – مطرقان متعامدان يشكلان فيما بينهما عرقاة ينتهي طرفها العلوي بعكفة يمنى تشبه الباكورة (شكل ٢ : ٨).

٣ – مطرق قائم مع ميول طفيف نحو اليمين ويستند على عمود مائل نحوه ومتصل به (شكل ٢ : ٩).

٤ – مطرق عمودي يفصل بين دائرتين (حلقتين) صغيرتين (شكل ٢ : ١٠).

٥ – مطرقان متعامدان يشكلان صليبًا (عرقاة) ينتهي كل من أطرافه الأربعة بعكفة نحو إتجاه دوران الساعة (شكل ٢ : ١١).

٦ – هلالان متجاوران فتحتاهما نحو الأسفل، وبجوار الأيسر منهما مطرق قائم له زائدة تخرج من منتصفه نحو اليسار (شكل ٢ : ١٢).

٧ – هلالان مشابهان للهلالين السابقين، إلا أن المطرق القائم (الشاهد) في هذه

الحالة نحو اليمين (شكل ٢ : ١٣).

٨ – حلقة شبه دائرية يخرج من محيطها نحو الأعلى عمود قصير ينتهي بطاقية صغيرة، ويقابل العمود في الأسفل خطاف حنيته نحو اليمين (شكل ٢ : ١٤).

٩ – هذا الوسم غير واضح التركيب، ويبدو أنه يمثل هلالاً فتحته نحو الأسفل ويقسمه مطرق رأسي له زيادة عمودية على منتصف حنيته العلوية، ويأخذ بهذا الشكل هيئة الشوكة المقلوبة كما أنه يماثل إلى حد ما حرف الحاء بالخط المسند (شكل ٢ : ١٥).

٦ – عُرَيْجِيْن مَنْصور (غاف الجواء) :

أكمة صخرية صغيرة مرتفعة عما يحيط بها من الكثبان الصخرية، تقف على قاعدة أو رقبة صغيرة بالنسبة لجزئها العلوي. وتبدو عن بعد كـ «المائدة المستديرة المنصوبة» (٤٥) . ولعل شبهها الكبير بالعرجون هو الذي دفع إلى تسميتها باسمها الحالي، إذ كانت تعرف قديماً بـ «الزرير» (٤٦) – صيغة تصغير الزرار –. وتبعد حوالي ٤٠٠م شمال حصاة النصلة الآنفة الذكر، أي إلى الشمال الغربي من بلدة غاف الجواء. وتقع كذلك بمحاذاة الجادّة التي تمر بالحصاة وتتجه شمالاً، ومازالت إلى عهد قريب ترى آثار الطريق محفورة على أرض صخرية صلبة (٤٧)، ولعل هذا دليل قوي على أن هذا الطريق كان يسلك منذ عهود طويلة. نقوش هذه الصخرة مكتوبة على حيز أملس في جهتها الشرقية أي في ظلّ مابعد الزوال، ومنها ماهو مكتوب في جهتها الجنوبية وذلك على واجهة مرتفعة يصعب منالها إلا بالإستعانة بشيء يصعد عليه (لوحة ٢ أعلى).

٦ : أ – الرسوم الحيوانية :

١ – تظهر على الواجهة الشرقية لهذا الجبل رسوم لمجموعة من الوعول أو التيوس الجبلية نقشت على واجهة ملساء داكنة، فظهرت أشكال الحيوانات واضحة

جداً، وقد نفذت الرسوم بأسلوب النقر الغائر، وبعضها بالكشط والحك. ويتكون بدن الحيوان من خط أفقي يمثل ظهره ورقبته ورأسه، بحيث يبرز وجهه نحو الأسفل، أما نحو الأعلى فيبرز قرنان طويلان معكوفان نحو الخلف، وعلى حافتها الخارجية ندبات صغيرة تشبه أسنان المنجل، وينتهي القرنان بشكل متواز دون أن يلتقيا عند طرفيهما. ومن مؤخرة الوعل يبرز خط صغير معكوّف نحّو الخلف على هيئة الخطاف ليمثل ذيل الوعل. أما أقدام الحيوان فتتمثل بزوج من الخطوط العمودية في المقدمة ومثلها كذلك في المؤخرة (شكل ١٠ : ١). جدير بالإشارة أن أشكال بعض هذه الوعول توحي لأول وهلة أنها تمثل مجموعة عقارب كبيرة الحجم، وذلك إذا تصورنا أن تلك القرون الكبيرة نسبياً هي بمثابة ذيول لتلك العقارب، في حين تمثل ذيول الوعول رؤوس العقارب.

٢ - الواجهة الجنوبية من هذا الجبل يظهر عليها رسم لوعل منفرد نفذ بأسلوب النقر بشكل جيد لتوضيح حواف الحيوان دون النقر على بدنه. وقد مثل بدن ورقبة ورأسّ الوعل بشكل مستطيل، بحيث يبرز من رأسه نحو الأعلى قرنان معكوفان نحو الخلف حتى تكاد تلامس مؤخرته؛ هذه الأخيرة يبرز منها ذيل صغير نحو الأعلى. أما أقدام الوعل فهي عبارة عن خطين رأسيين في مؤخرة البدن ومثلهما في مقدمته (شكل ١٠ : ٢). جدير بالملاحظة أنه على الواجهة نفسها التي يظهر عليها هذا الوعل وأعلى منه بمسافة قصيرة ثمة نقش ثمودي (نق : ١) ولا يستبعد أن يكون هناك علاقة بين الكتابة والوعل، وأنهما يعودان لنفس الفترة الزمنية .

٣ - منظر لجملين متتاليين نقرا في الجزء السفلي من الواجهة الجنوبية الآنفة الذكر. يمثل بدن الجمل مثلث رأسه نحو الآلة وينحدر من كل من زاويته اليمنى واليسرى خطان يمثلا الأقدام الخلفية والأمامية، أما الرقبة فتبرز من جهته اليسرى نحو الأعلى. ويبدو الجملان في حالة سير حثيثة، ويتضح ذلك في

تباعد الأقدام عن بعضها البعض وفي شكل الرقبة الممدودة (شكل ١٠ : ٣).

٦ : ب – الوسوم :

١ – مطرق (خط) عمودي متوج بحفرة دائرية صغيرة، أسفل هذه الحفرة مباشرة شكل بيضاوي مفرغ، أما الجزء السفلي من العمود فخلو من أية عناصر إضافية (شكل ٣ : ١). جدير بالإشارة أن هذا الشكل يظهر في بعض الحالات منفرداً وفي حالات أخرى يظهر مزدوجاً وفي حالات ثالثة يظهر بشكل أفقي وليس عموديًا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لايستبعد وجود وسوم أخرى على هذه الصخرة غير هذا الوسم، لكن كثرة الكتابات والمخربشات المتأخرة حالت دون التعرف عليها.

٧ – العِمْانيَّة (غاف الجواء) :

تنطق هذه الكلمة بإسكان العين وليس بضمها، ولعل الأصل هو الضم. وهي أساساً لا تطلق على الموقع الذي يضم النقش بل على النقش نفسه أو جزء منه، حيث تظهر فيه رسوم لجمال أو نوق يقال بأنها عمانية (٤٨). ويعرف عن الإبل العمانية أنها أحد أهم سلالتين في الجزيرة العربية هما : السلالة النجدية والسلالة العمانية والتي تنحدر منها أنواع متعددة من الإبل. وتعد الإبل العمانية أسرع أنواع الإبل، وهي إبل رشيقة ذات عنق صغير طويل وأرجل طويلة، وينحدر من هذه السلالة أنواع منها المهرا والباطنية ؛ وأما العْمانية – الموقع – فهو عبارة عن جال صخري أحمر مرتفع يحيط بجو أو نقرة منخفضة صالحة للرعي والزراعة تعرف «بالحقباء»(٤٩)؛ وعلى امتداد الَجال الصخري جهة الشمال الغربي هناك كثبان صخرية تكوينها من النوع المعروف جيولوجياً بـ«الكثل أو الكثان»، وهي المادة الخام التي تشوى فتتحول إلى مادة جبسية جيدة يستغلها السكان لتبييض مساجدهم ومنازلهم.

جدير بالإشارة أن ذلك الطريق القديم (الجادّه) الذي يمر بمحاذاة كل من حصاة النصلة وعرجون منصور ويتجه شمالاً وجنوباً يمر بالقرب من العمانيةً تاركاً إياها على اليد اليسرى للمتجه شمالاً. أما نقش هذا الجبل فينفرد على واجهة كبيرة ملساء، وليس بجواره أية نقوش أو مخربشات أخرى، ولعل كون موقع النقش معزولاً بعض الشيء عن المارة أسهم في الحفاظ عليه على حالته الطبيعية الأولى (لوحة ٦).

٧ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - يظهر على نفس الواجهة الصخرية التي ظهر فيها (نق ٤) وعلى استقامة واحدة رسم لأربعة جمال جانبية في حالة سير متتابعة الواحد تلو الآخر، وهو لاشك منظر يحاكي منظر الجمال في غدوها ورواحها. وهي مرسومة بطريقة النقر العميق على كامل البدن وأسلوب تنفيذها جيد جداً، إذ تبدو النسب التشريحية منها متماثلة وطبيعية إلى حد ما، ولا يبدو من ملامح الرسوم ما إذا كانت نوقًا أم جمالاً. ويظهر في هذا المنّظر، رسم تخطيطي غير متقن لوعلٍ بين الجملين الأول والثاني (شكل ١١ : ١).

٨ - القُلاَّع (كَبْد) :

يشكل موقع القلاع تلك المرتفعات الجبلية التي تمتد شمال وشرق بلدة كبد(٥٠) ابتداءً من «قارة كبد»، لتكوِّن جالاً يكتنف البلدة من هاتين الجهتين. والموقع عبارة عن سلسلة من الأكمات الصخرية الحمراء الداكنة، تجلس على كثبان رملية (جعرة) غير قاسية، وذلك يتسبب في سرعة تحطم الأكمات الصخرية، فتتشكل على هيئة جلاميد صخرية صالحة للكتابة عليها. لذلك تكثر عليها النقوش الكتابية والوسوم والرسوم الحيوانية وبالذات على واجهاتها الشرقية والغربية، وإن كان معظم هذه العناصر قد فقدت أهميتها وذلك إما بسبب عوامل التعرية الطبيعية،

أو بفعل العبث الآدمي الذي حدث لها في الفترات المتأخرة.

جدير بالإشارة أن موقع القلاع بكبد تحيط به الكثير من الفياض والجيَّان والشعاب والمراتع الصالحة لرعي المواشي، سواء كان ذلك من قبل القبائل المستوطنة في هذه المناطق أو المارة بها، أو حتى من قبل القوافل التي تعبر المنطقة إلى جهات شتى. ولعل كثرة الصخور المناسبة للكتابة في هذا الموقع وكذا الأكمات الصخرية القريبة منه، والتي لاشك أنها مناسبة للاحتماء بها، تدفع بالكثير من الذين يرتادون هذا المكان لتسجيل شيء من ذكرياتهم وخواطرهم عليها (٥١).

٨ : أ – الرسوم الحيوانية :

١ – يوجد على إحدى الأكمات الصخرية في القلاّع رسم لوعل منفذ بأسلوب النقر المبقع على كامل بدنه وأعضائه؛ بدنه عبارة عن مستطيل ينتهي في المقدمة برأس دائري يبرز منه قرنان معكوفان نحو الخلف، أما مؤخرة البدن فذات ذيل قصير معكوف نحو الأسفل. أقدامه الأمامية وكذا الخلفية مضمومة إلى بعضها، وكأنها تعبر عن حالة وقوف مستقر للوعل (شكل ١١ : ٢).

٢ – رسم آخر لوعل يختلف عن سابقه من حيث أسلوب التنفيذ وحالة الحركة؛ حيث نفذ بطريقة الحك والنقر على حواف الشكل الحيواني فقط، كما أن أقدامه الأمامية والخلفية مفصولة عن بعضها البعض، أما الرأس فمرفوع بعض الشيء، كما أن ذيله معكوف نحو الأعلى، وكل هذه المظاهر تدل على حالة سير الحيوان (شكل ١١ : ٣).

٣ – رسم لوعل صغير مفرد، نقر على واجهة صخرية داكنة، ويظهر الوعل أو (التيس الجبلي) في حالة مشي، حيث تبدو أقدامه منفصلة عن بعضها البعض وذيله مرفوع نحو الأعلى، كما أن رأسه المتوج بقرنين طويلين مقوسين نحو الخلف مرفوع وفي حالة توجه نحو الأمام. ومما يلفت الانتباه أن هذا الوعل الصغير يظهر متكرراً بنفس الهيئة والحجم على أكثر من واجهة صخرية في هذا

الموقع (شكل ١١ : ٤).

٤ - رسم لوعل منفرد منقوش على واجهة صخرية داكنة ملساء، شكله يشبه إلى حد كبير الوعل السابق، إلا أن أقدامه تبدو قصيرة نسبياً، كما أن مؤخرة بدنه تبدو أضخم من مقدمته، بالإضافة إلى أن قرونه معكوفة وليست مقوسة، وهذه المفارقات تقودنا إلى تشبيه هذا الحيوان بالماعز أكثر منه بالوعل (شكل ١١ : ٥).

٥ - رسم لحيوان نقرت حوافه دون وسطه، ويبدو الحيوان في حالة مشي، وذلك واضح على حركة أقدامه المتباعدة وذيله المستقيم وكذلك رأسه الممدود ؛ هذا العضو الأخير متوج بقرنين قصيرين نسبياً. وتشير الملامح العامة لهذا الحيوان كحجم بدنه بالنسبة لأعضائه وكذلك رقبته الثخينة، وقصر قرونه التي لم نعهدها من قبل، أن هذا الشكل ليس لوعل بل ربما لماعز أو جاموس (شكل ١٢ : ١).

٦ - نقش لجمل كبير الحجم متداخل مع نقوش أخرى قديمة وحديثة وقد نقرت حوافه دون الأجزاء الداخلية لأعضائه. ويبدو في حالة مشي سريعة، حيث تظهر أقدامه متباعدة، ورقبته مرتفعة نحو الأعلى. ومما يلفت الانتباه في نقش هذا الجمل هو دقة تفاصيل أعضائه حيث تميل إلى الطبيعة أكثر منها إلى التجريد، وذلك يتجلى في شكل سنامه وقدميه الخلفيتين وكذلك في تفاصيل رأسه التي تبين أن الجمل في حالة هياج شديدة وذلك واضح على شفته السفلية المتدلية (شكل ١٢ : ٢).

٧ - جمل يشبه سابقه من حيث دقة التفاصيل وأسلوب النقش، وكذا حالة حركة الأقدام، إلا أن رقبته المتطاولة في هذه الحالة تبدو مستقيمة ومتجهة نحو اليمين وكأنها تنم عن أن الجمل في حالة رعي (شكل ١٢ : ٣).

٨ - جمل في حالة وقوف نقش بشكل تجريدي متواضع، ويتجلى ذلك في هيئة سنامه ورأسه وذيله. خلفية هذا الجمل تحتوي على عناصر متعددة من

المخربشات القديمة والمتأخرة المتداخلة مع النقش، والتي ربما يكون لبعضها علاقة بهذا الجمل. ولعل أوضح هذه المخربشات هو رسم لشكل آدمي تجريدي الملامح ويبدو الشكل الآدمي على هيئة خط عمودي طرفه العلوي متوج بدائرة محفورة تمثل الرأس، في حين أن طرفه السفلي يتشعب إلى خطين متفرقين لتمثل الأرجل فتتقاطع مع سنام الجمل من الأمام، وليس من الواضح ما إذا كان هذا الرجل قد رسم بعد أو قبل الجمل، أم أنه يعد الراكب الحقيقي للجمل وإن كان في حالة وقوف. أما الأيدي فتظهر نحو جهة واحدة لعلها الخلفية، وتبدو اليسرى ممسكة بأداة دائرية أقرب ما تكون إلى الدف، يؤيد ذلك هيئة الرجل الحركية الراقصة (شكل ١٣ : ١).

٩ - جمل في حالة رعي نقر على واجهة صخرية سوداء، ويبدو الرسم تجريدي بسيط الهيئة، إذ يمثل البدن خطان أفقيان بينهما مسافة قصيرة، أما السنام أو لعله الهودج فضخم جداً. أقدامه الخلفية تنحدر من خطوط بدنه بشكل رأسي، أما الأمامية فمائلة نحو الأمام وكأنها رقبة الجمل، ولعل ذلك هو الصحيح، حيث يظهر أن منفذ الرسم قد نسي وضع الأقدام الأمامية، إلا إذا كان ذلك الخط الرفيع الذي يبرز من سنامه نحو الأعلى يمثل الرقبة (شكل ١٣ : ٢).

١٠ - رسم لجمل تجريدي وإن كانت أعضاؤه واضحة المعالم، ويتضح ذلك في تفاصيل الأقدام الأمامية والخلفية وكذلك الرقبة والذيل، وهذان العضوان الأخيرين يبرزان جهة الأمام والخلف من سنام الجمل وليس على سمت البدن. منفذ الرسم عمله بأسلوب سهل التنفيذ وذلك بعمل قوس مزدوج متطاول أضاف إليه إضافات بسيطة كأعضاء مكملة للحيوان (شكل ١٣ : ٣).

١١ - رسم لجمل صغير الحجم نفذ بأسلوب النقر لكامل الشكل، ويبدو في حالة مشي، حيث تظهر أقدامه متباعدة ورأسه مرفوع، بالإضافة إلى أن عليه راكبًا متأهبًا. وتبدو البساطة على تفاصيل هذا الشكل الحيواني، إذ يلاحظ أن رأسه يشبه رأس الطائر، كما يبدو مستقيم الظهر دون سنام، وهذا يوحي بأن الشكل

ربما يكون لحمار، وإن كان موقع انطلاق الرقبة من البدن وانحنائها لا يؤيد هذا الاحتمال (شكل ١٣ : ٤).

١٢ - رسم تجريدي صغير الحجم لحيوان من ذوات الأربع، لعله حمار أو حصان، نقر على واجهة صخرية داكنة؛ ظهره يمثله خط أفقي ينتهي في المقدمة برأس صغير وفي المؤخرة بذيل متطاول يشبه ذيل الحصان، أما أقدامه فتمثلها خطوط عمودية في حالة سير. ويبدو على ظهر الحيوان راكب ممثل بخط عمودي على منتصف ظهره وتتدلى قدماه بين أقدام الحيوان، ويظهر بيد الراكب حبل أو رسن متصل برأس الحيوان (٥٢) (شكل ١٣ : ٥).

١٣ - منظر لثلاثة حمير في طابور يبدو أنها في حالة سير متأنية، وقد نقرت على واجهة صخرية حمراء بنفس الهيئة والحجم تقريباً. ويتكون كل شكل من خط أفقي متطاول يمثل جزءاً من الرأس والرقبة والبدن وجزءاً من الذيل. أقدامه عبارة عن خطوط رأسية متباعدة، ويكاد يشابهها الذيل في الحمارين الخلفيين، أما ذيل الحمار الأمامي فممتد نحو الخلف. آذان هذه الحيوانات طويلة وبارزة نحو الأعلى (مطموسة في الحمارين الخلفيين)، ويبدو من هيئتها المواجهة أن الحمار ينظر نحو الجهة اليمنى (شكل ١٤ : ١).

١٤ - نقش لشكل آدمي تجريدي الملامح يتمثل بخط عمودي طرفه العلوي ينتهي بدائرة منقورة تمثل الرأس، أسفله يدان مرفوعتان نحو الأعلى، أما القدمان فيمثلهما قوس فتحته متجهة نحو الأسفل وهو منطلق من نهاية الخط الذي يمثل البدن. من منتصف خط البدن العمودي يبرز نحو الجهة اليسرى خط مائل نحو الأسفل قليلاً، لعله كان يمثل أحد القدمين (شكل ١٤ : ٢).

١٥ - مجموعة رسوم آدمية نقشت بنفس أسلوب الرسم السابق وعلى نفس الواجهة الصخرية؛ ويتمثل الشكل الآدمي بخط عمودي طرفه العلوي متوج بدائرة تمثل الرأس، أسفل الرأس قوس يمثل الأيدّي وتكون في بعض الحالات مرفوعة نحو الأعلى (شكل ١٤ : ٣). وفي حالات أخرى نحو الأسفل

(شكل ١٤ : ٤). أما الأرجل فتتمثل بقوس آخر عند نهاية خط البدن وتكون فتحة القوس متجهة دائماً نحو الأسفل (٥٣).

٨ : ب – الوسوم :

١ – ثلاثة أعمدة رأسية (مطارق) متجاورة، تحصرها حفرتان دائريتان عن اليمين والشمال، ولعلهما بمثابة شاهد الوسم (شكل ٣ : ٢).

٢ – مثلث متساوي الساقين، أسفله خط أفقي مواز لضلعه السفلي. ويعرف هذا الوسم حالياً بالفاحج (شكل ٣ : ٣).

٣ – خمسة مطارق رأسية متجاورة خالية من أية إضافات (شكل ٣ : ٤).

٤ – خطان أفقيان (مطرقان) متوازيان يصل بين منتصفهما عمود رأسي تتجاوز أطرافه الخطين الأفقيين، وهو بهيئته الحالية يشبه حرف الزاء بالخط المسند (شكل٣ : ٥).

٥ – قوس أو هلال فتحته نحو الأسفل يقسمه مطرق رأسي يتجاوز رأسه حنية القوس ويشبه بذلك حرف الحاء بالخط المسند (شكل ٣ : ٦).

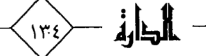
٦ – ثلاثة خطوط (مطارق) أفقية متوازية، يقسمها مع منتصفها مطرق رأسي، طرفه العلوي ينعطف نحو اليسار، أما السفلي فينتهي بحلقة تبرز منها زيادة نحو اليمين (شكل ٣ : ٧).

٧ – عمودان رأسيان حول منتصفهما من اليمين والشمال حفرة صغيرة (شكل ٣:٨).

٨ – حلقة شبه بيضاوية عن يمينها حفرة صغيرة واطية، ويشبه هذا الوسم شكل الرقم خمسين (٥٠) (شكل ٣ : ٩).

٩ – خطان متقاطعان بزوايا قائمة (عرقاة)، مع مطرق رأسي في الزاوية اليسرى السفلية، وهو بمثابة شاهد الوسم (شكل ٣ : ١٠).

١٠ – خطان متقاطعان على شكل عرقاة، مع دائرة مفرغة في الزاوية اليمنى السفلية



(شكل ٣ : ١١).

١١ - ثلاث حلقات دائرية مائلة، أسفلها مطرق متطاول مائل (شكل ٣ : ١٢).

١٢ - مطرق رأسي طرفه العلوي معكوف نحو اليسار، أما السفلي فذو زيادة أو ندبة أفقية (شكل ٣ : ١٣).

١٣ - حلقتان دائريتان متجاورتان بشكلٍ أفقي بينهما مطرق رأسي (شكل٣ : ١٤).

١٤ - قوس فتحته نحو الأسفل وأطرافه متطاولة نسبياً (شكل ٣ : ١٥).

١٥ - قوس أو هلال ذو زوايا ركنية وفتحته نحو الأسفل، وعن يمينه مطرق رأسي (شكل ٣ : ١٦).

١٦ - خطان متقاطعان (عرقاة)، الأفقي منهما ينتهي طرفه الأيسر بخطاف سفلي، أما الرأسي فينتهي طرفه السفلي بما يشبه رأس السهم أو الحَربة، أمّا العلوي فمعكوف نحو اليسار (شكل ٣ : ١٧).

١٧ - قوس ذو زوايا مضلعة فتحته نحو الأعلى تنزل من جانبه الأيسر زائدة قصيرة تتصل بقوس آخر مضلع بسيط التركيب (شكل ٣ : ١٨).

١٨ - حلقة بيضاوية الشكل تخرج منها أفقياً زائدتان قصيرتان نحو اليمين والشمال، وترتكز الحلقة على شكل شبه مستطيل، ويأخذ الوسم هيئة الكأس إلى حدٍ ما (شكل ٣ : ١٩).

٩ - نُقْرَة الضِّبَاع (غاف الجواء) :

يبعد هذا الموقع عن بلدة غاف الجواء حوالي ١٣كم جهة الشمال الغربي، كما يبعد عن حصاة الطلحة نحو ٢كم غرباً. وهو عبارة عن مجموعة من الكتل الصخرية الرسوبية الصفراء اللون، جاثمة على أرض صخرية منخفضة عما يحيط بها من المرتفعات الجبلية (لوحة ٧). ويحيط بهذا الموقع المنخفض منخفضات صخرية أخرى وشعاب وقيعان صالحة للرعي. وعلى الرغم من كثرة الرسوم

الحيوانية والمخربشات على واجهات هذه الكتل الصخرية الصالحة للجلوس تحتها والاحتماء بها، إلا أن هذا لاينطبق على ما يحيط بها من واجهات صخرية كثيرة صالحة للكتابة، لكنها غير مناسبة للجلوس أسفلها.

وتظهر على واجهات هذه الكتل الصخرية وسوم ورسوم حيوانية ومخربشات كثيرة ومتداخلة بعضها ببعض، ومعظم هذه العناصر تعود لفترات تاريخية متفاوتة، إلا أن النقش عليها في فترات متأخرة بالإضافة إلى عوامل التعرية قد أفقدتها الكثير من وضوحها وأهميتها.

٩ : أ - الرسوم الحيوانية :

١ - رسم منقوش على واجهة صخرية مستوية لثلاثة إبل متتابعة في صف واحد يقتفي أثرها شكل آدمي. الشكل الأمامي عبارة عن ناقة نقرت حوافها الخارجية فقط في حين بقي منتصفها أملس خاليًا من النقش. وقد مثل بدن وسنام الناقة بمثلث كبير يمتد ضلعه الأيمن نحو الأسفل ليكوِّن مع امتداد خط البدن رقبة طويلة متدلية نحو الأرض لتعبر عن حالة رعي الناقة.في هذه الصورة. أقدام الناقة منفصلة عن بعضها البعض وتدل على وضع الناقة المتوقفة للرعي. أما بالنسبة للناقة الثانية فتبدو ذات ملامح طبيعية وقد نفذت بأسلوب النقر على كامل بدنها وتبدو في حالة وقوف أو سير، حيث الرقبة المرفوعة والأرجل العمودية، والذيل المرفوع. جدير بالإشارة أن هاتين الناقتين تشتركان في ميزة واحدة لم تتكرر في أي من رسوم الإبل في هذه المنطقة، هذه الميزة هي توضيح ضرعي الناقتين (الخلفتين) على هيئة مربعة في الجزء المحصور عند نقطة التقاء بطن الناقة بالأجزاء العلوية من الأرجل. الشكل الحيواني الخلفي ذو هيئة بسيطة التركيب وإن كانت ملامحه العامة كالرقبة والذيل والأقدام توحي بأنها خاصة بجمل. ولعل منفذ هذا المنظر قد تعمد رسم الجمل خلف الناقتين، حيث إن هذه ظاهرة معروفة عند الإبل في الطبيعة. الشكل الآدمي الذي يتبع

هذه الإبل ذو ملامح متواضعة، فقد مثل بدنه بخط قائم يبرز منه في الأعلى خطان مرتفعان تمثل الأيدي، في حين تنحدر الأقدام نحو الأسفل (شكل ١٥ : ١). جدير بالذكر أن منفذ هذه الأشكال قد اقتبسها عن الطبيعة بصورتها الحقيقية، فهو يصور منظراً طبيعياً فيه كيفية تتابع الإبل في صف واحد على شكل قافلة وذلك عند مسيرها للبحث عن الكلأ وخلفها الراعي الذي يتولى شؤونها.

٢ - منظر لحيوانين من ذوات الأربع نفذا بأسلوب النقر على نفس الواجهة الآنفة الذكر، وقد رسما بحجم صغير؛ الخلفي منهما ذو ملامح طبيعية قريبة الشبه من ملامح الماعز أو التيس حيث تبدو أقدامه الأمامية أقصر من الخلفية. وذيله قصير ومرفوع نحو الأعلى، أما قرونه فبارزة نحو الأعلى وتنتهي بانحناءة صغيرة تذكر بقرون الوعول المنتشرة في نقوش هذه المنطقة. ويبرز من أسفل الحنك السفلي لهذا الحيوان خط عمودي طويل نسبياً، لعله يقصد به خصلة الشعر التي تمثل لحية التيس المعروفة في هذا الجزء من بدن الحيوان. الحيوان الأمامي ذو ملامح تجريدية أكثر منها طبيعية، وتبدو مؤخرته أسفل مقدمة رأس الحيوان الخلفي، أما بدنه فيمثله خط أفقي ينتهي بقدمين قصيرين وتبدو رقبة هذا الشكل الحيواني طويلة بعض الشيء وتنتهي برأس صغير يبرز منه قرنان معكوفان حتى مؤخرته. جدير بالإشارة أن قرب الحيوان الخلفي من مؤخرة الأمامي ورفع رقبة الأمامي بهذه الهيئة قد تعبر عن بدء عملية تزاوج بين الحيوانين (شكل ١٥ : ٢).

٣ - شكلان لحيوانين نقشت حواف بدنيهما دون وسطيهما، يظهر الرسمان بملامح طبيعية وكأنهما في حالة مشي أحدهما يتلو الآخر؛ الحيوان الأمامي توحي ملامح بدنه ورقبته وذيله أنه لماعز، لكن قرونه الطويلة المعكوفة ذات الندبات الخارجية قد توحي بأنها خاصة بوعل وليس بماعز. أما الحيوان الخلفي فإن كامل ملامحه تشير إلى أنها خاصة بوعل أو لتيس جبلي. ومما يلفت الانتباه في شكل

هذا الحيوان الأخير أن مقدمة وجهه تحتوي على زائدة كبيرة تشبه الخرطوم، ولعلها عملت خطأً وقت تنفيذ الرسم (شكل ١٦ : ١).

٤ - منظر لمجموعة مكونة من ثلاثة عشر حيواناً نفذت بأسلوب النقر على واجهة صخرية هشة غير مستوية، ويظهر النقر على كامل أبدان الحيوانات ونفذ بطريقة جيدة، وبنسب تشريحية قريبة من الطبيعة. وتبدو الحيوانات في صفين أحدهما فوق الآخر. الصف العلوي تظهر فيه مجموعة مكونة من ثلاثة كلاب وثلاثة رؤوس من البقر أو الوعول متعاقبة ومتجهة نحو اليسار تقابلها ثلاث ضباع متجهة نحو اليمين. وتبدو البقر أو الوعول متشابهة التفاصيل، حيث الأبدان المكتنزة والأقدام الخلفية المثلثة الشكل والذيول المقوسة نحو الأسفل وكذلك الرؤوس (الوجوه) المتجهة نحو الأسفل. ثم تلك القرون الفريدة من نوعها في هذه المنطقة، حيث ترتفع نحو الأعلى بشكل رأسي ثم تميل منكسرة نحو الخلف ثم ترتفع نحو الأعلى. ولعل هيئة بعض أعضاء هذه الحيوانات وبالأخص البدن والأقدام يقودنا إلى التفكير بأنها خاصة ببقر وليس بوعول. أما الكلاب التي تبدو بين الأشكال السابقة فهي أيضاً متشابهة الأشكال وتبدو في حالة مشي، حيث الأقدام المتباعدة والذيول المرفوعة والرقاب الممدودة. وتواجه كلاً من البقر والكلاب ثلاث ضباع متتابعة ذات ملامح طبيعية، يتجلى ذلك في أعناقها القصيرة وأبدانها المنتفخة الإنسيابية وذيولها المنسدلة نحو الأسفل.

أما الصف السفلي فتظهر فيه ثلاث ضباع يتقدمها مايشبه الوعل الصغير، وكلها متجهة نحو اليمين. الضباع الثلاث تشبه من حيث الشكل والحجم الضباع العلوية، أما الوعل فيبدو في حالة سير متحفزة وكأنه يتأهب للهروب من الضباع (شكل ١٦ : ٢). ولاشك أن هذا المنظر يمثل عملية هجوم الضباع على البقر أو الوعول، ولعل منفذ المنظر قصد من وضع الضباع في صفين توضيح كيفية انقضاضها على فريستها، حيث جرت العادة عند الحيوانات المفترسة أن تحيط بفريستها من جوانب مختلفة لتتمكن من القضاء عليها.

٩ : ب – الوسوم :

١ – مطرق عمودي متطاول يلامس عند طرفه العلوي جهة اليسار دائرة شبه منتظمة، فيأخذ الوسم بذلك هيئة الرقم (تسعة) أو حرف الدال بالخط المسند (شكل ٤ : ١).

٢ – مطرقان متوازيان بشكل عمودي (شكل ٤ : ٢).

٣ – مطرقان متطاولان بشكل عمودي أطرافهما متصلة بالأعلى والأسفل (شكل ٤ : ٣).

٤ – مطرق عمودي ينتهي طرفه العلوي بخط أفقي قصير، أسفله خط أفقي آخر أطول منه، ويعرف مايشبه هذا الوسم حالياً بالمغزل (شكل ٤ : ٤).

٥ – مطرق عمودي ينتهي طرفه العلوي بندبة دائرية صغيرة أسفلها خط أفقي متطاول غير مستقيم، أما طرف المطرق السفلي فيقف على خط أفقي قصير (شكل ٤ : ٥).

٦ – هلال يشبه حرف النون المقلوب أي أن فتحة الهلال نحو الأسفل وبداخله حفرة صغيرة (شكل ٤ : ٦).

٧ – هلال فتحته نحو الأسفل، ويبرز من منتصف انحنائته العلوية مطرق عمودي، وهو بذلك يشبه بعض أوضاع حرف السين بالخط المسند (شكل ٤ : ٧).

٨ – رسم ذو هيئة تشكيلية يمثله مطرق عمودي ينعكف طرفه العلوي نحو اليمين بزاوية قائمة، ثم يرتفع نحو الأعلى وينتهي طرفه بانحنائه نحو الأسفل (شكل٤ : ٨).

٩ – دائرة منتظمة يقسمها أفقياً خط واحد بمثابة نصف القطر، وتتعامد عليه ثلاثة خطوط تلامس محيط الدائرة من الداخل في الأعلى والأسفل (شكل ٤ : ٩).

ثانياً – النقوش :

حوت منطقة الجواء ما مجموعه ستة عشر نصاً عربياً قديماً، منها ثلاثة نصوص

كتبت بالقلم النبطي، والبقية كتبت بالقلم المعروف بالثمودي منها اثنان مضمحلان، الأول نق ١، مضمحل الجزء الأول، والثاني نق ٢ مضمحل الجزء الأخير. وجميع النصوص الثمودية كتبت على شكل خط عمودي أو أفقي فيما عدا نقش رقم ٥ المكتوب على شكل خط مائل. ومن دراسة هذه النصوص تبين أن النقوش النبطية حوت ثلاثة أسماء أعلام شخصية، واحدة منها ش ق ل ت يظهر لأول مرة في النقوش النبطية. بينما النقوش الثمودية أظهرت اثنى عشر اسم علم تُعرف للمرة الأولى في النصوص الثمودية من تسعة عشر اسم علم جاءت في هذه المجموعة وهي ت هـ د (نق ٣)، د ش م (نق ٤)، ر م ل (نق ٥، ١٠)، ض و (نق ٦)، س ح ج ت (نق ٧)، ح ط م (نق ٧)، ع ظ (نق ٨)، ت س ك ف ؟ (نق ٩)، م ر ا ل ق س (انظر نق١١)، س و ح (نق ١٢)، ر ف ش (نق ١٢)، و ج ع (نق ١٦). وقد خلت النصوص النبطية الثلاثة من مفردات فيما عدا اسم البنوة ب ر (نق ٢). بينما حوت النقوش الثمودية ثلاثة عشر مفردة منها مفردتين تظهران للمرة الأولى في هذه النوعية، ح ن ك: أي «البعير، الجمل» (نق ١٠)، م ر، أي «المارية أو الجمل» (نق ١٤). وبدراسة الأعلام الواردة في هذه المجموعة تبين أنها انقسمت من حيث دلالاتها اللغوية إلى عدة أقسام، فاثنان منها جاءا بصيغة اسم العلم المركب وهي ت م ل ت، «خادم اللات» (نق ١١)، م ر ا ل ق س «رجل القيس» (نق ١١)، وواحد منها جاء بصيغة اسم علم من جملة اسمية، ح م د ص ع ب «الشكر، الحمد (ل)، ص ع ب» (نق ١٣)، وكذلك إسم علم واحد جاء بصيغة اسم علم مختصر وهو و ا ل و «الملتجأ إلى + اسم الإله» (نق ٢ النبطي) أما بقية اسماء الأعلام فقد جاءت بصيغة العلم البسيط ولكن بأوزان مختلفة مثل ش ق ل ت، (نق ٣ النبطي)، س ج ح ت (نق ٧) جاءا على وزن فعله، والاسم ت هـ د (نق ٣) على وزن تفعل أو على وزن فعال مثل س و ح (نق ١٢)، أو على وزن أفعل مثل ا ح ب (نق ٩، ١٠)، أما البقية فجاءت على وزن فعل مثل د ش م (نق ٤) و ض و (نق ٦). ومن حيث الدلالات الاجتماعية فقد انقسمت أيضاً إلى عدة أقسام

فهناك بعض الاسماء المشتقة والمأخوذة من مناسبة أو حدث مثل ر م ل، «المولود أثناء المطر الضعيف» (نق ٥، ١٠)، أما بقية الأسماء فهي تحمل صيغة التمني والرجاء والدعاء للمولود بحياة أكثر استقراراً مثل ض و، «النور، الإشراق» (نق ٦)، ع ظ «الشدة، القوة» (نق ٨).

وتدل هذه المجموعة القليلة على الأهمية التي كانت تتمتع بها المنطقة فهي تبين أن الجواء خلال الفترة من القرنين الثاني قبل الميلاد إلى الأول أو الثاني الميلادي كانت ذات استيطان سكاني محدود فالنقوش النبطية العائدة من خلال أشكال علاماتها إلى القرن الأول قبل الميلاد والنقوش الثمودية الثلاث نق ٧، ٨، ١٢ العائدة إلى الفترة الثمودية المتوسطة تثبت أن المنطقة كانت ذات استيطان سكاني محلي أو منطقة عبور يتوقف عندها القادم والرائح من الشرق إلى الغرب والعكس أو من الشمال إلى الجنوب وكذا العكس وأبرز ما أظهرته هذه المجموعة ظهور المفردات ع ج ل (نقش ٥) ح ن ك (نق ١٠)، م ر (نق ١٤)، فالأولى توحي بارتباط مستخدمي القلم الثمودي بالأرض لأن العجْل غالباً ما يكون في حوزة المستقر والمستوطن المتعامل مع الأراضي الزراعية، والثانية توحي بتعدد الأسماء التي عُرف بها الجمل، البعير لدى الثموديين.

وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه النقوش :

أولاً – النقوش النبطية :

النقش رقم (١) : **عريجين منصور (غاف الجواء)** (شكل ١٧، لوحة ٨)

ش ب و

ش ب و

التعليق :

تكمن أهمية هذه الكلمة في شكل علامتها الثانية، الباء التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد (٥٤) . مما يوحي بقِدَم الأدلة التي تشير إلى التواجد النبطي في

هذه المنطقة، التي يحتمل أنها تقع على أطراف الموطن الأصلي للأنباط(٥٥). وقد جاء هذا الاسم بصيغته هذه في كل من النقوش النبطية (٥٦) والحضرمية(٥٧)، بينما جاء بصيغة ش ب ي في النقوش الصفوية (٥٨). وفي كل من الآرامية القديمة (رغم اختلاف التفسير) (٥٩)والتدمرية (٦٠) عُرف بصيغة ش ب أ. ش ب اسم علم شابه ورد في كل من النقوش الثمودية (٦١) واللحيانية (٦٢). وهو يحتمل قراءتين : الأولى بالشين ولذا فهو إما أن يكون على علاقة بالكلمة العربية شَبَّ وفي هذه الحالة يعني «الشاب» كما يرى ستارك (انظر هامش رقم : ٥٦) أو أن يكون على علاقة بالكلمة العربية شُبَّ إذا رُفِعَ وشَبَّ إذا أَلْهَب (٦٣) ، ولذا فلا يستبعد أن يكون اسم علم مختصر يعني «المرفوع، العالي + اسم الإله». الثانية القراءة بالسين، س ب و فيكون على علاقة بالكلمة العربية السَّبَّ : أي «السِّتْر» (٦٤).

النقش رقم (٢) : عريجين منصور (غاف الجواء) (شكل ١٧ ، لوحة ٨)

و ا ل و ب نْ رْ ت س (ش) × (س) ش

وائل بن ت س (ش) × (س) ش

التعليق :

هذا النقش القصير المكتوب إلى الجهة اليسرى من النقش الأول، ربما يكون اسم علم مركب رغم عدم ظهور- حسب معلوماتنا- اسم علم مركب جزئه الأول يبدأ باسم العلم و ا ل و، كما أن خلو عنصره الثاني، غير المقروء بشكل مرض من أداة التعريف المعروفة في هذه النوعية من النقوش، الألف حال دون اعتباره لفظة أو مفرده، الدالة على مكانة أو وضعية وائل . ولذا فالنص يقرأ أيضاً و ا ل و ب نْ رْ ت ش، مما يعني أنه نقش يتكون من علمين الأول و ا ل و، المعروف بكثرة في نقوش عربية سامية عديدة (٦٥) والثاني يصعب إعطاء قراءة مقبولة له.

النقش رقم (٣) : **عريجين منصور (غاف الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ٨)

ش ق ل ت

ش ق ل ت

التعليق :

كُتب هذا النقش القصير أسفل النقشين السابقين. وهو أيضاً يتكون فقط من كلمة واحدة يصعب اعتبارها غير اسم علم مؤنث، يظهر -حسب معلوماتنا - بهذه الصيغة للمرة الأولى في النقوش النبطية. فقد عُرف بصيغة ش ق ي ل ت مرتين وفسره الفرنسي كانتينو بأنه من عنصرين س ق ي المماثل للكلمة العربية سقى والثاني ل ت، الإلهة اللات، وبذا يكون معنى الاسم «سُقْي من اللات» (٦٦). وربما يكون المراد والمقصود «نعَمٌ من الربة اللات». وكان نجف قد اقترح احتمالية أخرى، وذلك بإعادته إلى الكَلمة العبرية שקל: أي «أخذ» (٦٧). إلا أن أفضل تفسير له هو إعادته للكلمة العربية الشَّقْل، وهو الاخذ وقيل الرَّزْن وشوقل الرجل إذا تَرزَّن حلماً ووقاراً (٦٨). لذا فهو اسم علم بسيط يعني «الرزينة». وهذا الاسم ورد بهذه الصيغة في النقوش الصفوية (٦٩). على كل حملت ثلاث نساء من أشهر نساء الأنباط اسم العلم ش ق ي ل ت، الأولى زوجة الحارثة الرابع (٩ ق.م - ٤٠م) الذي خلد زواجه بالنقد التذكاري المنقوش على أحد وجهيه شقيلة مع زوجها وقد اكتست بثوب متجعد وعلى غطاء رأسها زينة، والثانية شقيلة ابنته(٧٠). أما الثالثة فهي شقيلة حرم الملك النبطي مالك الثاني (٤٠ - ٧٠م) التي ظهرت على بعض النقود المضروبة في عهد زوجها (٧١).

ثانياً – النقوش العربية الشمالية (الثمودية) :

النقش رقم (١) : **عريجين منصور (غاف الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ٩)

×××ب ن س ع د

×××ابن سَعْد

التعليق :

إلى الأعلى من النقش النبطي رقم : ١ ، كُتب هذا النص القصير المكون من علمين، يفصل بينهما اسم البنوة بن. الأول لم نتمكن من الخروج بقراءة مقبولة له نظراً لاضمحلال علاماته العائد فيما يبدو إلى طبيعة الصخرة المكتوب عليها هذا النص، أما الثاني فهو اسم العلم س ع د، سَعْد المعروف بكثرة في هذه النوعية من النصوص والنصوص السامية الأخرى(٧٢)، والنص من خلال علاماته مثل النون والباء (٧٣) وأسلوب كتابته في استخدام اسم البنوة ب ن يوحي بأنه أقرب إلى كونه نصاً ثمودياً يعود إلى الفترة الثمودية المتأخرة .

النقش رقم (٢) : **عريجين منصور (غاف الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٠)

××× (ب ن) س ع د

××× بن سَعْد

التعليق :

يبدو أن صاحب هذا النقش هو نفسه صاحب النقش السابق، المضمحل اسمه في كلا النقشين نظراً لطبيعة الصخرة. والنقش كُتب إلى الأعلى من رسمة متقنة لوعل. بالنسبة للاسم الثاني سَعْد (انظر نق : ١ ثمودي).

النقش رقم (٣) : **حصاة الطلحة (غاف الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ١١)

ل س ع د ف ت ش و ق ا ل ت هْ دْ

بواسطة سَعْد (الذي) اشتاق إلى ت هـ د

التعليق :

كُتب هذا النقش القصير العائد إلى الفترة الثمودية المتأخرة، بأسلوب لم يكن معهوداً في هذه النوعية من النقوش حيث خَطَّ صاحبه سَعْد (انظر نق ١ ثمودي) اسمه على شكل خط عمودي ثم كتب بقية النص على شكل خط أفقي(٧٤)، المبدوء بالفعل المسبوق بالأداة الفاء (٧٥)، ت ش و ق، أي «اشتاق» المعروف في النصوص الثمودية (٧٦). وأخيراً اسم العلم المقروء بتحفظ ت هـ د، الذي ربما

يكون على وزن تفعل من الهَدّ (٧٧) . وقد عُرف اسم علم مشابه بصيغة هـ د في الصفوية (٨٧).

النقش رقم (٤) : **العمانية (غاف الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٢)

ل د ش م ب ق م ل

بواسطة د ش م بن قَمْل

التعليق :

كُتب هذا النص القصير إلى جانب رسومات متقنة لأربعة من الجمال، رسمت على خط مستقيم مع رسمة صغيرة لوعل يقع بين الجملين الأول والثاني، فيما يمكن اعتباره صك ملكية من صاحب هذا النقش د ش م لهذه الجمال الأربع. أو أنه هو الذي قام برسم هذه الرسومات. الاسم الأول المسبوق بالأداة اللام والمتبوع باسم البنوة الباء، تدل أشكال بعض علاماته مثل النون على كونه نصاً ثمودياً متوسطاً أو مبكراً، ويحتمل أن يقرأ د ش م (٧٩) رغم صعوبة إعطاء تفسير مقبول له، إلا أن ابن منظور يشير إلى أن الدُّشمة هو الرجل الذي لا خير فيه (٨٠). أما اسم العلم البسيط ق م ل المعروف في النقوش الصفوية(٨١) فقد جاء في النقوش الثمودية بصيغة ق م ل ت (٨٢)، وفي القتبانية بصيغة ق م ل م (٨٣). ويبدو أن هذا الاسم ذو علاقة إما باللفظة العربية القَمْل وهي «الحشرة التي تعيش في الشعر» أو من قَمِلَ بطنه : «ضخم أو سمن»(٨٤) .

النقش رقم (٥) : **الحنادر (عيون الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٣)

ل ر م ل هـ ع ج ل

(هذا) العَجْل لِ ر م ل

التعليق :

كُتب هذا النص المقروء من الأسفل إلى الأعلى، بطريقة الخط المائل المنحني، وهو يتكون من كلمتين الأولى المسبوقة بالأداة اللام تقرأ ر م ل. وهو اسم علم بسيط كما يقول ابن منظور من الرمل عند تفسيره للاسم المؤنث الرَّمْلَة وهي «واحدة

الرمل أو هي قطعة منه» (٨٥) ، إلا أنه يجب أن لا نغفل احتمالية كون هذا الاسم جاء من الرَّمَل وهو المطر الضعيف (٨٦) . وبذلك يكون المعنى «المطر» والمقصود به الخير والبركة أو المولود أثناء المطر . أو كونه اسم علم من جملة إسمية تتكون من عنصرين الأول ر م والثاني الإله ا ل الذي سقطت ألفه كما هو مألوف في هذه النوعية من النصوص فالعنصر الأول عرف بالسريانية بصيغة ܪܘܡܐ : «علو، سماء، ارتفاع»(٧٨)، ومما يؤكد هذه الاحتمالية ظهور الاسم ر م أ ل في النقوش النبطية (٨٨) ، والاسم جاء بهذه الصيغة في النقوش الصفوية(٨٩)، بينما جاء بصيغ مختلفة، إذا صحت القراءة الثانية في نقوش سامية أخرى مثل التدمرية بصيغة ر م أ، وفي النقوش الحضرية بصيغة ر م و(٩٠) . يلي ذلك الاسم المفرد المذكر المسبوق بأداة التعريف المقروءة ع ج ل، المماثل لعجْل بالعربية وهو ولد البقرة الوارد في نقوش ثمودية أخرى(٩١) . وكذلك في النقَوش الصفوية(٩٢) ونقوش سامية أخرى(٩٣) . ولاشك أن ظهور لفظة عجْل في هذه النوعية من النقوش لتدل على أن مستخدميها كانوا يمارسون الزراعةَ، وهناك العديد من أسماء الأعلام الواردة في النقوش الثمودية ذات علاقة بالمنتجات النباتية مثل ع ن ب، . . . الخ(٩٤) .

النقش رقم (٦) : **الحنادر (عيون الجواء)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٣)

ل ض و

بواسطة ض و

التعليق :

كُتب هذا النص القصير المتكون من كلمة واحدة بجانب وسم (رقم ٣ ب / ٣، شكل ٢ : ٣) وإذا صحت قراءتنا لهذا الاسم فهو يرد للمرة الأولى في هذه النوعية من النقوش وغيرها من الكتابات السامية الأخرى. وهذا الاسم البسيط الذي يعني «النور، الإشراق» جاء بصيغة ضَوْء في الموروث العربي(٩٥) .

النقش رقم (٧) : **القلاَّع (كبد)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل س ح ج ت (ب) ح ط م

بواسطة س ح ج ت بن حَطْم

التعليق :

كُتب على هذه الصخرة العديد من النقوش المعروفة بالثمودية، وكذا العلامات والأشكال التي يرجح أنها وسوم(٩٦)، بالإضافة إلى الرسوم الحيوانية والآدمية غير المتقنة، أحدها المرسوم أسفل النقش رقم : ٩. ونقشنا هذا الذي أغفل كاتبه إضافة اسم البنوة كتب على شكل خط مائل، كالعديد من نصوص هذه النوعية. ولا يستبعد من خلال أشكال علاماته أن يكون نصاً ثمودياً يعود إلى المرحلة الثمودية المتوسطة. الاسم الأول المسبوق بالأداة اللام يقرأ س ح ج ت، وهو يظهر للمرة الأولى بهذه الصيغة في النقوش الثمودية، والوارد بصيغة سَيْحُوج في الموروث العربي(٩٧). ولا يستبعد أن يكون على علاقة بالكلمة العربية سُحَّاج وهو الذي يسحج الأرض بخفه ينشرها فلا يلبث أن يحفى(٩٨). أما اسم العلم البسيط الآخر، فإن أفضل القراءات له هي ح ط م(٩٩). وهو من الأسماء المعروفة في النقوش الصفوية، والوارد بصيغة ح ط م ت / ح ط م هـ في النقوش الآرامية الدولية (١٠٠).

النقش رقم (٨) : **القلاع (كبد)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل ح م (ب) ع ظ

بواسطة ح م بن ع ظ

التعليق :

يعود هذا النقش القصير المقروء من اليسار إلى اليمين من خلال أشكال علاماته وتحديداً حرف العين إلى الفترة الثمودية المتوسطة أو المبكرة. وكغالبية النقوش العائدة إلى هاتين الفترتين لم يستخدم كاتبه اسم البنوة. اسم العلم البسيط ح م، عُرف بهذه الصيغة في النقوش الثمودية والصفوية(١٠١). يلي ذلك الاسم الأخير

المتبوع بالاسم المقروء ع ظ وهو من الأسماء المعروفة في النقوش الصفوية(١٠٢) ومشتق من العَظِّ : أي «الشدَّة في الحرب» (١٠٣) .

النقش رقم (٩) : **القلاع (كبد)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل ت سْ كْ ف ب ن ا ح ب

بواسطة ت س ك ف بن أَحْب

التعليق :

أدى أسلوب كتابة اسم العلم الأول في هذا النقش المكتوب بشكل أفقي من اليسار إلى اليمين، إلى عدم الخروج بنتيجة مرضية له . العلم الثاني ، المكتوب بأسلوب يختلف قليلاً عن بقية علامات النص ، المسبوق باسم البنوة بن ، يقرأ بسهولة أ ح ب وهو على وزن أفعل من حَبّ أي «الأحب الأكثر محبة» وقد جاء في عدد من النصوص الثمودية والصفوية (١٠٤) .

النقش رقم (١٠) : **القلاع (كبد)** (شكل ١٧ ، لوحة ١٤)

ل رم ل (ب) ا ح ب هـ ح ن ك

(هذا) الحَنْك (الجمل) لِ ر م ل بن أَحْب

التعليق :

يُعد هذا النص المكتوب على شكل خط أفقي مكتوب من اليسار إلى اليمين ، أهم نصوص هذه المجموعة الثمودية ، حيث ورد فيه إذا صحت قراءتنا لكلمته الأخيرة هـ ح ن ك ، التي يمكن أن تكون إحدى مسميات الجمل في العربية . ومن خلال أشكال علاماته يمكن إعتباره نقشاً يعود إلى الفترة الثمودية المتوسطة . أما بالنسبة للكلمة الأخيرة المتبوعة بشكل حرف القاف الذي لا علاقة له بهذا النص لسببين : الأول الاختلاف الواضح في أسلوب كتابته عن بقية علامات النص ، الثاني في حالة التجاوز عن هذا الاختلاف في أسلوب الكتابة واعتبار هذا الحرف القاف الحرف الأخير لهذه الكلمة فإنها تقرأ هـ ح ن ك ق التي لاتحمل معناً مقبولاً . لذا فإن القراءة الأكثر قبولاً لهذه الكلمة هي هـ ح ن ك ، وهو الاسم المفرد المذكر

المسبوق بأداة التعريف الهاء، ويعني «الجمل، البعير» استناداً إلى أن عبارة البعير أَحْنَك الإبل مشتق من الحنك أي أشدها أكلاً(١٠٥). وإذا صح هذا التفسير، فإنه يكون الاسم الخامس للجمل، ضمن الأسماء التي وردت في النقوش الثمودية(١٠٦).

النقش رقم (١١) : **صلاصل (القوارة)** (شكل ١٨، لوحة ١٥)

ت م ل ت ب ن م ر ا ل ق س

تَيْم اللات بن مر القيس

التعليق :

كُتب هذا النقش القصير العائد من خلال أشكال علاماته، وبالذات الألف والنون إلى الفترة الثمودية المبكرة أو المتوسطة. وقد استخدم كاتبه خطوطًا عمودية للفصل بين كلمات هذا النقش. الاسم الأول المركب الذي يعني «خادم / عَبْد اللات» جاء في العديد من نصوص هذه النوعية(١٠٧) . أما الاسم الثاني المقروء م ر ا ل ق س فعلى الرغم أن أفضل تفسير له هو اعتباره من عنصرين الأول م ر المعادلة للفظة العربية امرؤ والثاني ا ل ق ي س وهو الإله ق ي س مع أداة التعريف الألف واللام، وهذا الإله وجد له معبد في مدائن صالح(١٠٨) . أو كما يرى ابن دريد أنه يعني رجل قيس ثم أدخلت الألف واللام(١٠٩)، إلا أن هذا التفسير يوقعنا في إشكالية فهو مقبول لو أن هذا النقش نقشٌ عربيٌ مبكر أو نبطي القلم، لأن الألف واللام في العربية والنبطية هي أداة التعريف(١١٠) غير المعروفة أو المتداولة في النقوش الثمودية أو السبئية، حيث أن الاسم م ر ا ل ق س جاء في نقش سبئي (١١١) فأداة التعريف في الأول هي الهاء وفي الثاني النون(١١٢) . لذاً فالاسم يحتمل تفسيرين رئيسين، الأول أنه اسمٌ لم يكن متداولاً سوى في النقوش العربية المبكرة والنبطية، استقاه السبئيون والثموديون بصيغته هذه واستعملوه كاسم علم، مع علمهم بأن ق س هو الإله المعروف لدى الأنباط، إلا أن ما يقلل من هذه الاحتمالية كون النقشين العربي المبكر المكتوب بأحرف نبطية والسبئي يعودان إلى

فترة متأخرة بالنسبة لنصنا، الأول (النمارة) يعود إلى القرن الرابع الميلادي(١١٣) والثاني السبئي يعود إلى القرن الثالث الميلادي. أما نصنا هذا فيعود من خلال أشكال حروفه إلى الفترة الثمودية المتوسطة (القرنين الأولين السابقين للميلاد)، فكيف يأخذ الأقدم من الأحدث؟. ولحل هذه الإشكالية، علينا افتراض أن الاسم م ر ا ل ق س كان متداولاً لدى الأنباط خلال القرون الثلاثة الأولى قبل الميلاد، رغم عدم العثور على دليل كتابي يؤكد هذا (١١٤).

النقش رقم (١٢) : **الضلع المتكسر** (أوثال) (شكل ١٨، لوحة ١٦)

س وح ب ر ف ش

س وح بن ر ف ش

التعليق :

رُسم إلى جانب هذا النقش العائد من خلال أشكال علاماته إلى الفترة الثمودية المتوسطة عدد من الوسوم. ونظراً لاتجاه حرف الباء يبدو أنه يقرأ من الأعلى إلى الأسفل. وهذه القراءة هي أرجح القراءات. الاسم الأول يقرأ نظراً للتشابه في شكل حرفي الحاء والطاء في هذه النوعية من النصوص، إما س و ط(١١٥) أو س وح. والقراءة الثانية هي الأقرب إلى القبول، نظراً لظهور أسماء أعلام مشابهة فمثلاً جاء بصيغة س ي ح في النقوش الثمودية (١١٦) وبصيغة סוּחַ في التوراة العبرية(١١٧). والسّواح اسم علم لشخص لازال مستخدماً حتى يومنا الحاضر(١١٨). وهو من ساح في الأرض يَسيح سياحة أي ذهب(١١٩). لذا فهو يعني «الجوال». أما الاسم الثاني فقد فضلنا قراءته ر ف ش، الذي رأى هاردنج عند شرحه لاسم علم مشابه جاء في السبئية بصيغة ر ف ش ن، أنه يحمل معنى صاحب الأُذنين العريضتين فالأَرْفَش هو العريض الأذن (١٢٠)، فلا يستبعد أيضاً أن يكون على علاقة بالرَّفْش : أي الأكل والشرب في النعمة والزمن(١٢١). والمقصود الدعاء له بالأمن والغنى. وإذا جاز لنا مقارنته باسم العلم الوارد في النقوش الحضرية بصيغة ر فَ ش أ فإنه علم مشابه(١٢٢)، اسم العلم رفشان جاء في

الموروث العربي(١٢٣) .

النقش رقم (١٣) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨ ، لوحة ١٧)

ح م د ص ع ب ب ن ث . . .

حَمْد الصعب بن ث . . .

التعليق :

لسبب غير واضح كرر الكاتب نصه، المقروء من اليسار إلى اليمين مرتين على نفس الصخرة. يقرأ الاسم الأول ح م د ص ع ب، وهو إما أن يكون من جملة اسمية يعني «الشكر أو الحمد (ل) ص ع ب»، باعتبار أن العنصر الثاني هو صفة الإله الدالة على القوة والصلابة. أو أنه يعني «الصعب هو ح م د»، حيث يمكن اعتبار العنصر الأول إما اسم علم يعادل الاسم المعروف حتى يومنا الحاضر حَمَد(١٢٤) . أو أن يكون الإله المعروف في النقوش العربية القديمة وهو الأقل احتمالية. يلي ذلك اسم البنوة ب ن، ثم الحرف الأول من اسم العلم الثاني، حرف الثاء الذي يبدو أن طبيعة الجهة اليسرى من هذه الواجهة الصخرية حالت دون إكمال الكاتب لنصه.

النقش رقم (١٤) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨ ، لوحة ١٨)

ف ر ن (ب) ج لْ ب ن هـ م ر و غ ل م ت

المارية والشابة لِ ف ر ن بن ج ل ب ن

التعليق :

هذا النقش المكتوب بشكل أفقي، المقروء من اليمين إلى اليسار، رُسم بجانب ثلاثة رسومات لجمل أحدها غير متقن الرسم. ورغم وضوح معظم علاماته إلا أنه يصعب كثيراً إعطاء قراءة مؤكدة له، وبالذات الجزء الأول منه. ومع هذا فالقراءة المعطاة أعلاه، رغم اعتقادنا بوجود قراءات أخرى هي الأكثر ترجيحاً. فقد اعتبرنا الأحرف السبع الأولى، للعلمين الأول صاحب النقش المقروء ف ر ن والثاني المكون من أربعة أحرف يقرأ إما م لْ ب ن (١٢٥) أو ج ل ب ن . ونميل إلى القراءة

الثانية التي لم تُعرف من قبل في هذه النوعية من النصوص. إلا أنه عُرف بصيغة ج ل ب في النقوش الصفوية والفينيقية(١٢٦) بينما جاء بصيغة م ج ل ب في النقوش الأوجاريتية(١٢٧). وهو اسم علم بسيط على وزن فعلان من جَلَبَ، فالجَلَبُ والأَجْلاب هم الذين يجلبون الإبل والغَنم للبيع، والجَلَب هو ما جُلب من خَيْل وإبل ومَتاع (١٢٨)، ولذا فهو يعني «الجَلاب» (١٢٩). وقد جاء الاسم في الموروث العربي بصيغة جُلْبَان(١٣٠). أما اسم العلم الأول المقروء ف ر ن، فقد عُرف بهذه الصيغة في النقوش الصفوية والأوجاريتية(١٣١). وهو يحتمل أن يكون اسم علم بسيط على وزن فعلان من الجذر ف ر ر(١٣٢). يلي ذلك ما اعتبرناه الاسم المفرد المذكر المسبوق بأداة التعريف الهاء، م ر الذي يصعب تحديد معناه بشكل مرض، حيث يقال ناقة موارة اليد ومَوّارة أي سهلة السير سريعة (١٣٣) وسائر، سائرة إذا كانت نشيطة في سيرها فَتْلاء في عضدها(١٣٤) وكذا امرأة مارية: أي بيضاء براقة(١٣٥). يلي ذلك الاسم المفرد المؤنث المسبوق بحرف العطف الواو، غ ل م ت، أي «غلامه، شابه»، المعروفة في العديد من النقوش السامية(١٣٦). وهكذا فهذا النص يحتمل عدة قراءات منها، «(الناقة) النشيطة والشابه ل ف ر ن بن ج ل ب ن» أو «(العَبْده) المارية والشابه ل ف ر ن بن ج ل ب ن» والقراءة الأخيرة هي الأقرب إلى الصحة نظراً لأن الكلمة الأخيرة غير المعرفة في حالة التأنيث.

النقش رقم (١٥) : الضلع المتكسر (أوثال) (شكل ١٨، لوحة ١٩)

و×ح م م و لْ ا وع ص ل ر ت و ن م (ب)× س ن ا×

ونام في (ب)× س ن ا×

التعليق :

كُتب هذا النص المقروء من اليمين إلى اليسار، أسفل رسمة متقنة لجمل، إلا أننا للأسف الشديد لم نتمكن من إعطاء قراءة مرضية، فيما عدا الجزء الأخير منه (بتحفظ)، المكون من الفعل الماضي المسبوق بحرف العطف الواو ن م، «نَام،

استراح»، المتبوع بحرف الجر الباء غير الواضح نظراً للعبث الذي حَصَل عليه من قبل أحد المواطنين المحليين مما أدى إلى ضياع معالمه. يلي ذلك إذا صحت قراءتنا، اسم المكان المضمحلة علامتاه الأولى والأخيرة × س ن ا × .

النقش رقم (١٦) : حصاة النصلة (غاف الجواء) (شكل ١٨ ، لوحة ٢٠)

القصيم تراث وحضارة، ص ٣٨

س ع د و د د و ج ع

سَعْد حَبّ وج ع

التعليق :

كُتب هذا النقش المقروء من اليمين إلى اليسار، أسفل صخرة كُتب فيها عدد من النقوش المعروفة بالثمودية، إلا أن التخريب والعبث الذي قام به الزائرون لهذا المكان حال دون قراءتها بالشكل المطلوب. الاسم الاول قُرىء من محرري كتاب القصيم تراث وحضارة ب ع د (١٣٧) إلا أننا نفضل قراءة الحرف الأول سيناً ليقرأ كالتالي س ع د، سَعْد (انظر نق : ١ ثمودي)، المتبوع بالفعل الماضي و د د، أي حَبّ المعروف بهذه الصيغة في العديد من النقوش المعروفة(١٣٨) بالثمودية. يلي ذلك اسم المحبوب المقروء إما و ع ج أو و ج ع، الأول يصعب كثيراً إعطاء تفسير مقبول له والثاني يمكن مقارنته باللفظة الوَجَع، في إشارة إلى الأوجاع التي عانت منها والدته.

خاتمة البحث

بعد استعراض ودراسة النقوش الكتابية والصور الحيوانية والوسوم التي تم حصرها في بلدان الجواء في منطقة القصيم، توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة نورد أبرزها على النحو التالي :

١ - أن المواقع التسعة التي اكتشفت فيها النقوش بالجواء هي مواقع لم تسبق دراستها، فيما عدا قراءة لأحد نصوصها (نق : ١٦) وهو الموجود في حصاة النصلة الواقعة في بلدة غاف الجواء، وأن العثور على هذا النص ونشره لم يكن بناءً على أهميته، وإنما لوضوحه وسهولة الوصول إليه.

٢ - أن النقوش الثمودية (ثلاثة عشر نقشاً) وكذا النبطية (ثلاثة نقوش) تبرز الأهمية التي يتمتع بها الجواء فيما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول أو الثاني الميلادي، حيث إن بعض نقوشه تبين أنه كان منطقة استيطان سكاني محلي، كما كان منطقة عبور يتوقف عندها الرائح والقادم من الشرق إلى الغرب والعكس وكذا من الشمال إلى الجنوب والعكس. كما أن نقوش هذه المنطقة أظهرت بعض المفردات التي لم تُعرف من ذي قبل.

٣ - أن الحيوانات التي تم حصرها في هذه المنطقة كثيرة ومتنوعة من قبيل الإبل والبقر والخيول والحمير والماعز أو التيوس والضباع والوعول والكلاب، وأن بعض هذه الحيوانات كانت ذات علاقة وطيدة بالإنسان في حله وترحاله، وأن معظمها مازالت موجودة في منطقة الدراسة فيما عدا الوعول وربما الضباع التي اختفت منها قبل بضعة عقود. ومقابل ذلك لم يتم العثور إلا على طائر واحد هو النعام، ونعتقد أنه لن يكون الطائر الوحيد في هذه المنطقة، كما نجزم أن الدراسات اللاحقة ستكشف عن المزيد من أنواع الحيوانات والطيور.

٤ - أن الرسوم الآدمية شحيحة وأن أشكالها تخطيطية ولا ترقى إلى مستوى الرسوم الحيوانية والنقوش الكتابية وهي بمجملها مرسومة بالطريقة العودية.

٥ - أن للرسوم المسجلة في هذه المنطقة والبالغ عددها ستين وسماً، دلالات دينية واجتماعية وأسطورية متباينة، بعضها عبارة عن حروف ثمودية تدل على مغزىً معين عند مستخدمها وبعضها الآخر ربما تكون مجرد رموز خاصة بأصحابها، منها مايمكن تفسيره ومنها مايصعب تفسيره. كما لا يستبعد كون بعضها مجرد حروف مفردة ليس لها علاقة بالوسوم.

قائمة بأسماء الأعلام والمفردات

أولاً – النقوش النبطية :

ب ر :	اسم البنوة	نق٢
ش ب و :	اسم علم	نق ١
ش ق ل ت:	اسم علم	نق ٣
و ا ل و :	اسم علم	نق ٢

ثانياً – النقوش الثمودية

ا ح ب :	اسم علم	نق ٩ ، ١٠
ا ل :	حرف الجر «إلى»	نق ٣
ب :	اسم البنوة «بن»	نق ٤ ، ١٢
ب :	حرف الجر الباء	نق ١٥
ب ن :	اسم البنوة «بن»	نق ٩ ، ١١ ، ١٣
ت س ك ف ؟ :	اسم علم	نق ٩
ت ش و ق :	«اشتاق»	نق ٣
ت م ل ت :	اسم علم	نق ١١
ت هـ د :	اسم علم	نق ٣
ج ل ب ن :	اسم علم	نق ١٤
ح ط م :	اسم علم	نق ٧
ح م :	اسم علم	نق ٨

ح م د ص ع ب :	اسم علم	نق١٣
ح ن ك :	«الحَنْك، البعير»	نق١٠
د ش م / د ص م :	اسم علم	نق٤
ر ف ش :	اسم علم	نق١٢
ر م ل :	اسم علم	نق٥، ١٠
س ح ج ت :	اسم علم	نق٧
س ع د :	اسم علم	نق١، ٢، ٣
س و ح :	اسم علم	نق١٢
ض و :	اسم علم	نق٦
ع ج ل : «عِجْل» :	اسم علم	نق٥
ع ظ :	اسم علم	نق٨
غ ل م ت :	«غلامه، شابه»	نق١٤
ف :	أداة	نق٣
ف ر ن :	اسم علم	نق١٣، ١٤
ق م ل :	اسم علم	نق١٤
ل :	لام الملكية	نق٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠
م ر :	«مارية»	نق١٤
م ر ا ل ق س :	اسم علم	نق١١، ١٤
هـ :	أداة التعريف	نق٥، ١٠، ١٤
و :	حرف العطف	نق١٤، ١٥
ن م :	«نام» ؟	نق١٥
و ج ع :	اسم علم	نق١٦
و د د :	حَبّ	نق١٦

الاختصارات

نق :	نقش
علامة الضرب (×) :	حرف مضمحل أو مطموس
دائرة صغيرة (ْ) :	فوق الحرف المشكوك في قراءته
بين قوسين ( ) :	مع النقوش إضافة من الباحثين
ثلاث نقاط (. . .) :	كلمة غير مكتملة

الإحالات والهوامش

١ - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، خمسة أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ.

٢ - العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : بلاد القصيم، دار اليمامة، ط ١، الرياض، ١٣٩٩هـ.

٣ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم والواو، جـ ٢، ص ١٧٤ .

٤ - العبودي، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٧٥٢ .

٥ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم والواو، جـ ٢، ص ١٧٤ .

٦ - الزبيدي، محمد مرتضي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، جـ ١٠، ١٣٨٦هـ، ص ٧٩ .

٧ - المصدر السابق، ص ١٧٨ .

٨ - المصدر السابق، ص ٧٩ .

٩ - العبودي، المرجع السابق، جـ ٢، ص ص ٧٥٣، ٧٥٤.

١٠ - نفس المرجع، جـ ٢، ص ٧٥٣.

١١ - ابن بليهد، محمد بن عبدالله، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، جـ ١، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٠هـ، ص ٢٦ ؛ وانظر الوشمي، صالح بن سليمان، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ، ص ٢٤٤ - ٢٤٩.

١٢ - ابن بليهد، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٧ .

١٣ - الجارالله، عبدالعزيز بن جارالله، الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤١٧هـ، ص ٩٢، ٩٣ .

١٤ - الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال

الجاهليات، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٩م، ص ١١٠.

١٥ - شلبي، عبدالمنعم، شرح ديوان عنترة بن شداد، شركة فن الطباعة، القاهرة (د.ت) ص ١٤٢ - ١٤٣.

١٦ - رباح، عبدالعزيز، شعر النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٣٨٤هـ، ص ١٤٠.

١٧ - ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جـ ٥، القاهرة، ١٣٦٥هـ، ص ١٥٤.

١٨ - شلبي، المرجع السابق، ص ١٣٠.

١٩ - الحموي، المصدر السابق، باب الجيم، جـ ٢، ص ١٧٤.

٢٠ - هناك أنواع كثيرة من الوسوم التي يستخدمها سكان الجواء من الحاضرة والبادية على حد سواء، ومازالت القبائل والأسر تتخذ وسوماً مميزة وخاصة بها كالهلال والعِرقاة والعمود وغيرها، وتتفرع منها وسوم أخرى تزود بعلامة (شاهد) خاص لكل فخذ أو عائلة. ويتباين الناس في وضع وسومهم على ماشيتهم فهناك من يضعها على الرقبة وهناك من يضعها على الفخذ وهناك من يضعها على اليد، كما أن هناك من الناس من يضع وسمه حتى على ممتلكاته الأخرى.

٢١ - تقع بلدة غاف الجواء إلى الشمال من محافظة عيون الجواء، وتبعد عنها حوالي ٥كم، وتعد من أقدم بلدان الجواء وتشتهر بكثرة وطيب مياهها ومزارعها ومراعيها، كما تشتهر بقدم آبارها وعيونها والتي من أبرزها عين عبس المشهورة؛ انظر العبودي، المرجع السابق، جـ ٥، ص ١٨٠٨.

٢٢ - العبودي، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٧٩٢ - ٧٩٣، ولقد تمكنا خلال زيارتنا للموقع من التأكد بأن هذه الصخرة لم تنفصل عن الجال القريب منها، بل هي بارزة من الأرض بشكل طبيعي.

٢٣- الزبيدي، المرجع السابق، جـ ١٠، ص ٧٩.

٢٤- روى لنا الشيخ عمير بن إبراهيم العمير - حفظه الله - وهو أحد رجال عقيلات الذين سلكوا عبر هذا الطريق في منتصف القرن الهجري الماضي إلى كل من العراق والشام ومصر، أنه كانت تعبر هذا الطريق قوافل العقيلات التي تتجه إلى خارج الجزيرة بالإضافة إلى الحدرات والأفراد الجماميل الذين يتاجرون ويتجولون داخل المملكة والجزيرة.

٢٥- ذكرت بعثة الآثار السعودية خلال موسم عام ١٤٠٦هـ المتضمن زيارة منطقة القصيم أن الجواء «تفتقر إلى النقوش الصخرية إلا أنه تم توثيق ثلاثة مواقع شمال شرق عيون الجواء حيث توجد أشكال تخطيطية تمثل الإبل والوعول والكلاب والنعام وأشكال بشرية مرسومة بالطريقة العودية إلى جانب نقوش كتابية ثمودية». ويلاحظ هنا أن أسماء المواقع الممسوحة لم تذكر بالتحديد ولم يفصل مايحمله كلٌ منها من نقوش؛ انظر كباوي، عبدالرحمن، عبدالرحمن الزهراني، مجيد خان، عبدالرحمن المبارك، إبراهيم السبهان، أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد ١١، الرياض، ١٤٠٩هـ، ص ٧٦.

٢٦- تنتشر أشكال الوعول أو (تيوس الجبال) بشكل كبير ضمن الرسوم الصخرية في الجزيرة العربية، وهي ذات أنواع متعددة وتظهر على أشكال مختلفة، كما تظهر أحياناً بشكل منفرد وأحياناً أخرى تظهر على شكل قطعان متناثرة؛ ولمزيد من المعلومات والمقارنة انظر: خان، مجيد، الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض ١٤١٤هـ، ص ٩٨، ١٤١.

٢٧- Hanssig , H. W. , Götter und Mythen im Vorderen Orient , Wörterbuch der Mythologie Band 1 , Stuttgart : Ernst Klett Verlag (1965) , p. 536 .

٢٨- Robinson , A., " The Camel in Antiquity " , Sudan Notes and Ro-

وللمزيد من المعلومات عن الجمل انظر : cordes 19 (W. D) , p. 52
Bulliet , R., The Camel and the Wheel , New York : Columbia University Press , (1990) .

٢٩- Huber , Ch., Journal d'un Voyage en Arabie , Paris : Imprimerie Nationale , (1891) , p. 287 ; Branden , Van den. , Histoire de Thamoud , Beyrouth : Publications de L'Université Libanaise (1966) , p. 45 ; Jamme , A. , Miscellanées d'ancient Arabe , V , Washington D.C. (1974) , pl. 17A .

٣٠- العمود أو المطرق هو عبارة عن خط عمودي يوسم على فخذ أو رقبة الحيوان، ويكون بمثابة الوسم الرئيس للقبيلة، ثم يزود بإشارة (شاهد) عن يمينه أو شماله للتمييز بين وسوم أفخاذ القبيلة.

٣١- العبودي، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٨١٩.

٣٢- الأنباري، المرجع السابق، ص ٣٧٨.

٣٣- لمقارنة رسوم جمال هذه المنطقة برسوم جمال أخرى من المملكة، انظر خان، مجيد، المرجع السابق، لوحة ٩ أ، ب.

٣٤- لمقارنة صيد الوعول في منطقة الجواء مع مناظر أخرى من المملكة، انظر المرجع السابق، لوحة ٤٩ أ، ب.

٣٥- الحموي، المصدر السابق، (باب الصاد)، جـ ٣، ص ٤٢٠.

٣٦- تقع القوارة شمال غرب محافظة عيون الجواء وتبعد عنها حوالي ٣٥كم، وهي بلدة واسعة النواحي وتعد من أكبر بلدان الجواء وذلك نظراً لتفرق منازلها وتعدد أحيائها، وقد سجلت في هذه البلدة أحداث تاريخية عديدة في العصور القديمة والحديثة، انظر العبودي، المرجع السابق، جـ ٥، ص ٢٠٩٢.

٣٧- العبودي، المرجع السابق، جـ ٤، ص ١٣٦٢.

٣٨- الحموي، المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٢٠.

٣٩- نقلاً عن العبودي، المرجع السابق، جـ ٤، ص ١٣٦٣ - ١٣٦٤.

٤٠ - أوثال هي البلدة المشهورة قديماً بـ «أثال» وهي جو فسيح غني بمياهه وزراعته ومراعيه، وهو «منزل لأهل البصرة إلى المدينة بعد قو (قصيباء) وقبل الناجية، وقيل أثال حصن ببلاد عبس بالقرب من بلاد بني أسد»، الحموي، المصدر السابق، (رسم الهمزة)، جـ ١، ص ٨٩.

٤١ - يود الباحثان أن ينوها بجهود أبناء الشيخ المرحوم محمد العبدالله الرباح من أوثال، وذلك لما أبدوه من مساعدة فائقة في البحث عن نقوش هذه البلدة خلال الدراسة الميدانية، فلهم منا وافر الشكر والعرفان.

٤٢ - تظهر في خلفية هذا المنظر مخربشات كثيرة بعضها يبدو أنه يعود لفترات حديثة، كما لا يستبعد أن بعض رسوم الجمال كرر نقشه حديثاً.

٤٣ - أسفل هذا الجمل رسوم لجمال ونقوش أخرى نقشت بشكل سطحي، ونظراً لكون الصخرة سهلة التفتت فإنها بدأت تفقد الكثير من ملامحها.

٤٤ - نظراً لمناسبة هذه الواجهة الصخرية للكتابة والنقش، فقد استغلت كثيراً للنقش عليها في الفترات المتأخرة، وقد تسبب ذلك في طمس وتشويه الكثير من النقوش والمخربشات القديمة.

٤٥ - العبودي، المرجع السابق، جـ ٣، ص ١١٠٩.

٤٦ - المرجع السابق، ص ١١٠٩، وقد كانت هذه الأكمة الصخرية تعرف في الماضي القريب بـ «عريجين منصور» أما في الوقت الراهن فتغلب عليها تسمية «عرجون منصور»، ولا أحد يعرف حالياً من هو منصور هذا ولا سبب التسمية، وإن كان الاسم من الأسماء المتداولة في هذه المنطقة. أما «الزرير» الذي كانت تعرف به قديماً والذي أشار إليه الشيخ العبودي فقد اختفى بشكل نهائي.

٤٧ - كان لشق الطريق الأسفلتي الذي يتجه شمال منطقة الجواء دور كبير في إخفاء معالم تلك الجادة حيث أزالت الجرافات والمعدات معظم الظواهر الطبيعية في ذلك المكان.

٤٨- محمود، محمد الجوهري، غندور، أحمد محمد، الجمل العربي، دار عكاظ، جدة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٤ - ٢٥.

٤٩- الحقباء في الوقت الراهن هي مزرعة للمواطنين عبدالرحمن وحمد المحمد الربيعان ؛ ولقد لمسنا منهما كل الاهتمام والحرص على آثار هذه المنطقة وبالأخص إبان زيارتنا الميدانية لهذا الموقع، فلهم منا وافر الشكر والتقدير.

٥٠- تقع بلدة كبد إلى الشمال من القوارة (بالقاف) على مسافة ٣٠كم. ولعلها كانت تسمى على قارة سحماء أسفلها برقة، وكان بها ماء قديم ترده البادية، وكان يسمى «مشاش كبد» لأنه وشل قليل ينقطع إذا تأخر سيله ؛ انظر العبودي، معجم بلاد القصيم، جـ٥، ص ٢١١٦ .

٥١- لقد كان لأسرة التدريس في مدرسة كبد، وعلى رأسهم مدير المدرسة فالح ابن محمد بن حديد (يرحمه الله)، دورٌ إيجابيٌ في التعرف على كتابات ورسومات هذه البلدة، وذلك خلال زيارتنا الميدانية للموقع في الفصل الدراسي الأول ١٤١٧/ ١٤١٨هـ، فللجميع أجزل الشكر والتقدير.

٥٢- يظهر على هذه الواجهة الصخرية الداكنة مناظر لحيوانات مختلفة يصعب التمييز بينها وبين مايحيط بها من نقوش ومخربشات قديمة ومتأخرة.

٥٣- لمقارنة الرسوم الآدمية التي ظهرت في هذه المنطقة برسوم أخرى في المملكة، انظر خان، مجيد، المرجع السابق، اللوحات ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

٥٤- Jones , R. , Hammond , Ph. , Johnson , D. , Fiema , Z. " A Second Nabataean Inscription from Tell esh-Shuqafiya , Egypt " , Bulletin of the American Schools of Oriental Research , 269 (1988) , p. 50 ; Klugkist , A., Midden - Aramese Schriften in Syrië , Mesopotamië , Perzië en Aangrenzende Gebieden , Rijksuniversiteit et Gröningen , (1982) , p. 222 .

٥٥- الذييب، سليمان عبدالرحمن، «الموطن الأصلي للأنباط»، الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، محرم، صفر، ربيع الأول (١٤١٦هـ)، ص ص ٦٧ - ٨٠ . لاحظ الخطأ غير المقصود من المؤلف، فقد أشار إلى أن

الحملتين العسكريتين قام بهما السلوقيون والصحيح هو انتيجونوس Antig، (انظر نفس المرجع ص ٦٧).

٥٦- Cantineau, J. Le Nabatéen, Osnabruck: Otto Zeller, (1978), p. 148 وكان كل من الخريشة انظر: al-Khraysheh, F., Die Personennamen in den nabatäischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum, Dissertation) Marburg, (1986), p. 169. ونجف انظر: Negev, A., Personal Names in the Nabatean Realm, Jerusalem: The Hebrew University (1991), p. 61. قد ذهبا في قراءتهما لهذا الاسم إلى قراءة جوسين وسافنياك وهي ش ب ي، انظر: Jaussen, A., Savignac, R., Mission archéologique en Arabie, Paris: Publications de la Sociéte Française des Fouilles Archéologiques (1959-1914) no: 33: 1.

إلا أن القراءة الأكثر قبولاً هي بالواو وليس بالياء ش ب و، وقد أيد هيلي هذه القراءة المعطاة من كانتينو، انظر: Healey, J., The Nabataean Tomb Inscriptions of Madaصin Salih, Oxford: Oxford University Press, (1993), no: 33.

٥٧- Abbadi, S. Die Personennamen der Inschriften aus Hatra, Hildesheim: Texte und Studien zur Orientalistik, (1983), p. 166.

٥٨- Harding, G., An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions, Toronto: University of Toronto Press, (1971), p. 340.

٥٩- Maraqten, M., Die Semitischen Personennamen in den alt-und reichsaramäischen Inschriften aus Vorderasien, Hildesheim: Georg Olms Verlag, (1988), p. 215.

وكان مراقطن قد أعاد هذا الاسم ش ب أ إلى الجذر ش و ب أي «رَجَعَ».

٦٠- Stark, J., Personal Names in Palmyrene Inscriptions, Oxford: The Clarendon Press, (1971), p. 113.

٦١- Harding, G., Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite

Kingdom of the Jordan , Leiden : E.J. Brill , (1952) , no : 31 .

٦٢- Al- Ansary , A., A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names , Unpublished ph.D. thesis , University of Leeds , 1966) , p. 89 .

وقد أشار الأنصاري إلى النقش اللحياني رقم ١٦ الوارد لدى جوسين وسافنياك، (انظر Jaussen , Savignac , Lih no : 16) اللذين وضعا نقطًا مما يدل على وجود علامات تسبق الشين لكن بالعودة إلى اللوحة المرفقة (pl. XXX) لم نجد ما يشير إلى وجود علامات تسبق الشين. كما أشار إلى ذلك كاسكل، انظر : Caskel , W., Lihyan und Lihyanisch (Arbeitsgemeinschaft für Forschung des Landes Nordrhein Westfalen , Geisteswissenschaften , Haft 4) , Köln , (1952) , p. 152 .

لكن الاسم الوارد لدى كاسكل جاء بصيغة ش ب ب، ويجدر بنا لفت الانتباه إلى الخطأ الذي وقع فيه هاردنج إذ أشار إلى كون الاسم ش ب ب. جاء في النقش اللحياني رقم ٢٥٠ لدى جوسين وسافنياك (انظر Harding , Index , p.3) إلا أنه بالعودة إلى هذا النقش تبين عدم ورود هذا الاسم.

٦٣- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت : دار صادر (١٩٥٥ - ١٩٥٦م)، مج ١، ص ٤٨٣ . على كل حال يقال رجلٌ مَشْبُوب إذا كان أبيض الوجه أسود الشعر، أو رجلٌ مَشْبوب وهو الجميل، حسن الوجه (انظر ابن منظور، لسان، مج ١، ص ص ٤٨١ - ٤٨٢).

٦٤- ابن منظور، لسان، مج ١، ص ٤٥٦، انظر أيضاً الذييب، سليمان عبدالرحمن، نصيف، عبدالله آدم، «نقوش عربية شمالية من موقع الهند بمنطقة تبوك»، تحت النشر نق : ٢١ .

٦٥- للمزيد من المقارنات والمصادر انظر سليمان عبدالرحمن الذييب ؛ دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة من شمال غرب المملكة العربية السعودية، الرياض

: مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ص ٤١ هوامش ٥، ٦، ٧،
٨، Al - Theeb., S., Aramaic and Nabataean Inscriptions from North-West Saudi Arabia , Riyadh : King Fahd National Library Publications , (1993) , p. 212 .

٦٦- Cantineau , p. 153 .

٦٧ - Negev , p. 66 .

٦٨- ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٣٥٦.

٦٩ - Harding , Index , p. 353 . وإذا قُرأ هذا الاسم بالسين وهو أمر مستبعد فإن اسماً مشابهاً جاء في النقوش السبئية بصيغة س ق ل ن (انظر Harding , Index, P.32 الذي أعاده إلى سَقَلَ و السَّقْل لغة الصَّقْل وهي الخاصرة والسَّقَل في اليد كالصَّدَق سَقِل سَقَلاً وهو أسْقل (انظر ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٣٣٨).

٧٠- إحسان عباس، تاريخ دولة الأنباط، بحوث في تاريخ بلاد الشام، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع، (١٩٨٧م) ص ص ٦١، ٦٦ - ٦٧. وبالنسبة لأحد النقوش الوارد فيها اسمي شقيله الزوجة والإبنة انظر :

Khairy , N., with additional note by J. Milik. , " A New Dedicatory Nabataean Inscriptions from Wadi Musa " , Palestine Exploration Quarterly (1981) , pp. 19 - 26 .

٧١- للمزيد انظر هتون أجواد الفاسي، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية : في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ١٧١، هامش رقم ٤٥.

٧٢ - سليمان عبدالرحمن الذييب «دراسة لنقوش صفوية جديدة، متحف قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود»، رسالة المشرق، العددان الرابع من المجلد الثاني والأول من المجلد الثالث، (١٩٩٣م/ ١٩٩٤م)، نق : ٩.،

Al-Theeb , S., " New Safaitic Inscriptions from the North of Saudi Arabia " , Arabian Archaeology and Epigraphy 6 (1995) , no : 1 A .

وللمزيد من المقارنات مع النقوش السامية الأخرى أنظر :

al - Ansary , p. 89 ; Abadi , p. 172 ; Al-Said , S., Die Personennamen in den Minäischen Inschriften , Wiesbaden Harrassowitz Verlag , (1995) , p. 118 .

٧٣- الذييب، سليمان عبدالرحمن، «نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية»، دراسات، الجامعة الأردنية، مج ٢٤، عدد ٢ (١٩٩٧م)، لوحة الأحرف.

٧٤- كنا قد اعتبرنا الكلمة الأولى المكتوبة على شكل خط أفقي في النص رقم ٢٢٧، المنشور من قبل جوسين وسافنياك، لا علاقة لها بالنص المكتوب على شكل خط عمودي (انظر الذييب، نصيف «نقوش عربية شمالية من منطقة حسمى بتبوك»، تحت النشر). لكن إذا صحت قراءة جوسين وسافنياك، فهو يتحفظ نص ثمودي مكتوب بأسلوبين الخط الأفقي (الكلمة الأولى) والخط العمودي (لبقية النص) (انظر Jaussen , Savignac , pl. CXLI).

٧٥- محمود، محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفوية : دراسة مقارنة، الرياض : عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٧٥. ، سليمان عبدالرحمن الذييب، «نقوش صفوية جديدة من شمالي المملكة العربية السعودية»، العصور، المجلد السادس، الجزء الأول (١٩٩١م)، ص ٣٨، هامش رقم ٢٨ .

٧٦ - سليمان عبدالرحمن الذييب، «نقوش عربية شمالية من جبل أم سلمان بمحافظة حائل : المملكة العربية السعودية»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج ١١، العدد الأول (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) نق : ٢، الذييب، سليمان عبدالرحمن، «نقوش عربية شمالية من منطقة حائل : المملكة العربية السعودية»، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن (١٩٩٧م)، نق :

١١، ١٨، ٢٠ ، يوسف عبدالله، «الآثار في منطقة عرعر»، العرب، ج ١
٢ س ٢٢، رجب، شعبان (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٦٧ . وللمزيد من المراجع
والمقارنات انظر سليمان عبدالرحمن الذييب، «نقوش صفوية من متحف قسم
الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود (٣)»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك
سعود (١٤١٦هـ)، ق : ٩ وأيضاً هامش رقم ١١٢ .

٧٧- ابن منظور، لسان، مج ٣، ص ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٧٨- Corpus Inscriptinum Semiticarum Inscriptions Safaiticas Continentem , Paris : Academia Inscriptionum et Letterarum Humaniorum Conditum Atque Digestum , nos : 923, 1252 , 2382 ; Littmann , E., Safaitic Inscriptions , (Publications of the Princeton University Archaeologyical Expeditions to Syria in 1904 - 1905 and 1909, Division IV, Semitic Inscriptions , Section C) , Leiden E. J. Brill , (1943) , nos : 811 , 1001 , 1184 ; Winnett , F., Harding , G. , Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns , Toronto : University of Toronto Press (1978) , nos : 2256 , 2897 .

٧٩- لايستبعد أن يقرأ هذا الاسم أيضاً د ص م رغم صعوبة إعطاء تفسير مقبول
له، إلا إذا اعتبرنا الميم للتمييم فهو من الدَّصْدَصة وهو «ضربك المنخل بيدك»
(أنظر ابن منظور، لسان، مج ٧، ص ٣٥).

٨٠ - ابن منظور، لسان، مج ١٢، ص ٢٠١ . ، الفيروز أبادي، مجد الدين
محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت : مؤسسة الرسالة
(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ١٤٣٠ .

٨١- Winnett , Harding , 1404 , 1610 ; Winnett , F., Safaitic Inscriptions from Jordan , Toronto : University of Toronto Press , (1957) , 352 , 570 .

يجدر بنا لفت الانتباه إلى أن هاردنج قد أشار إلى ظهور الاسم ق م ل، في
النقشين رقمي ٥٢٠، ٣٥٢ (انظر Harding , Index , p. 488) المنشوران من

قبل ونيت، وبالعودة إلى المرجع المذكور لم نعثر على ما يشير إلى ظهوره في النقش رقم ٥٢٠، المقروء أصلاً من ونيت ل ب ذ و ن، أنظر :

.(Winnett , Safaitic , p. 76)

٨٢ – Littmann, E., Thamúd und Safá : Studien zür Altnordarabischen Inschriftenkunde , Leizpzi Deutsche Morgenländische Gesellschaft (1940) , 48 .

٨٣– Harding , Index , p. 488 . ق م ل أ، اسم علم مشابه جاء في النقوش التدمرية، وقد فسره ستارك بمعنى القَمْل (انظر Stark, p. 110).

٨٤ – ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٥٦٨. والجدير بالذكر أن لفظة قَمْل جاءت في عدد من النقوش السامية مثل الأثيوبية بصيغة ቀመለ أنظر :

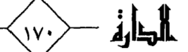
Leslau , W. , Comparative Dictionary of Geعez (Classical Ethiopic) , with an index of the Semitic roots , Wiesbaden : Otto Harrassowitz ,(1987) , p. 432 .

وكذا في الآرامية القديمة أنظر :

Hoftijzer , J., Jongeling , K., Dictioary of the North-West Semitic Inscriptons , Leiden : E. J. Brill , (1995) , p. 1013 .

وجاء بصيغة ق م ل ت، «حشرة مؤذية» في النقوش العربية الجنوبية السبئية، انظر : بيستون، ريكمانز، جاك، الغول، محمد، مولر، والتر، المعجم السبئي، بالإنجليزية والفرنسية والعربية، لوفان الجديدة؛ دار نشريات بيترز، بيروت : مكتبة لبنان، (١٩٨٢م) ص ١٠٥.

٨٥– ابن منظور، لسان، مج ١١، ص ٢٢٨. وتبعه في هذا كل من الفيروز أبادي (انظر المحيط، ص ١٣٠٢) و هزاع عيد الشمري، انظر : جمهرة أسماء النِّساء وأعلامهن، الرياض : دار أمية للنشر والتوزيع (١٤١٠هـ) ص ٢٢٨. والاسم المؤنث رمله عُرف أيضاً في مصادر عربية أخرى، أنظر : الأندلسي، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت



: دار الكتب العلمية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٤٢ .

٨٦- حيث يقال عام أرْمَل : أي قليل المطر والنفع والخير، كما أن الرُّمْله هي الخط الأسود (أنظر ابن منظور، لسان، مج ١١، مج ٢٩٨).

٨٧ -- Costaz , L., Dictionnaire Syriaque-Français , Syriac-English Dictionary , Beyrouth : Imprimerie Catholique , (1963) , p. 342 ; Smith , J., A Compendious Syriac Dictiorary , Oxford : The Clarendon Press , (1967) , p.p 534 - 5 .

٨٨ - Al-Khraysheh , p. 166 ; Negev , p. 60 .

٨٩- CIS nos : 444 , 463 ; Littmann , Safaitic , nos : 735 , 1087 , 1264 ; Winnett and Harding , nos : 391 , 3812 .

٩٠- بالنسبة للتدمرية (انظر Stark , p. 112) وبالنسبة للنقوش الحضرية (انظر Abbadi , p. 164.)

٩١-

Branden Van den., Les Inscriptions Thamoudéennes , Louvain-Heverlé : Bibliothéque du Muséon , vol : 25 , (1950) , (Hu 524), p. 359 .

وكان فان دن براندن قد فسر في نقشين آخريين لفظة ع ج ل، بمعنى جمل chameau وهو ما لا نميل إليه أنظر

Branden , Van den . , Les Texts Thamoudéens de Philby , Vol : II , Inscriptions du Nord , Louvain : Publication de Louvain , (1956) , (Ph 266 (0)) , p. 22 , (Ph 292) , p. 63 .

لاحظ الأخطاء المطبعية في قراءة النص الأول حيث كتبت علامة الألف بدلاً من علامة العين.

٩٢- يوسف عبدالله، النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض عام ١٩٦٦، بيروت : رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية (١٩٧٠م)، ق : ١٠٧.

٩٣ - مثلاً في الأوجاريتية (انظر : Gordon , C., Ugaritic Textbook , Rome : Pontifical Biblical Institute, 35, (1965) , p. 453 .

وأيضاً في الفينيقية انظر : Tomback , R., A Comparative Semitic Lexicon of the Phoenician and Punic Languages , New York : Scholars Press , (1978) p. 238 .

والآرامية القديمة (انظر : اسماعيل، فاروق، لغة نقوش الممالك الآرامية : دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية . ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، كليـة الآداب والعلوم الإنسـانيـة، قسـم اللغـة العـربيـة (١٩٨٤م/ ١٤٠٥هـ)، ص ٤٩ . وكذا في التوراة العبرية بصيغة عֵגֶל انظر

Brown , F., Driver , S. Briggs , Ch., Hebrew and English Lexicon of the Old Testament , Oxford : Clarendon Press (1906) p.722 والسريانية بصيغة ܥܓܠܐ ، انظر (Smith, p. 399) واللافت للنظر أن لفظة ع ج ل ت ، جاءت في النقوش السبئية، إلا أنها تُركت من قبل بيستون ورفقائه دون تفسير فيما اقترحت بشيء من التردد الباحثة بيلا المعنى المعروف لهذه اللفظة وهو عجْل انظر :

Har- Biella , J., Dictionary of Old South Arabic : Sabaean Dialect , Harvard: Harvard Semitic Studies (1982) , p. 351 .

أما في الأثيوبية فعرف بصيغة (Iahm (انظر Leslau , p. 309) .

٩٤- King, G. Early North Arabian Thamudic E, A preliminary description based on a new Corpus of Inscriptions from the ›isma desert of southern Jordan and published material , Unpublished ph.D thesis , School of Oriental and African Studies , (1990). pp. 531 .

٩٥- الشمري، ص ٤٥٠ ، كما جاء بصيغتي ضوأ، (انظر : حسن إبراهيم الصباغ، معجم روح الأسماء العربية، دمشق : دار المعرفة، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٢٣٤) وضويء، (انظر : الخزرجي، عبود أحمد،

اسماؤنا : اسرارها ومعانيها، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (١٩٨٨م)، ص ٤١٨). ضو اسم علم مازال متداولاً محلياً في لبنان.

٩٦ - يوجد ما لا يقل عن ثلاثة نصوص حال أسلوب نقشها، إلى عدم الخروج بقراءة مرضية لها، مثل النقش المكتوب مباشرة أسفل النقش رقم : ٧ الذي يمكن اعتباره استناداً إلى شكل حرف الذال نقشاً ثمودياً مبكراً والمقروء من اليمين إلى اليسار كالتالي :

ز ن ل ط ذ ح س ج، «هذا لط من قبيلة حسج». اسم العلم لط عُرف في النقوش اللحيانية (انظر Harding , Index , p. 515) بينما اسم القبيلة يظهر حسب معلوماتنا للمرة الأولى في هذه النقوش الثمودية. والثاني النقش المكتوب إلى الأعلى من النقش رقم : ٧ الذي ربما يقرأ من اليسار إلى اليمين كالتالي :

ل نْ ح ت ل ب ، «بواسطة ن ح ت ل بن. الثالث نقش قصير لايتضح منه سوى الأربع العلامات الأخيرة منه والمقروءة ب ل ل.

٩٧- ابن منظور، لسان، مج ٢، ص ٢٩٧ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٢٤٧.

٩٨- ابن منظور، لسان، مج ٢، ص ٢٩٦ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٢٤٧ . ، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار، الكويت : وزارة الإرشاد، مج ٦، ص ص ٣٠-٣١.

٩٩- لايمكن إغفال إمكانية قراءته أيضاً ط م ع، نظراً للتشابه بين حرفي الطاء والحاء في هذه النوعية من النقوش انظر : Winnett , F., A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions , Toronto : The University of Toronto Press , (1937), pl. X (Alphabetical Table) .

١٠٠- بالنسبة للنقوش الصفوية (انظر : Winnett , Safaitic , no : 519 ,

والآرامية (انظر : Maraqten , p. 164). وللمزيد من المقارنات انظر سليمان عبدالرحمن الذييب، دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في تيماء : المملكة العربية السعودية، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص ص ٤٠ - ٤١. لاحظ الخطأ المطبعي الذي وقع فيه المؤلف حيث أشار في هامش رقم ٣، ص ٤١ إلى أن الاسم ح ط م جاء في الصفوية مشيراً إلى هاردنج ص ص ٣٧ - ٣٨ والصحيح هو هاردنج ص ١٩٣ لذا وجب التنويه.

١٠١ - Harding , Index , p. 199. وجاء بصيغة ح م م، في النقوش المعينية (انظر al-Said , p. 91). ولمعرفة الآراء المختلفة حول معنى هذا الاسم (انظر A new Minaean inscription from North al-Theeb , S., ;Arabia , Arch , arch , epig 1 (1990) , pp. 21 - 2 .)

١٠٢ - Harding , Index , p. 425 .

١٠٣ - ابن منظور، لسان، مج ٧، ص ٤٤٧.

١٠٤ - بالنسبة للثمودية (انظر Harding , Index , p. 24) وللصفوية (انظر CIS 3998 ; Winnett , Safaitic 996) وللمزيد من المقارنات (انظر الذييب، نقوش آرامية، ص ٣٩).

١٠٥ - ابن منظور، لسان، مج ١٠، ص ٤١٦. ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ١٢١٠.

١٠٦ - أورد فان دن براندن (انظر Branden , Histoire , p. 44) خمسة اسماء هي : الجمل، البعير، رباح، إبل و ع ج ل (الذي لا علاقة له بالجمل). وكان نجيب غزاوي في ترجمته الجيدة لكتاب فان دن براندن قد جانبه الصواب عندما قرأ ع ج ل، ع ق ل (انظر، تاريخ ثمود ترجمة نجيب غزاوي، دمشق : أبجدية المعرفة رقم : ٢١ (١٩٩٦م)، ص ص ٥٤ - ٥٥).

١٠٧ - Branden , Thamoudéennes , (Hu 785) , p. 118 ; Harding ,

وكذلك جاء الاسم في النقوش. Thamudic , ٢٨ , 482 ; king , p. 484 التـدمـرية (انظر Stark , p. 117) واللحيـانيـة (انظر al-Ansary , p. 114) والنبطيـة (انظر Negev , p. 69) وللمـزيد من المقارنات انظر الذييب، مـجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨ (١٩٩٧م) نق ١١.

١٠٨- علي، جـواد. ، المفصل في تاريخ العرب قـبل الإسلام، بيروت : دار العلم للملايين، بغداد : مكتبة النهضة، (١٩٧٨م)، مج ٦، ص ٢٨٨. وكان محمد سلطان العتيبي، قد أعد بحثاً بعنوان، المعبد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام مفهومه وتطوره ووظيفته منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي، قدم لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود (١٤١٢هـ)، أشار فيه إلى معبد ديوان أبو زيد في الحجر موضحاً أن ممره الضيق برموزه الدينية للآلهة وأماكنه التعبدية الصغيرة تشابه مالدى الأنباط في السيق، مشيراً إلى أنه أخذ هذه المعلومة من بحث لعبدالرحمن الطيب الأنصاري بعنوان «بعض مدن القوافل القديمة في المملكة العربية السعودية»، ندوة البتراء وطرق القوافل، عمان، هيئة اليونسكو، إدارة الآثار الأردنية (١٩٨٥م)، ص ٥، الذي يذكر العتيبي أن الأنصاري أخذها من جواد علي، (انظر المفصل، مج ٣، ص ٥٦) (انظر العتيبي، ص ١٠٠، هامش رقم : ٥) لكن بالعودة إلى هذين المرجعين لم نجد ما أشار إليه الباحث.

١٠٩ - ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. ، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، بيروت : دار الجيل (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ٢١٧ وقد كرر هذا الرأي أيضاً حسن الصباغ (انظر الصباغ، ص ٣٠٩).

١١٠- توجد العديد من الأمثلة خصوصاً مع أسماء الاعلام الشخصية التي وردت فيها الألف واللام كأداة تعريف (انظر Cantineau , p. 61 ; al-Theeb , p. 250) وانظر أيضاً.

١١١- Harding , Index , p. 537 ; Jamme , A. , Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Mârib) , Baltimore : The Johns Hopkins Press ,

(1961) , 576 : 2 .

١١٢- بيستون، الفريد، ، «لغات النقوش اليمنية القديمة نحوها وتصريفها»، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (١٩٨٥م)، ص ٧٦ . ، بيستون، الفرد. ، قواعد النقوش العربية الجنوبية : كتابات المسند، ترجمة رفعت هزيم، اربد : مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، (١٩٩٥م)، ص ٥١ . وقد بذل المترجم في ترجمته لهذا الكتاب جهداً يشكر عليه . إلا أن ما عاب الكتاب هو استخدام المترجم القلم اللاتيني في كتابة الألفاظ والمفردات الواردة في النقوش السبئية .

١١٣ - وذلك في النقش المعروف بالنماره والعائد لسنة ٣٢٨ ميلادية الذي درس بشكل مكثف باللغتين العربية، انظر مثلاً بعلبكي، رمزي. ، الكتابة العربية والسامية دراسات في تاريخ الكتابة وأحوالها عند الساميين، بيروت : دار العلم للملاديين (١٩٨١م) ص ص ١٢٤ - ١٤٣ . والانجليزية انظر مثلاً،

Shahid , I. , " Philological Observations on the Namara Inscription " Journal of Semitic Studies 24 (1979) , pp. 33 - 42 ; Beeston , A. , " A Further Note on the Nemara Inscription " , Al-Abhath 19 (1981) , pp. 3 - 5 .

وجاء بصيغة ع ب د م ر ا ل ق س في نقش عربي مبكر من منطقة الجوف انظر المعيقل، خليل إبراهيم. ، «نقشان عربيان مبكران من سكاكا». ، الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة (١٤١٤هـ) نق : ٢ . ، انظر أيضاً المعيقل، خليل إبراهيم. ، الذييب، سليمان عبدالرحمن. ، الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، الرياض : مكتبة الخالد، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ص ٢٣٦ .

١١٤- وقد جاء في النقوش النبطية اسم علم بصيغة م ر ا ل م ل ك و (انظر Negev , p. 41) وأفضل تفسير له هو «رجل إل هو مالك أو مالك هو رجل إل»، وجاء العنصر الأول م ر، مع اسم علم عُرف في النقوش الثمودية بصيغة م ر ا ت و د انظر:

Branden , Van den . , Les Textes Thamoudéennes de Philby , vol : Institut 1 , Inscriptions du Sud , Lauvain : Univesité de Louvain , p. 167 . (ph , 210 : ae , 3) , Orientaliste , (1956) ,

ولذا فإننا في هذه الحالة لانستبعد إحتمالية أن الاسم م ر ا ل ق س يعني «قيس رجل إل» .

١١٥ – جاء اسم علم مشابه بصيغة קושי في التوراة العبرية (انظر : Brown (and Others , p. 691.

١١٦ – King , pp. 512 - 3 . رغم أن كنج اعادته إلى ساح، يسوح أي سالَ.

١١٧ – . Brown and others , p. 691

١١٨ – معجم اسماء العرب، موسوعة السلطان قابوس لاسماء العرب، بيروت : مكتبة لبنان، مسقط : جامعة السلطان قابوس (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، مج ١، ص ٨٥٧.

١١٩ – ابن منظور، لسان، مج ٢، ص ٤٩٢ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٢٨٨ . وتجدر الاشارة إلى أن ܣܘܚ «اندفع، تاق، استقبل بلطف» و ܣܘܚܐ بمعنى «فرح – شوق» عرفتا في الكتابات السريانية (انظر . (Costaz , p. 222 ,

١٢٠ – Hrding , Index , p. 284 . وانظر أيضاً ابن منظور، لسان، مج ٦، ص ٣٠٥ .

١٢١ – ابن منظور، لسان، مج ٦، ص ٣٠٥ . واللفظة ܟܬܦܐ : أي «كتف»، عرفت في السريانية (انظر Costaz , p. 352) .

١٢٢ – Abbadi , p. 165 ، الذي فسره بمعنى Sams hat geheilt .

١٢٣ – Abdallah , Y. , Die Personennamen in al-Hamdaniصs al-Iklil und ihre Parallelen in den altsudarabischen Inschriften : ein Beitrag zür jemenitischen Namengebung , Tübingen : Inaugural Dissertation (1975), p. 61.

١٢٤- وقد جاء الاسم بهذه الصيغة في كل من النقوش الثمودية (انظر :
Winnett , F. , Reed , W., Ancient Records from North Arabia
Toronto : University of Toronto Press , (1970) , 45) .
والصفوية (انظر Littmann , Safaitic , 493 ; Harding , Index , p. 200)
والسبئية (انظر Harding , Index , p. 200) .

١٢٥- الذي لم يظهر بهذه الصيغة في أي من النقوش السامية الأخرى، إلا أنه عُرف بصيغة ل ب ن في النقوش الثمودية (انظر Harding , Index , p. 570) والصفوية (انظر Littmann , Safaitic , p. 322)، وكذا في الآرامية القديمة (انظر Maraqten , p. 176) . بينما الاسم لَبَّان، اللَّبان وهو بائع اللبن أو صانع الطوب مازال متداولاً بيننا حتى الآن (انظر معجم اسماء العرب، مج ٢، ص ١٤٨٨).

١٢٦- بالنسبة للصفوية (انظر Harding , Index , p. 164) وبالنسبة للفينيقية (انظر

Benz , F., Personal Names in the Phoenician and Punic Inscriptions , Rome: Biblica Institute Press, (1972), p. 296 .

١٢٧- Grõndahl , F., Die Personennamen der Texte aus Ugarit , Rome : Päpstliches Bibelinstitut, Studia Pohl, no: 1, (1967), p. 127; Gordon , C. , Ugaritic Textbook , Roma : Pontificium Institutum Biblicum , Piazza Pilotta 35 , (1965) , p. 430 .

١٢٨ - ابن منظور، لسان، مج ١، ص ٢٦٨ . الجدير أن [illegible] في السريانية تعني «الخنجر» (انظر Costaz , p. 48) و galaba في الكلاسيكية الاثيوبية تعني «تخفى، صاد السمك، الهارب» (انظر Leslau, p. 189) .

١٢٩- وكان بنز قد أعاده إلى اللفظة [illegible] الواردة في التوراة العبرية بمعنى «الحلاق» (انظر Brown , and others , p. 162) وفسره بمعنى الحلاق (انظر Benz , p.269 .

١٣٠ - الخزرجي، اسماؤنا : ص ٢١٤ الذي فسره بمعنى الضَّجّاج الصياح من الرجال، وجاء بصيغة جَلْبَان، انظر أيضاً معجم اسماء العرب، مج ١، ص ٣٢٧ الذي فُسر من قبل المحررين بأنه وصف من جَلَبَ.

١٣١ - بالنسبة للصفوية انظر Littmann , Safaitic , 715 , 1233 ; Winnett , Harding , 2423، وبالنسبة للاوجاريتية انظر Gordon , p. 470 الذي اعتبره اسم مكان يقع بالقرب من موقع (IISTM) (كما جاء أيضاً في الاوجاريتية بصيغة ف ف ر ن (انظر Grõnahl , p. 174).

١٣٢ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ص ٥٠ - ٥٣ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ص ٥٨٥ - ٥٨٦ . وجاء الجذر פָּרַךְ أي «يهبط، يخيب، يشق، يشطر» في التوراة العبرية انظر Brown , and others , p. 830 .
وجاءت اللفظة ف ر ن بمعنى مَهْر dowry آرامية اليهودية الفلسطينية انظر

Sokoloff , M., A Dictionary of Jewish Palestinian Aramaic , Jerusa-lem : Barilan University Press, (1992) , p. 448 ; Hoftijzer , Jon-geling , p. 939 .

ورغم أن ليتمان قد رفض احتمالية إعادة هذا الاسم إلى لفظة فرن لأن البدو (الصفويين) لم يكونوا يعرفون حرفة الخباز (انظر Littmann , Safaitic , 715) وأن البطريرك افرام الأول برهوم في كتابه، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، المعد من المطران يوحنا إبراهيم، حلب : دراسات سريانية (١٩٨٤م)، مج ٢، ص ٤٨١ قد اعتبر لفظة فرن جاءت إلي العربية من اللاتينية عن طريق السريانية، فلربما يكون هذا الاسم على علاقة بفرن الذي يخبز عليه الفراني (ابن منظور، لسان، مج ١٣، ص ٣٢١) والاسم فَرَّان مازال متداولاً بيننا حتى الآن. في التوراة العبرية لفظة מַחֲבַת تعني المكان الذي يخبز فيه (انظر Brwn and others , p. 290) .

١٣٣ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ١٨٦ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٦١٥ .

١٣٤ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ١٨٦ .

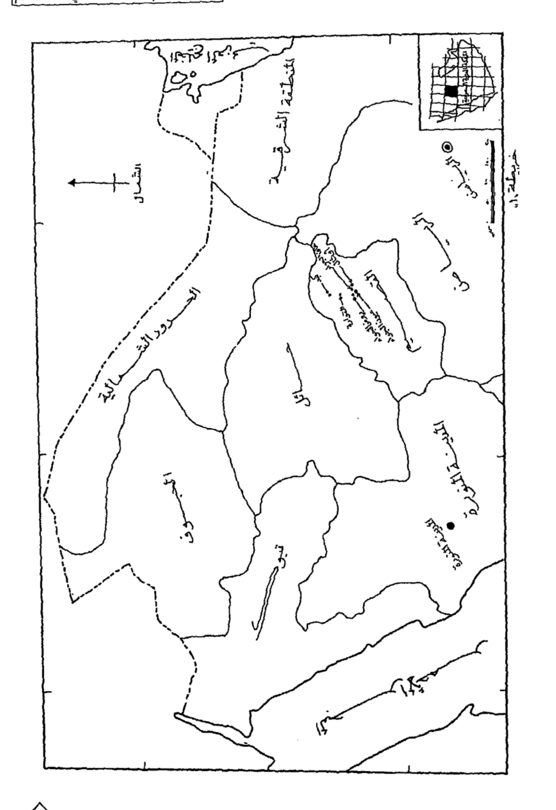
١٣٥ - ابن منظور، لسان، مج ٥، ص ١٨٧ . ، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٦١٥.

١٣٦ - مثلاً في النقوش الثمودية (انظر King , pp. 598 , 685) والسبئية (انظر Bi-ella , pp. 395 وكذا في النقوش اللحيانية (انظر القدرة، حسين محمد العايش) (دراسة معجمية لألفاظ النقوش اللحيانية في إطار اللغات السامية الجنوبية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لمعهد الآثار والانثروبولوجيا، جامعة اليرموك، جامعة اربد (١٩٩٣م) ص ١٤٨ .

١٣٧ - اسكوبي، خالد محمد . ، الجارالله، عبدالعزيز . ، النافع، عبدالله محمد . ، العضيبي، عثمان إبراهيم ؛ القصيم تراث وحضارة، مراجعة سعد ابن عبدالعزيز الراشد، الرياض، وزارة المعارف، الوكالة المساعدة للآثار، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٣٨ .

١٣٨ - للمزيد من المقارنات انظر الذييب، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، مجلد ١١، العدد الأول (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، نق : ٦٢ . ، الذييب، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٨ (١٩٩٧م)، نق : ٢٨، ٣٨، ٤١ . جدير بالذكر أن ج. ج لوريمر قد زار الجواء وأشار إلى أن «الصخور في مدخل منخفض العيون في طرفها الشمالي الغربي تحمل بعض النقوش الحميرية»، ولعله يقصد نقوش موقعي حصاة النصلة وعريجين منصور، وكل منهما لايحمل نقوشاً حميرية، بل إنها في الأول ثمودية وفي الثاني نبطية وثمودية . ، دليل الخليج - القسم الجغرافي -، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، دار العربية، بيروت، ج ١، ١٣٨٩هـ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

******

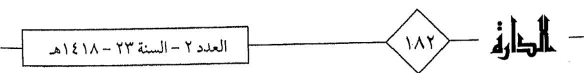

الشمال
الحدود الشمالية
المنطقة الشرقية
الجوف
حائل
تبوك
المدينة المنورة
الرياض



لوحة ١

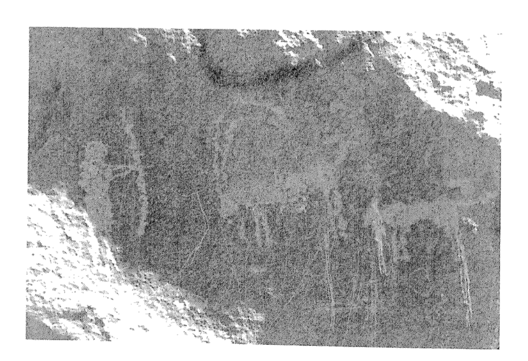


لوحة ٢





لوحة ٣



لوحة ٤



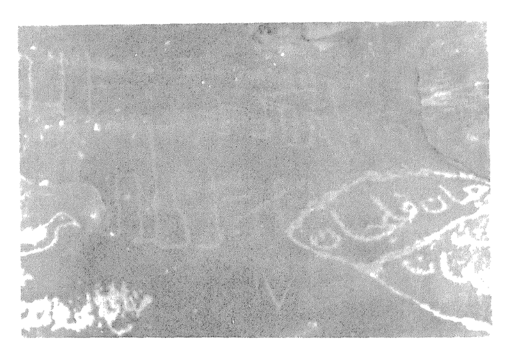
لوحة ٥



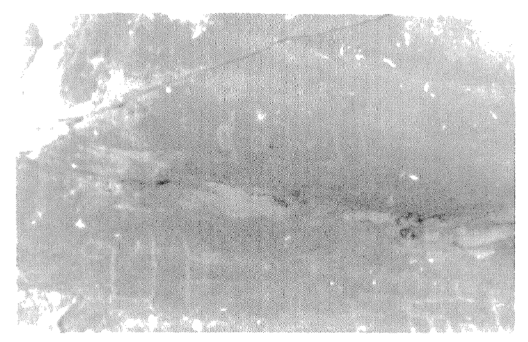
لوحة ٦



لوحة ٧



لوحة ٨ نق ١ ، ٢ ، ٣/ن



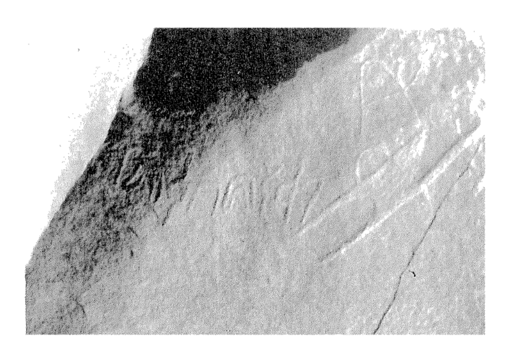
لوحة ٩ نق ١/ ث



لوحة ١٠ نق ٢/ ث



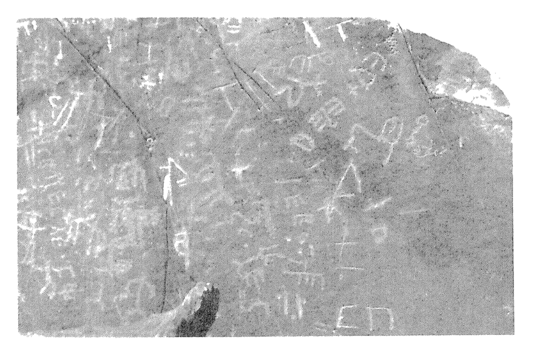
لوحة ١١ نق ٣/ث



لوحة ١٢ نق ٤/ث



لوحة ١٣ نق ٥، ٦/ث



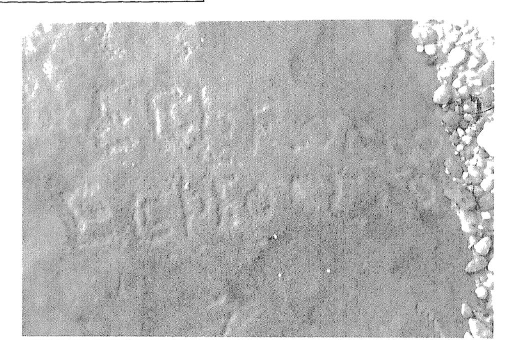
لوحة ١٤ نق ٧، ٨، ٩، ١٠/ث



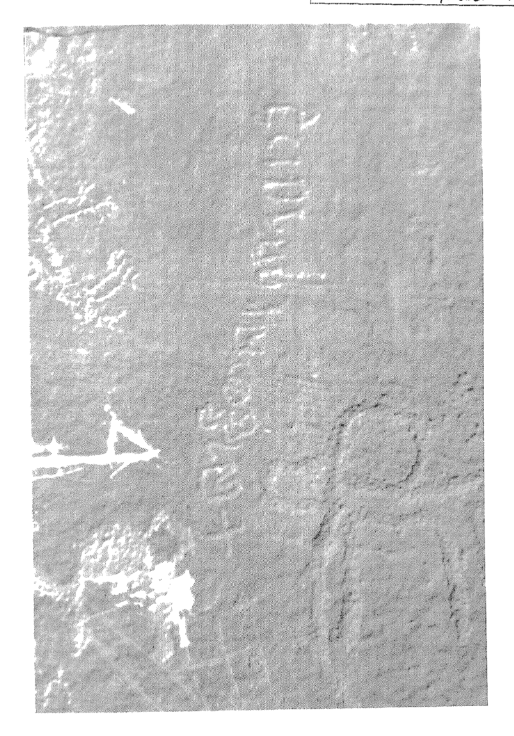
لوحة ١٥ نق ١١/ث



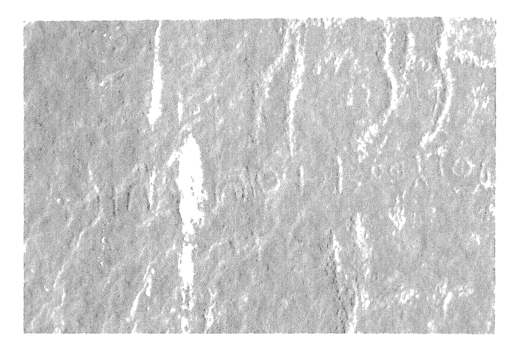
لوحة ١٦ نق ١٢/ث



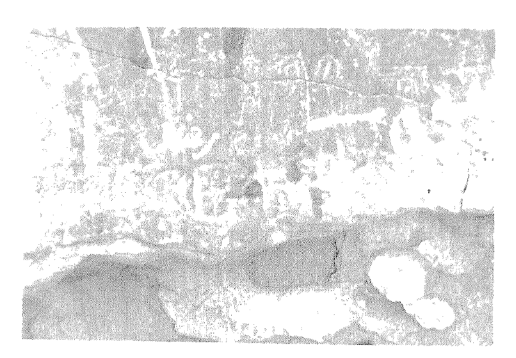
لوحة ١٧ نق ١٣/ث



لوحة ١٨ نق ١٤/ث



لوحة ١٩ نق ١٥/ ث



لوحة ٢٠ نق ١٦/ ث

٣ ٢ ١

٦ ٥ ٤

١٠ ٩ ٨ ٧

١٤ ١٣ ١٢ ١١

١٧ ١٦ ١٥

شكل ١

٣ ٢ ١

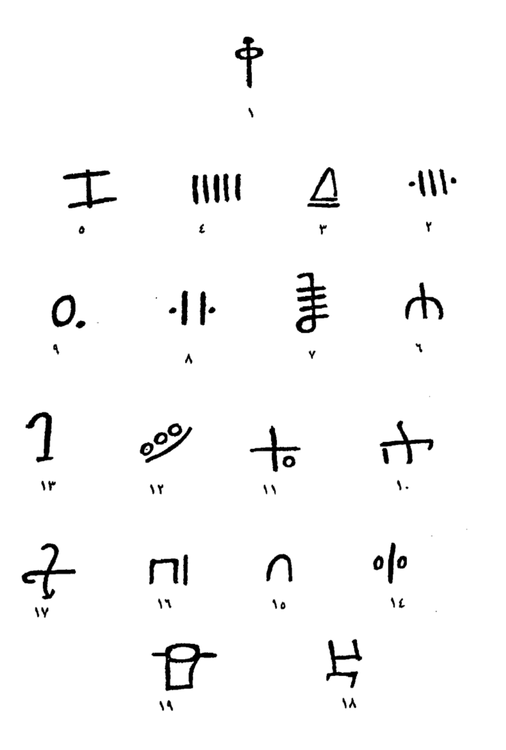
٦ ٥ ٤

١٠ ٩ ٨ ٧

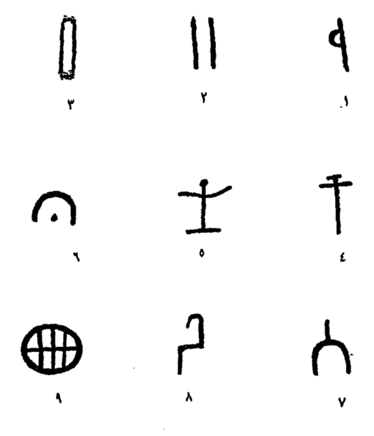
١٣ ١٢ ١١

١٥ ١٤

شكل ٢



شكل ٣



شكل ٤



شكل ٥

١

٣

٢

شكل ٦

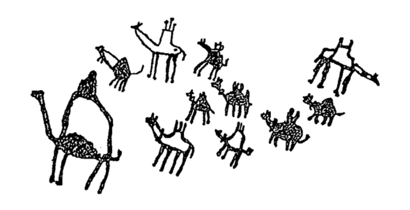


١



٢

شكل ٧



١



٣



٢

شكل ٨



١

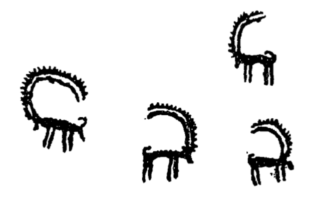


٢



٣

شكل ٩



١



٢



٣

شكل ١٠



١



٢



٣

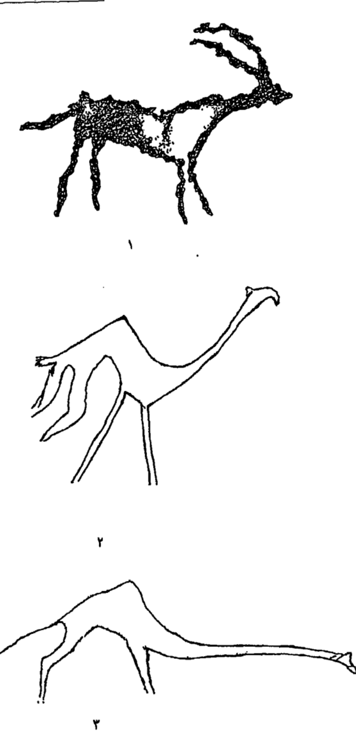


٤

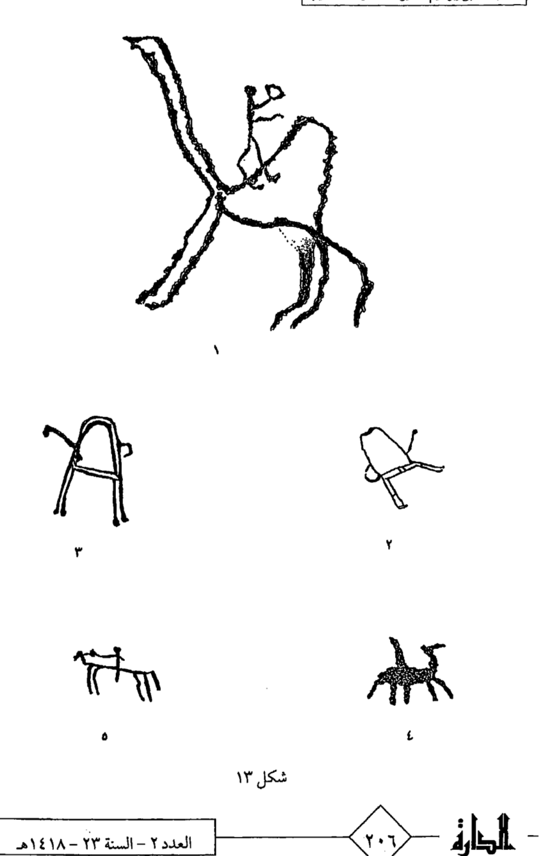


٥

شكل ١١



شكل ١٢



شكل ١٣



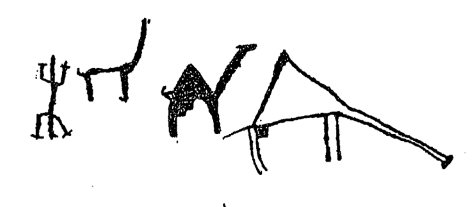
١

٢

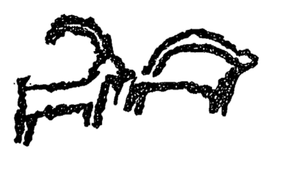
٣

٤

شكل ١٤



١



٢

شكل ١٥

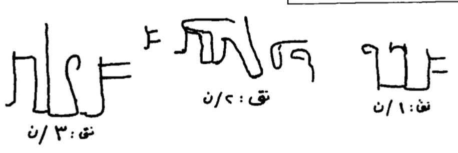




١

٢

شكل ١٦



نق: ١/ث

نق: ٢/ث

نق: ٣/ث

نق: ٤/ث

نق: ٥/ث

نق: ٦/ث

نق: ٧/ث

نق: ٨/ث

نق: ٩/ث

نق: ١٠/ث

شكل ١٧

نق: ١١/ث

نق: ١٢/ث

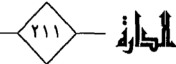
نق: ١٣/ث

نق: ١٤/ث

نق: ١٥/ث

نق: ١٦/ث

شكل ١٨



«جدة خلال الفترة ١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩ - ١٩٠٨م» «دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة»

تأليف/ صابرة مؤمن إسماعيل

دراسة: أ. د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي
رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية
بجامعة أم القرى.

يحتوي هذا الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملحقين، يتخللها جداول وخرائط وأشكال توضيحية، ثم في النهاية قائمة المصادر والمراجع.

واختص الفصل الأول منها بموضوع «الإدارة العثمانية في الحجاز» وفيه تحدث الباحث عن كيفية دخول الحجاز تحت الحكم العثماني، ثم علاقة حكام مكة بالولاة العثمانيين في جدة، وتوضيح صلاحياتهم وبيان بالقوات العسكرية التابعة لكل جهة ومسؤولياتها المنوطة بكل قوة منها.

أما الفصل الثاني المعنون بـ«مدينة جدة ومعالمها العمرانية» فقد ناقش الباحث فيه سبعة موضوعات هي: السكان، الأسوار والتحصينات، الجوامع والزوايا،

المباني، الشوارع والحارات، الأسواق والخانات، المقاهي والمتنزهات، وذلك في اثنتين وعشرين صفحة، مما جعل معلوماته عنها مختصرة جداً.

وفي الفصل الثالث ركّز الباحث على الأوضاع الاقتصادية في جدّة، وجعل التجارة المحور الرئيسي لهذا الفصل، فتحدث عن الواردات والصادرات من جدة إلى مختلف أنحاء العالم، وأشار إلى تأثر الحركة التجارية بمواسم الحج، وبمقدار ما يُنفقه الحجاج من الأموال، وكذلك بما تُحدثه قناة السويس من آثار إيجابية وسلبية بعد أن ربطت جدة بالغرب الأوروبي، وتحكّمت في فرض الضرائب والرسوم على البضائع المارّة عن طريقها. أيضاً من العناصر التي تطرق إليها الباحث في هذا الفصل وارتبطت بطريقة أو بأخرى بالتجارة: تعدّد الحرَف لدى سكان جدة، وتنوع الصناعات المحلية، وظاهرة البيع والشراء في أسواق جدة باستخدام العملات العثمانية وغيرها من العملات الأجنبية التي كانت رائجة خلال فترة البحث.

وعالج الفصل الرابع موضوع «الموارد والنفقات المالية الحكومية في جدة» وفيه ألقى الباحث الضوء على إيرادات المدينة «جدة» من جراء الرسوم النقدية والعينية المفروضة على البضائع المستوردة، وكذلك الإيرادات من خلال الرسوم المفروضة على الحجاج وصيادي اللؤلؤ والصدف، وأصحاب الجمال والأغنام والأراضي الزراعية. أيضاً أشار الباحث إلى رسوم البرق والبريد وما تُحققه من إيرادات جيدة لصالح مدينة جدة. كما ألقى الباحث الضوء على النفقات المصروفة على الموظفين والعسكريين، وأوضحها في جداول مُؤرخة بعام ١٢٧٩هـ قبل فترة الدراسة بسبع سنوات.

والفصل الخامس والأخير عالج الباحث فيه: الأوضاع الاجتماعية والصحية والتعليمية بطريقة مستوفاة ومفصلة. فعن الوضع الاجتماعي تطرق الباحث إلى ذكر الزواج، واحتفالات الأعياد الدينية والرسمية، ثم تحدث عن عادات سكان جدة في اللباس والطعام، وأنواع وسائل النقل التي كانوا يستخدمونها.

وعن الوضع الصحي تحدث الباحث عن المناخ، والمستنقعات، والمشاكل

الصحية، ودور الحكومة في الاهتمام بالخدمات الصحية، بما في ذلك إنشاء المستشفيات، وتوريد العلاج من الخارج، والحث على النظافة، وإجراء الكشف الطبي اللازم على الحجاج قبل وصولهم إلى الأماكن المقدسة، وتأمين مياه الشرب العذبة لهم.

أما الوضع التعليمي فقد ذكر الباحث ثلاثة أنواع من أنماط التعليم التي كانت سائدة في مدينة جدة خلال فترة الدراسة، وهي: الكتاتيب والمدارس الحكومية والمدارس الأهلية. إضافة إلى ذلك تطرق الباحث إلى نمط آخر من أنماط التعليم، وهو حلقات التدريس المجانية التي كان يعقدها العلماء في المدارس والمساجد والمنازل، كما تطرق الباحث إلى الرسوم الدراسية، وإلى افتقار مدينة جدة للمكتبات والمطابع والصحف مقارنة بغيرها من مدن الحجاز مثل مكة والمدينة.

وأكثر ما أجاد الباحث فيه استخدامه للجداول والخرائط والأشكال التوضيحية، والتي كانت خير شاهد على دقة وصحة المعلومات.

كما لا يفوتني أن أشيد بقائمة المصادر والمراجع التي أعطت هذه الدراسة قوّة وجعلت معلوماتها موثقة توثيقاً متميزاً.

ولكن على الرغم من الإجادة والإفادة التي تحققت في هذا المُؤلَّف، إلا أن لي بعض الملاحظات الضرورية التي أرجو أن أكون قد أصبت في تدوينها وهي على النحو التالي:

- عنوان الكتاب: ذيّل الباحث لعنوانه بـ «دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة»، والأفضل أن يكون التذييل: «دراسة تاريخية حضارية موثقة»، أو «دراسة تاريخية حضارية من واقع المصادر المعاصرة»، لأن استخدام حرف «في» يُغير المعنى، وكأن الباحث يقصد أن تكون الدراسة التاريخية والحضارية ليست عن جدة، وإنما في المصادر المعاصرة.

- بالنظر إلى أحداث الفترة المحددة في الدراسة يتضح أن الفترة من عام ١٢٨٦هـ إلى ١٣٠٥هـ أحداثها قليلة جداً، حيث تحدث الباحث في الفصل الأول

عن أحداث سابقة لعام ١٢٨٦هـ، ثم ركز في بقية الفصول على الفترة ابتداءً من سنة ١٣٠٥هـ مما يجعل العشرين سنة السابقة لعام ١٣٠٥هـ قليلة المعلومات مقارنة بالفترة ما بعد عام ١٣٠٥هـ.

– على الرغم من جودة مصادر الدراسة إلا أن تدوين الهوامش لم يتبع الباحث فيها الأسلوب العلمي الأمثل، حيث كرر المصدر مرات ومرات في الصفحة الواحدة مثل ص ٢٥/ ٢٦/ ٤٨/ ٥٨/ ٦٢/ ٦٣ وغيرها الكثير، وكان من الأفضل تنويع المصادر إضافة إلى كتابة «المصدر السابق جـ . . ص . .». بدلاً من تكرار اسم المصدر كاملاً.

– ص «هـ» ذكر الباحث في مقدمته أن هذه الرسالة تنقسم إلى ستة فصول بينما التقسيم الفعلي هو خمسة فصول، أيضاً استخدم اسم «رسالة» وفي آخر المقدمة ص «ح» استخدم اسم «كتاب»، والأفضل استخدام اسم واحد لدراسته إما رسالة أو كتاب.

– ص٢٦ ذكر الباحث أن قوات البيشة كانوا في عام ١٣١٦هـ «٣٠٠» رجل، وقال بأنهم قوة نشطة ولكن غير منضبطة، كما لم يكونوا أهلاً للثقة. ومثل العبارة الأخيرة تحتاج إلى تعليل وتوضيح لماذا لم يكونوا أهلاً للثقة، وأرى أن تفسير ذلك من مسؤولية الباحث. وفي حالة أخرى مشابهة أورد الباحث في ص٩٤ بعض الملاحظات على الجدول رقم ٤ وكان من بين ملاحظاته في الفقرة الثانية: «أن التدهور عائد إلى سوء الحالة المحلية» دون أن يفسّر ما هي الحالة المحلية السيئة.

– ص٧٤/ ٧٥/ ٧٦ أورد الباحث استخدام عملة «تيلر نمساوي» كقيمة للبضائع، ثم استخدم في ص٧٢/ ٨٠/ ٨٣ الجنيه الاسترليني، والتساؤل هو لماذا لم يرد اسم عُملة «التيلر النمساوي» ضمن أسماء العملات المستخدمة في الحجاز كما هو واضح في الجدولين (٧) (٨) ص١١٣، ١١٤، طالما ورد ذكرها كعملة مستخدمة كما أشار.

– ص٨٥ ذكر الباحث أن السفن الإنجليزية شحنت من لوز الطائف من جدة

إلى الهند خمسمائة ألف طن سنوياً، ويبدو أن هذا الرقم فيه خطأ فليس من المعقول في تلك الأزمنة أن تصل صادرات الطائف من اللوز ذلك الكم الهائل إلى جهة واحدة فما بالك بالجهات الأخرى والاستهلاك الداخلي.

– ص١١٩ ذكر الباحث عملة «الكيسة» ولم يعرّفها، ثم ذكرها في ص١٣١، وقام بتعريفها، والأولى أن يكون التعريف عندما تُذكر لأول مرة.

– ص١٤٧ وفي العبارة الثانية قال الباحث: وأما الطبقة الشعبية فكان ثوبهم والأصح فكانت ثيابهم.

– ص١٨١ ذيّل الباحث دراسته بملحقين الأول عنوانه «السلك الأجنبي في جدة» ويتضمن معلومات عن علاقة جدة بالدول الأجنبية، واعتمد الباحث في معلوماته على عدّة مصادر ومراجع، وأصبح الملحق بهذه الطريقة عبارة عن دراسة لجوانب يجب أن تأخذ فقرة مستقلة ضمن فقرات الفصول أو دمج ما يتناسب من معلومات مع معلومات العناوين المدرجة في فصول الدراسة.

والملحق الثاني الخاص بالسياحة في بلاد الحجاز لسويلمز أوغلو يتضمن سبع فقرات تتعلق بموقع جدة، وعدد السكان، ووصف الميناء، والمناخ، والسلع المستوردة، والسُّفن، وبناء جدة وملحقاتها، والحُجَّاج والزوّار، ومثل هذه الموضوعات موجود في فصول الدراسة ما يتناسب معها وبالأخص في الفصل الثاني، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تأخذ شكل ملحق.

والله وليّ التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

*****

مقالات ومؤلفات

من شعراء الملك عبد العزيز الشيخ/ عبد الله العجيري

د. محمد بن سعد بن حسين

مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨هـ

معالم الاغتراب الشعوري في نماذج من الشعر السعودي

د. مسعد بن عيد العطوي

مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨هـ

مما أغفله الدارسون لشعر ابن العيون

محمد بن عبد الله الخشيبان

مجلة الحرس الوطني شوال ١٤١٨هـ

تاريخ الطباعة ودخولها الى بلادنا

عبد الكريم الخطيب

مجلة أحوال المعرفة

رجب ١٤١٨هـ

الرحلات الى الجزيرة العربية

محمد بن عبد الله الحمدان

المجلة العربية

رمضان ١٤١٨هـ

صباء نجد (الطبعة الثانية)

محمد بن عبد الله الحمدان

يوميات رحلة في الحجاز

تأليف/ غلام رسول مهر

نقد وتعليق/ علامة الجزيرة

حمد الجاسر

المجلة العربية رمضان ١٤١٨هـ

دراسات وحقائق في شمال غرب المملكة العربية السعودية

حسين بن أمين العلي

تبوك - ١٤١٨هـ

تاريخ هجر

عبد الرحمن بن عثمان الملا

الصحراء العربية - الملاحق

الويس موسيل

ترجمة مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية ١٤١٨هـ

فكر القائد

جواهر بنت عبد العزيز بن جلوي

دار العقل للطباعة ١٤١٨هـ، الرياض

رسائل لها تاريخ

عبد الكريم الجهيمان

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

ظاهرة الزمن عند كتاب السيرة الذاتية السعوديين.

عبد الله الحيدري

مجلة الفيصل رمضان ١٤١٨هـ

الأهمية السياسية والعسكرية لجزر البحر الأحمر.

عبد الرحمن بن عبد الله الشهري

مجلة الحرس الوطني

شعبان١٤١٨هـ

من رواد التعليم المنهجي في الخليج العربي

(محمد بن عبد العزيز بن مانع)

عبد الله بن أحمد الشباط

المجلة العربية

شعبان ١٤١٨هـ

ينبــع البحــر

صالح مسعد النزاوي

المجلة العزبية شعبان١٤١٨هـ

غالية البقمية قاهرة الغزاة

فاطمة محمد البغدادي

المجلة العربية

رجب ١٤١٨هـ

محمد بن أحمد العقيلي

د. محمد الصادق عفيفي

نادي جازان الأدبي ١٤١٧هـ

العلاقات الإجتماعية في القران

عبد الله الحمد الجلالي

دار السلام - الرياض

شـاعر اليمامـة

(مروان بن أبي حفصة)

إسماعيل بن ابراهيم السماعيل

مطابع جاد للأوفست - الرياض

العدالة الجنائية ومنبع الجريمة

د. محمد الأمين البشري

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض

تاريخ الأفلاج وحضارتها

عبد الله عبد العزيز آل مفلح

مطبعة السفير - الرياض ١٤١٨هـ

التعليم في القصيم بين الماضي والحاضر

صالح بن سليمان العمري

تحقيق د. عمر بن صالح العمري

الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

دراسة فنية لمصحف مبكر

تحقيق: عبد الله بن محمد المنيف

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

الدارة

مجلة فصلية محكمة تصدر عن
دارة الملك عبدالعزيز

●●●

ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٨
فاكس: ٤٤١٧٠٢٠

● قسيمة اشتراك ●

أرفق شيكا مصدقا ....
باسم دارة الملك عبدالعزيز بالرياض/ عن قيمة اشتراك لمدة سنة
واحدة على أن ترسل إلى العنوان الآتي:
الاسم: ....
العنوان: ....
الفاكس: ....
الهاتف: ....

الاشتراك السنوي: ٢٠ ريالاً داخل المملكة العربية السعودية
البلاد العربية ما يعادل ٢٠ ريالاً سعودياً
٦ دولارات خارج البلاد العربية.

ADDARAH

Address: ADDARAH
King Abdulaziz Research Center
P.O.Box 2945 Riyadh 11461
Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: 4412316 - 4412318
Fax: 4417020

● Subscription Card ●

Please enter my subscription for ADDARAH
Check enclosed $ ....
Name ....
Address ....
City .... Country ....
Tel.: .... Fax: ....

Annual subscriptions
Saudi Arabia: **20** Riyals
Arab Countries: **20** Riyals
Abroad: **6** U.S. Dollars

ALL CORRESPONDENCE SHOULD BE DIRECTED TO EDITOR-IN-CHIEF

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia Tel. 441 2316 – 441 2318 Fax. 441 7020

PRICE PER ISSUE

Saudi Arabia: 5 Riyals - U.A.E.: 7 Dirhams - Qatar: 7 Riyals - Egypt: 70 Piasters
Morrocco: 8 Dirhams - Tunisia: 700 Millimes - Non-Arab Countries: 1 U.S. $

ANNUAL SUBSCRIPTIONS

Saudi Arabia: 20 Riyals - Arab Countries: The Equivalent of S.R. 20
Non-Arab Countries: 6 U.S. $

SUBSCRIPTIONS SHOULD BE MADE BY CERTIFIED CHEQUE DIRECTED TO KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Saudi Arabia

DISTRIBUTIONS

Saudi Arabia: Al Wataniah Co. For Distribution Advertising	Tel. 4782000
U.A.E.: Dar Al Hikma P.O.Box 3778 Dubai	Tel. 665394
Qatar: Dar Al Thaqafa: P.O.Box 323 Doha	Tel. 413180
Bahrain: Al Hilal Distributing Est. P.O.Box 224, Manama	Tel. 262026
Egypt: Al Ahram Distributing Est. Al Gala'a St., Cairo	Tel. 5786100
Morocco: Al Sharifia Distributing Co. P.O.Box 683, Casablanca 05	Tel. 400223

ADDARAH

A Periodic Quarterly Issued By King Abdul Aziz
Foundation for Research and Archives
Addarah No. (1) Has Been Issued in Rabie (1) 1395
March 1975

ISSUE NO. 2 YEAR 23 1998



النشر العلمي والمطابع ١٤١٩هـ



الملك عبدالعزيز أثناء زيارته للبحرين ومعه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة سنة ١٣٥٨هـ وهما خارجان من قصر المرايا في القضيبية



A Periodic Quarterly Issued By King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives

Addarah No. (1) Has Been Issued in Rabie (1) 1395

March 1975

ISSUE NO. 2 YEAR 23 1998


Bibliotheca Alexandrina
0532113